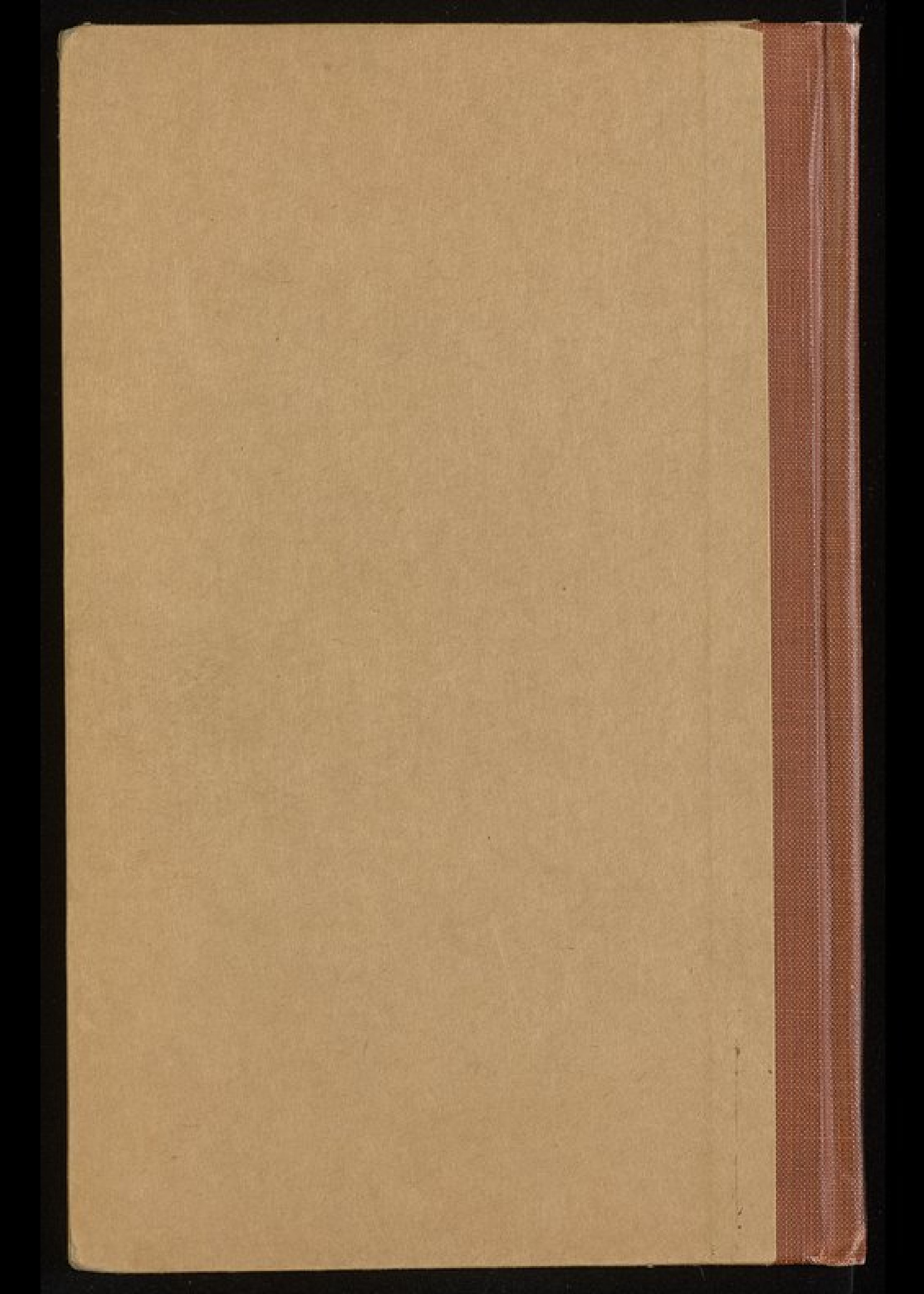




النسائيات

مجموعة مقالات نشرت في الجريدة فى موضوع

المراة المصرية

بقلم

باحثة البادية

وبها مقدمة بقلم الكاتب الاجتماعي الكبير احمد بك لطفى السيد
مدير الجامعة المصرية

(الطبعة الثانية)

﴿ الجزء الاول والثانى ﴾

يطلب من المكتبة التجارية الكبرى باول شارع محمد علي بمصر
لصاحبها مصطفى محمد

مطبعة التقدم بشارع محمد علي بمصر



آخر صورة للمرحومة باحثة البادية



النسائيات

مجموعة مقالات نشرت في الجريدة في موضوع

المرأة المصرية

بقلم

باحثة البادية

يطلب من المكتبة التجارية الكبرى بأول شارع محمد علي بمصر
لصاحبها مصطفى محمد

مطبعة التقدم بشارع محمد علي بمصر

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله . والصلاة والسلام على رسول الله (وبعد) فانى فكرت فى جمع مقالاتى (النسائيات) وطبعها كتاباً أقدمه للامة المصرية الكريمة راجية ان تغفر لى زلة القلم فيه فانى مبتدئة ولا يعدم المبتدئ أغلاطا وعسى ان تقرأه الفتيات والسيدات المصريات فهو مذكر للائى غنين منهن باصالة رأيهن وحسن تربيتهن عن استجداء النصيحة ومرشد للائى يسترشدنه

لا أدعى فيه ابتداعا ولا ابداعا فما هو الا سلسلة مشاهدات وتجارب أثرت فى فدونتها ليتعظ بها غيرى ممن لم تعركه الحوادث ولم تتيسر له التجاريب وما قصدت الا النفع العام والدفاع عن المرأة المصرية المهيضة الجناح ولعل الله يحقق هذا القصد ويشد أزرنا لما فيه اعلاء شأننا وتقوية الفضائل فى اخلاق هذه الامة بحسن القيام على تربية أبنائها والله الهادى الى الطريق القويم ؟

« ملك حفنى ناصف »





كان فى الشتاء الاسبق أن نظارة المعارف أحالت ناظرة مدرسة السنية على مجلس التأديب لشذوذها عن حدود قانون النظارة فكتبت وقتئذ كلمة فى الجريدة استعطفت بها مجلس التأديب على تلك السيدة وكان بعض ما استشفعت به لها انها من الجنس اللطيف . شق هذا القول على سيدة فرنساوية سائحة فى مصر وقتئذ فاقبلت على تعاتبنى على قلة الحيطة التى اتخذتها فى كلامى وانبرت تقرر أن المرأة والرجل سيان فى الحقوق والواجبات فيجب أن يكونا كذلك فى المسئولية ايضاً وان الذى يستشفع للمرأة بجنسها ليسئ اليها من حيث يريد الاحسان .

لم اكن قبل هذا الالتفات متردداً فيما للمرأة من الحقوق ولا جاهلا بما يستتبع للحقوق من الواجبات . ولم أك ظنينا فى دفاعى عن هذا الجنس مهضوم الحقوق فى كل زمان وفى كل مكان حيث القوة غالبة على الحق . ولكنى مع ذلك فى تلك الحادثة كانت كلمتى تشف عن رأيى فى أن المساواة بين الرجل وبين المرأة لا يصح أن تقرر على اطلاقها بل يجب أن تكون تلك المساواة محدودة فى مصر بالحدود الطبيعية والشرعية معاً . وشتان مابين هذه الحدود الواسعة المدى وبين الحدود الحاضرة التى وقفت عندها المرأة من زمن طويل بحكم قوة الرجل لا بحكم قوة ضعفها الطبيعى ولا بحكم الشريعة السمحاء .

لم تجرب الى الآن المساواة المطلقة فى جميع الحقوق والواجبات بين الرجل والمرأة ولكن المساواة قد جربت فى التربية المنزلية وفى التربية المدرسية وفى كثير من الحقوق الاجتماعية فأتت باعظم الفوائد والبركات على العائلة والجمعية الانسانية معاً . وأما التفريط فى حق المرأة وعدم استخدام ملكاتها على أنماط معلومة لمنفعة النوع الانسانى فقد أتى بالنتائج المحزنة المحسوسة .

ان المساواة المطلقة التي كانت ترمى اليها عاذلتي ويوافق عليها كثير من النسائيين ان جاز ان تكون غرض الاغراض ومنتهى الآمال فى ترقية المرأة فانه لايجوز الابتداء بها وتقريرها عندنا من اليوم مع انها لم توجد ولم تجرب فى أعلى الامم حضارة . فاذا كنت قد استعطفت مجلس التأديب على ناظرة المدرسة وجعلت جنسها اللطيف شفيعاً لها فى تخفيف المسئولية فلم أخرج بذلك عن أن أكون مستقيم الانتاج ولم أنحرف عن أصول قوانيننا ولا عن طبائع العمران .

ان قوانيننا الانسانية لاتزال نصوصها تنم على فروق بين الجنسين . وان المرأة طول عمرها الجنسى كانت ولا تزال مثال الجمال الانسانى . وموضوع تغنى الشعراء ومباراة الرسامين والمصورين . كانت ولا تزال مناط سعادة الرجال اليها ينتهى الامل عند بعضهم وفيها تودع الثقة وترجى المواساة عند الآخرين. فهى بجمالها محل للعطف . وهى بضعفها الخلقى أولى بالعطف . وهى بتواضع مركزها الاجتماعى وقلة مكافأتها على القيام بواجباتها أهل للعطف . فمن أى ناحية نظرت اليها وجدتها تستحق الحنان والعطف . فاذا كنت استشفعت لها مجلس التأديب فانما جريت فى ذلك على سنن بنى آدم الماضية والحالية وأخذت ماقلت من المشاهدة لامن الخيال . واذا كانت السيدات النسائيات (اللاتى يرين تقرير المساواة بين الرجل والمرأة) لايرضين بالتفريق بينهن وبين الرجال فى درجات المسئولية امام المحاكم والمجالس فانى متفق معهن على الاقل فى عدم محاباتهن فى انتقاد مايكتبن من الرسائل وما يهدين اليه من الآراء .

ومهما يكن من وجوه الخلاف فى المساواة بين الرجل وبين المرأة فى درجات المسئولية وفى الحقوق والواجبات العامة فان من المحقق ان المرأة لم تسترد الى اليوم شيئاً كبيرا من المساواة المنشودة على أقل أقدارها فى نظر القائلين بها . بل هى عندنا على الخصوص لاتزال مظلومة فى حقوقها فى العائلة وفى حقوقها فى الجمعية المصرية . مظلومة فى تقدير واجباتها الخاصة والعامة لامن حيث ثقل تلك

الواجبات فى ذاتها ولكن من حيث كونها أغلبها واجبات تحكمية صرفة يضعها ولى أمرها لا بالتطبيق للشرع ولا لقاعدة عامة معروفة ولكن بالتطبيق لدواعى هواء وعوامل غيرته .

فاذا كانت حقوق المرأة الطبيعية وحقوقها الشرعية يغمطها الرجال فلا يراعون فيها تقاليد الاسلاف ولا يرقبون فيها أوامر الدين فان النتيجة اللازمة عن ذلك هى تعطيل نصف الانسانية عن كثير من الخدم المطلوبة منه . وهذا مع الأسف هو الذى كان .

لم تكن هذه النتيجة المحزنة كلها من ظلم الرجل ولكن قعود المرأة الشرقية عن الأخذ بأسباب رقيها الثانى ورضاها بالحظ الذى قسمته لها القوة فى هذه القرون الاخيرة وعدم محاولتها تلطيف أحكام القوة القاهرة . كل ذلك يجعل لها شركة بوجه ما فى الضرر الذى حاق بها وبالمجموع من اهمال تربيتها .

غير ان مهضوم الحق مهما سها عن السعى فى استرداده لايعدم من نصراء الانسانية مدافعا خالى الغرض ينصره من حيث لايحتسب . فان النساء عندنا لم يكن ليدور فى خلدهن ان المرحوم قاسم بك أمين يقوم بالدفاع عنهن دفاعا اغضب منه كثيراً من الناس بل اغضب منه بعض النساء اللواتى لايردن الخروج من الحظيرة الصناعية التى احتظرها لهن رجال البأس لا رجال العلم

قام المرحوم قاسم بك بالدعوة الى تربية المرأة على أصول التربية النافعة بشجاعة عديمة المثال واقتفى أثره فى ذلك بعض الكتاب حتى انتبه هذا الجنس اللطيف وتولى بعض أعضائه الدفاع عن ذاته . وأول من سارت منهن فى هذا الطريق هى باحثة البادية . نعم أولهن لانها أخذت تبحث فى نسائياتها بحث الجاد الذى يعلق على بحثه نتائج كبرى لصلاح المرأة بل لصلاح الجمعية الانسانية . أخذت تكتب فى الدفاع عن حقوق المرأة وتخطب فيما يجب لاصلاح المرأة فكان مجموع رسائلها وخطبها هذه المجموعة التى نضع لها هذه المقدمة

ولو صح نظرى لـكانت قاعدة بحثها فى تحرير المرأة قاعدة الاعتدال. ورائدها فى ذلك هو الشرع الاسلامى .

لقد أجادت باحثة البادية فى جعل بحثها مرتباً على هذا النمط المعين . فان الاعتدال فى تعليم المرأة وتربيتها وتقرير الحد اللازم أن تقف عنده فى المساواة بينها وبين الرجل الاعتدال فى ذلك كله أمان من الزلل والوقوع فى نتائج سيئة قد لاتكون اقل فى سوء الأثر من نتائج خمول المرأة وقعودها عن السعى الى كمالها الخاص. وانا نكرر دائماً أن المساواة المطلقة لم تجرب بعد فأبصر بالباحثة اذ رأت تقرير المساواة المعتدلة والبعد عن الاطلاق الذى هو يخالف الدين من ناحية ويخالف الحيطة من ناحية أخرى

أما الدين فانه ملاك أخلاق المرأة ومناط آدابها وطريق كمالها وموجب الثقة بها. ان تقوى المرأة أكبر الادلة على صونها ومعرفتها بالواجب وحسن قيامها به

ان شهود المرأة صلاة الجماعة فى المسجد الجامع مرة واحدة أصلح لقلبها من سماع واعظ أخلاق فى الدار أو فى المدرسة سنة كاملة

وان تقليد المرأة الشرقية لأختها الغربية نافع ولـكن هذا التقليد الى اليوم ليس بحسنة جديدة ما دام انه خلا من النوع الخاص بالدين . فان الغربية تذهب الى معبدها مرة فى الاسبوع على الاقل والمسلمة الشرقية لاتذهب اليه فى مصر أبداً . كأن دخول بيت الله أثقل كلفة عليها وأبعد عن رضى وليها من دخولها فى بيوتات التجارة وشهودها مراسح اللهو . الا ان حضور النساء صلاة الجماعة على صورة لائقة ومن غير اسراف هو أول عمل حسى تأتيه المرأة لتقرب به مسافة الفرق بينها وبين الرجل ولتقرر به المساواة المنشودة

ان رابطة الزوجية عندنا رابطة دينية محضة . ولا نعلم امرأة تحترم نفسها تستطيع ان ترتبط برجل الا بهذه الرابطة الشريفة المقدسة . ومما نعجب له أن المرأة تعمل أعمالا كثيرة شاقة فى سبيل توثيق هذه الرابطة ولـكنها لاتعمل

الشئ الوحيد الذى يوثقها حقيقة وهو القيام بفرائض الدين الذى عليه عقد الزواج والذى هو المنظم الوحيد لعلاقات الزوجية فمراعاته أساس لدوامها ومخالفته سبب لفصم عراها ونقض عقدة الزواج . ولو فطنت المرأة لادركت أن تقوى الله والقيام بطاعته تكفى وحدها لثقة الزوج بها وتمنع كل الشقاق الزوجى الذى يتولد عن الظنة والغيرة .

وقصارى القول أن باحثة البادية قد أجادت كل الاجادة فى أن جعلت أساس بحثها تقرير المساواة لاعلى جهة الاطلاق بل فى حدود الاعتدال والدين

فأما انتقاد رسائلها من جهة صناعة الكتابة فحسبى أن أقرر من غير محاباة أنها أكتب سيدة قرأنا كتاباتها فى عصرنا الحاضر بل هى تمثل لنا فى كتاباتها صورة الكاتبات الغربيات اللآتى تفوقن على كثير من الكتاب . وليس نبوغ السيدة ملك حفنى عملا من أعمال الصدفة بل هو قضية علمية مقررة . لان هذه الكاتبة من بيت علم وأدب انتقل اليها من أبيها حفنى بك ناصف بحكم الوراثة الطبيعية ذوق الكتابة وملكة الانتقاد الصحيح فنما استعدادها بالتربية المدرسية والاجتهاد بعد المدرسة حتى وصل هذا الحد المتقدم .

ورجاؤنا أن تكون مجموعة المباحثة أول أبحاث السيدات فى هذا العصر لا آخرها وأن تكون السيدة « ملك حفنى ناصف » القدوة الحسنة للسيدات المصريات آمين ؟

احمد لطفى السيد

الاسكندرية فى ١٨ يوليه سنة ١٩١٠

باحثة البادية

ولدت بالقاهرة سنة ١٨٨٦

نالت الشهادة الابتدائية سنة ١٩٠٠

نالت الدبلوم سنة ١٩٠٣

تزوجت سنة ١٩٠٧

توفيت ١٢ اكتوبر سنة ١٩١٨

(اول من نالت الشهادات وأول من عليت وأول من كتبت وأول من خطبت)

يعلم الكل ما للمرحوم حفنى بك ناصف من السبق فى العلوم والآداب والعربية ومن العدل العمرى فى القضاء ومن السهر فى تربية النشء من متكلمى العربية . ومن كان هـذا شأنه وكانت تلك صفاته لا عجب أن يهدى مصر والشرق بمثل كريمته ملك .

بدأت باحثة البادية دراستها فى المدارس الفرنسوية ثم دخلت المدرسة السنية (وكانت اذ ذاك بالسيوفية) فى عهد كان فيـه الاباء لا « يخاطرون » بادخال بناتهم إلى تلك المدرسة مالم يكونوا مضطرين بحكم الحاجة المادية . فكانت ملك أول فتاة دخلت المدرسة بمصروفات . وصارت تتنقل من فرقة الى اخرى حتى بلغت السنة الرابعة . وكان من حظها أن وزارة المعارف بدأت تجرب نظام مدارس الفتيان لتلك المدرسة . فصرحت الوزارة لمن تريد من البنات أن تتقدم لنفس امتحان الفتيان . فتقدمت الباحثة ونجحت فكانت أول فتاة نالت شهادة فى مصر . وكان سنها اذ ذاك ١٣ سنة فكتبت الى جريدة « المؤيد » قصيدة من نظمها تفتخر لمصر بان فتياتها ساوين الرجال فى التعليم . وكانت هـذه الشهادة فاتحة لالتفاتها الى المسائل العامه .

وانا لنروى حكاية لطيفة بهذه المناسبة كانت ملك « عفريتة »! فى المكتب فذهب والدها ليسأل بها المدرسين فاجابه بهذا المعنى كل مدرسيها الا مصطفى بك صبرى الذى كان استاذ الجغرافيا . فقال والدها للاستاذ ألعلها هادئة فى درسك فانك الوحيد الذى لم يشك لى منها فقال الاستاذ « لا ولكن لم اشأ أن اكدرك » .

كانت الباحثة على صغر سنها تجيد الفرنسية . على أن وزارة المعارف انشأت بنفس المدرسة قسما عالياً للمعلمات يضارع قسم الرجال وجعلت التعليم فى كل فروعه باللغة الانكليزية . وكان من مدرساتها « مس ويلد » التى اصبحت فيما بعد « مسز بريدى » . ومن حسن الحظ أن هذه السيدة كانت تجيد الفرنسية فلم تمض سنة على الباحثة حتى اجادت الانكليزية . ولذلك بقيت ملك مدينة لها تكاتبها وتهاديها الى قبيل وفاتها . فلما مضى سنين ثلاث تقدمت الباحثة لامتحان الدبلوم فنجحت ونجحت معها الآنسة « فكتوريا عوض » ولم تنجح رفيقتهما الثالثة الآنسة « الجرة بلاتتر » . على أن المعارف كانت شديدة جدا فى نظامها فقررت أن لايتسلم الدبلوم الا من مضى فى التمرين على التدريس سنتين كاملتين فبقيت ملك تزاول هذه المهنة وكان من نبوغها فى بعض المواد أن قررت المعارف أن تدرس ملك لقريناتها اللائى كن معها ففعلت . وكان من الصعب جداً على مثلها وفى سنها (١٦ سنة) أن تسيطر عليهن ولكن من الناس من اختصه الله بمواهب يعجز الفهم عن ادراكها . بقيت الباحثة سنتين وسنة اخرى لحبها مهنة تعليم البنات والاطفال .

ومما يذكر لها انها كانت تزور السيدات وترجوهن فى أن يسمحن بادخال بناتهن المدرسة على أن تلتفت لهن التفاتا خاصاً وهكذا حتى امتلأت ببنات الذوات والاعيان بعد أن كانت المدرسة خاليه الا من بنات الفقراء والمعوزين فاليها يرجع الفضل فى اكثار عدد المتعلمات . وكانت فى الاجازات المدرسية

تذهب لبيت ابيها فتشعر بعبء عليها فى حسن ادارة هذا البيت لان والدتها كانت مريضة فى اغلب الاوقات فكانت تجمع اخوتها وكلهم اصغر منها (وكانوا ستاً) وتلق عليهم فى شكل حكايات كل ما كان يدور حولها فى المدرسة فوسعت مداركهم وكانوا يحبونها كصديقة فكان اصحابهم يرونهم يبكون طويلا عقب فراقها ويتهللون عند حضورها . ومن احسن صفاتها الحنان . فانها كانت تحب والدها الى درجة التضحية . فاذا مرض مرضته واذا سافر قامت مقامه وكانت تعمل بيديها كل مايلزم للمنزل من حياكة وترتيب حتى توفر على أبيها لأنها كانت تشعر انها مدينة له بحياتها .

تقول وقد شجع البنات الى مزاولة التلمذة انها كانت تنشر فى « المؤيد » من وقت لآخر قصيدة أو مقالا . وبذلك تكون ملك اول من تعلمت وعلمت وكتبت . ولا حقاق الحق نقول أن عائشة هانم التيمورية سبقتها الى صناعة الشعر فكانت ملك تحفظ شعرها عن ظهر قلب وتعجب بها . ومن الاسف أن عائشة هانم لم يظهر لها الا مجموعة من الشعر . ولكن لعل لها عذراً فان الرجال لم يكن نظرهن إلى تعليم البنات نظراً يوجب الاستحسان .

وقد صارت ملك موضع اعجاب النظارة وكانت تريد أن تعينها وكيلة للمدرسة ولكنها خرجت للتزوج .

خرجت فى احتفال مهيب من اخواتها المعلمات والتلميذات وقد خرجن وراءها يبكين وهى تبكى لاجلهن وقد تقاطرن فى الايام التالية الى بيت ابيها فوعدتهن أن تلتفت اليهن مااستطاعت ولكن تقرر هنا ان كثيراً من التلميذات خرجن عقب خروجها . مثل ذلك كمثل المشروعات السياسية التى تقبر مع صاحب المشروع فى البرلمانات العامة . ولولا متاعب الباحثة فى سبيل التعليم عقب خروجها لكانت الصدمة كبيرة بخروجها لان الثقة بالمدرسة لم تكن على أتمها فى ذلك الوقت .

ومما يعرفه اصدقاء العائلة انها رفضت اثناء التلمذة كثيراً من ذوى المكانة العلمية والمادية لانها لم تشأ أن تفضل الزواج على اتمام التعليم . وكان اعز صاحب لوالدها هو المرحوم الشيخ عبد الكريم سلمان رئيس المحكمة الشرعية العليا وأحد المحررين السابقين للوقائع المصرية . وكان الاستاذ وحده موضع ثقة حفنى بك الى درجة لاتقف عند حد . اخبر الشيخ عبد الكريم اباها انه تعرف بعربى صميم من ذوى النخوة والكرم ومن الادباء والمطلعين على اللغات الاجنبية ومن أحسن الرجال خلقاً ألا وهو شيخ العرب عبد الستار الباسل وجيه قبيلة الرماح بالفيوم . اخبر الاستاذ البك أن شيخ العرب طلب اليه أن يدله على اكثر البنات تعلماً فى القطر المصرى على شرط أن يكون نسبها مما يبعث على الشرف وأحوالها الكمال كله . فأخبره الاستاذ على الفور انه اكرم من تجمع بين تلك الصفات هى الآنسة ملك كريمة صديقه حفنى بك وانه بما له عليه من حق الاخوة يضمن اقناع والدها بهذا . ولم تكن الا ايام قلايل حتى رضى ابوها ورضيت هى مختارة لان ماسمعته اذ ذاك عن آداب الرجل واخلاقه كانت اكثر مما يبعث على الرضى . ولم يتشدد ابوها فى مهر لعلمه أن الاخلاق والرجولة هما خير كنز للفتاة . وتعارف اقرباء العائلتين فى ايام قلائل . وهكذا عقد الشيخ عبدالكريم سلمان عقد القران فى بيت ابيها بالعباسية وكانت ليلة العرس بعد عهد قصير من يوم العقد .

نذكر أن الفرح كان فى غاية الفخامة والبساطة معاً . اتفق الطرفان على أن تقام ليلة واحدة وقد زين السرادق بالكهرباء والثريات الملونة وكذلك بجريدات النخل وعقود الزهر . وقد جاء الى مكان الاحتفال عشرات من العقايل الانكليزيات والفرنسيات والامريكيات وأخذت الصور الخارجية . ومما يذكر انه تجمع لدى العروس كنوز من النفائس التى اهدتها اليها الاميرات والذوات من صواحبها أو منازل أصدقاء والدها وتلاميذه العديدين .

وبعد قليل سافرت ملك الى املاك زوجها فى سفح جبال بالفيوم فسمت نفسها باحثة البادية .

وكان أول ما كتبت مقالا فى « الجريدة » تقترح فيه أن ينشأ فى مصر (مقابر العظماء) على نمط (الوستمنستر) فى لندن أو (البانتيون) فى باريز . فانبرى لها كتاب منهم الشيخ رشيد رضا الذى استنتج ان الكاتب انما هو (باحث بالحاضرة) وليس (باحثة بالبادية) وكان أبوها فى قنا ففهم من التوقيع ان ابنته هى الكاتبة . وظل الاسم مخفياً الى ماقبل أول خطبة خطبتها على السيدات فى القاهرة .

استمرت الباحثة تكتب فالمت بكل أنواع (النسائيات) ولم تكتب فى السياسة الا قليلا وأهم ماورد فى ذلك قصيدة نذكر منها على أثر اعلان قانون المطبوعات مايأتى :

يا امة نثرت منظومها الغير	حتام صبر ونار الشر تستعر
ماذا تقولون فى ضيم يراد بكم	حتى كانكم الاوتاد والحجر
ستسلبون غداً أغلى نفائسكم	حرية ضاع فى تحصيلها العمر
حرية طالما منوا بها كذباً	على بنى النيل فى الافاق وافتخروا

وهكذا حتى استطردت الى مار بما لايسمح بنشره الرقيب اليوم ومن ذلك انها فى حرب طرابلس خطبت فى نساء الفيوم فجمعت منهن مئات الجنيهات . وفى الحرب الكبرى حاكت بيدها مائة قميص ومائة ردا أعطتها (للهلال الاحمر) وقد اشيع فى الدوائر الرسمية انه يقصد نفى الباحثة ولكن خشى فى آخر الامر أن يغضب لها أبناء جلدتها فعدل عن المسألة على أن تلزم دارها .

كتبت كثيرا جمع منه جزء فى (النسائيات) الذى طبعته الجريدة وأما الباقى فهو مبعثر ولكنا علمنا ان بعض محبى العلم كان قدذهب الى (الكتبخانه الخديويه) وجمع كل ماعثر عليه من مقالاتها التى لم تطبع واودعهامنزل زوجها

كذلك لها رسائل فى جريدة (الجون ترك) فى اسطانبول وفى جرائد المانية وفرنسية ولها مكاتبات افرنجيه بينها وبين عظيمات المشتغلات بالمسائل النسائية فى اوروبا .

كانت الباحثة عظيمة فى ذاتها فشهد بذلك لها الفرنج انفسهم وانا لنقراء عاطر الثناء فى كتاب (شتاء امرأة فى افريقا) للكاتبة الانجليزية (شرلوت كمرون) العضوة بالجمعية الجغرافية الملوكية وفيه وصف لمنزل المرحومه وخلقها وحياتها العائلية مما لم يكتب بمثله كاتب .

كذلك اهدت الكاتبة الاميركية (ايليزابث كوبر) كتابها (المرأة المصرية) للباحثة . وكانت هـذه السيدة متعصبة فى آرائها عن مصر والمرأة المصرية ولكنها عدلت كثيرا من آرائها عقب مناقشات شخصية استمرت بالمكاتبة الى ما بعد سفرها .

وقد سافرت الباحثة للرياضة فى آسيا الصغرى والاستانة فاستفادت وافادت

اما الباحثة فخطبت مرة فى دار « الجريدة » بمصر على العقيلات ومرة بادارة الجامعة المصرية وكان لها مشروعات فى هذا الصدد نأسف على أنها لم تتم .

ولما عقد المؤتمر المصرى فى هليوبوليس دوى المكان بالتصفيق والهتاف عند ما ارسلت الباحثة اقتراحاتها اشتراكا فى المؤتمر وتشجيعا للحركة النسائية فاقترحت بنودا آخرها (على الرجال تنفيذ مشروعنا هذا) فكان ذلك أبدع من الاقتراحات نفسها .

ومن آثارها (جمعية النساء التهذيبى) جمعت بين أعضائها أوانس المصريات والفرنج لان وجود هؤلاء يشجع المصريات على الثقة بها ويدعو الحكومة الى عدم التداخل فى أعمالها .

كذلك وضعت برنامجا لمشغل للفتيات الفقيرات وملجأ للنساء وكانت تنوى انتهب هذين المعهدين كل مالها من ميراث . وقد عملت الباحثة فى منزلها بالمنيرة

شبه مدرسة لتعليم التمريض واستحضرت لذلك معلمات عارفات وكان معها كثير من التلميذات التى كانت هى احداهن فى تعلم هذا الفن الجليل .

وهكذا كان لايهدأ لها بال من أجل رقى المرأة الشرقية على العموم والمصرية على الخصوص فلم تجد بابا الا طرقته .

ومما يذكر بالفخر انها كانت فى كل تلك الجمعيات تعطى الرئاسة لاحدى الفضليات كحرم على باشا شعراوى حتى لا تتلف نتيجة اعمالها بما عساه ان يقال من حبها لنفسها ولانها تعرف العقلية الشرقية وفضلا عن هذا وذاك لانها كانت آية فى التواضع .

وكانت ملك فوق ماذكرنا كريمة الاخلاق لم نعرف عن غيرها ما عرفنا عنها فكان لها ايراد صغير تنفقه كله فى عمل الخير فكم رتبت لفقيرات معاشا شهريا وكم علمت فتيات على حسابها وكم تبرعت دون ذكر اسمها فى أمور خيرية لنساء وأطفال . حتى ان صاحباتها غير الغنيات كان لهن عندها جمل سنوى من السمن والارز والدقيق بصفته هدية حتى لا تجرح لهن احساسا .

وكانت كلما علمت أو قرأت عن سيدة مهتمة بالادب أو التربية ساعدتها وتعرفت هكذا بكثير من الاوانس . وفى كتاب الانسة (مى) ما يشهد بمثل ذلك

وكان لديها كثير من الحلى المكدس فباعته أكثره واشترت به أرضا كل ريعها كما ذكرنا فى سبيل الخير .

وكان لديها من الملابس المطرزة الشىء الكثير ولكنا قلما رأيناها تلبسها بل كانت تكتفى بجلاليب الشيت والباتيستة حبا فى البساطة وقلة فى الاهتمام بالمظاهر الخارجية .

وكانت تكره التبذل والتبهرج . ومما يذكر فى هذا المقام انها كانت تستحم فى (سان ستفانو) فرأت سيدة متبهرجة كاشفة الصدر محلاة باجمل الاصباغ كلمتها كما كانت تكلم غيرها . وبينما هى تنصرف اذ عرفت السيدة ان

هذه هى الباحثة فعادت اليها واعتذرت عن تبرجها ووعدت أن لاتعود لمثل ذلك فضحكت الباحثة على قصر عقل السيدة ولكنها فرحت ان كتاباتها كان لها تأثير يذكر فى اصلاح حال المرأة .

وكانت الباحثة تقبل الاطفال وتكلمهم وترسل لهم الهدايا وقد كان بودها أن يكون لها طفل تكيفه بالكيفية التى تراها حتى يكون المثل الأعلى فى التربية ولكن — وهى الصحيحة السليمة — لم يكن فى مقدورها أن تغالب احكام الطبيعة الظالمة وهنا ننصح للرجال ان لايخفوا عن خطيباتهم نقصا سلبتهم الطبيعة اياه فان ذلك ليس فى مقدورهم ولا يعيبهم ولكن عليهم أن لايكونوا ذوى اثرة حتى يتطلعوا الى اقتناء المرأة اقتناء يقضى على آمالها ويتعس عيشها . فانه كما يوجد بين النساء من ينظرن الى الثروة يوجد بينهن من ينظرن الى ارق من ذلك . ولكن الباحثة حينما توصلت الى العلم بان لاحيلة لها فى الحصول على طفل فتحت مواعين حبها الى الاطفال عامة — فكأن الطبيعة حرمتها طفلا واحداً ليتوزع حنان قلبها على الاطفال المساكين .

أما داخل منزلها فقد كانت آية فى الترتيب والاستعداد وكان لها تأثير عظيم فى تحضير البادية كما قال حافظ بك ابراهيم فى رثائها .

(سادت على أهل القصور وسودت أهل الوبر) وحقيقة فمن يذهب اليوم الى تلك الجهة يتعرف الفرق بين الحالة الاولى وبين ماهم عليه من حب الترتيب والاعتناء بالصحة والتعليم وكان بعض ذلك من حبهم أن لايفوقهم غيرهم ولتطلعهم للاحسن ولكن اكثره نتيجة مباشرة لتأثيرها الشخصى فانا لنكاد نرى كل أبنائهم وبناتهم يتلقون العلم فى المدرسة بعد ان كانت الفتاة تتعلم فى المنزل الى العاشرة من عمرها ثم تحجب حجابا عن الدنيا بأجمعها .

وقد ساعدها على اشتغالها بل انقطاعها للتهذيب انها كانت لاتجد رفيقا ولا من تبث اليه شكواها . وانا لنشعر انه كان فى قلبها كمية من الحب الطاهر لو

وجدت حرزا تستودعه اياه لكان كافيا لخلق السعادة كلها ولكنه لايزال فى البلاد الشرقية أثر تغطرس الرجال وأثرتهم بتضييع مالهم ووقتهم ولهوهم بعيداً عن منازلهم ولا يزال فى الجهات البعيدة للاجنبى مقام منعزل كما كانت الحال منذ قرن فى البلاد الاوربية . وقد يجد القارىء بعد ذلك فى كتاب (شرلوت) ولكن يقرأه من بين السطور فى كل مقالاتها . نتساءل لماذا كان لكلام الباحثة تأثير اكثر مما كان للكاتبات الاخريات ؟ سؤال نجيب عليه بكل وضوح وهو ان أهم سبب هو احساسها بما تكتب، حتى ان كل موضوع أرسلت به للجرائد كان كأنه واقعة حال فهى تكتب عن تجارب وخفوق قلب بل واخلاص ضائع بخلاف غيرها ممن يكتب بالصناعة وليس بالشعور .

السبب الثانى هو انها توخت الاعتدال فلم تنس أن تراعى فى طلباتها العادة والدين حتى لايجد القارىء صدمة تصرفه عن الخير كله . أما قاسم بك امين فقد استعمل شجاعته اكثر مما كان يجب فانه صدم الجمهور بما لم يتعود عليه . فكانت الباحثة تقول فى السفور (علموا المرأة وهذبوها ودعوها تختار لنفسها) وفى الخطيئة ذهب البعض الى التشبه بالافرنج ولكنها كانت تقول .

اما السفور فحكمه   فى الشرع ليس بمعضل
ذهب الائمة فيه بين   محرم ومحلل
ويجوز بالاجماع منهم   عند قصد تأهل

وهكذا من دواعى الحكمة والاعتدال .

وقد صادفها غضب فريق عليها لانها كانت تكتب فى الجرائد وكانت تحب السفر الى الخارج وقد كاد ذلك يؤدى الى ما لا تحمد عقباه مع المتمسكين بالعادة والمحافظين من أخوات زوجها واقربائهم ولولا حكمتها وادبها لما استطاعت ان تواصل السير فى وسط لا يفهمها كثيرا فى وسط كان يحلل ضرب المرأة ويعدها سلعة تقتنى ولكنها ضحت نفسها مع الاحترام التام وخدمت مبدأ

يستحيل ان يتلاشى بعد ما ثبتت اساسه ثبات الطود .

وكانت كما تقول الانسه (مى) تغير نفسها لبسا وكلاما عند كل وسط ـ وليس هذا باليسير سيما على من عاشت عيشة حرية الرأى والتصرف ولم تختلط الا بكل متعلمة متمدينة .

من هذا نعرف كيف كانت الباحثة فاضلة فان العلم فى الكتب يغترف منه من يشاء ولكن المهم تطبيقه بحيث ينفع .

على انها كانت تحفظ من الشعر آلافا ـ وقدقرأت كثيرا من كتب الفلسفة والاجتماع وجمعت الى عنتها الشرقية الافكار الحديثة وحدة العارضة وسعة الجبهة ـ وقد قالت (شرلوت كرون) انها لتناقشك فى فلسفة (دارون) و (سبنسر) بشكل يدعو الى الفتنة والاعجاب .

وكانت تحب الفنون الجميلة فتجمع من المصورات الاثرية واسطوانات الغناء وآداب الافرنج ورواياتهم ما زاد شعورها رقة حتى انها كانت قريبة التأثر والبكاء عند كل ما يؤثر ولعل لواعج صدرها كانت تختلط بما تراه أو تسمعه من عذاب الغير وشقائه فتترقرق عينها بالدمع من ظلم الانسان للانسان .

وفى وقت ما مرض والدها ووالدتها فكانت تدير بيت أبيها بالتلفون من (الفيوم) خير ادارة وكانت عند مرض والدها تقوم بكل ما كان يقوم به كما انها فى غياب زوجها سنة كاملة ايام الحرب فى طرابلس الغرب كانت تحل محله فكان ذلك آية فى الحكمة وقوة الارادة .

وحدث ان اخاها كان قد قبض عليه فى حادثة سياسية بالقاهرة وشاع اذ ذاك انه سينال الاعدام من المجلس العسكرى وكان أبوه مريضا فحضرت لتراه للمرة الاخيرة ـ حضرت رغم ارادة الطبيب لانها كانت مصابة بالحمى الاسبانيولية فتضاعفت عليها الحمى ولم تستقر بضعة ايام حتى ازدادت الحمى ـ فكانت أول يوم تتكلم كثيرا بغير انقطاع ثم بدأت فى اليوم الثانى تخرج مقاطيع لا اتصال

بينها وفى ١٢ اكتوبر فاضت روحها الطاهرة وهى فى الثالثة والثلاثين من عمرها فى ريعان النضرة والفتوة والشباب ـ وكان مشهدها رهيبا ودفنت بالامام الشافعى بقرافة العائلة فقبرت معها مشاريع واصلاحات كادت ان تملأ البلاد ولكنها احبت مبدأها وسنت لخلفائها واصلحت التعليم ولا غرو فان كل اصلاحات المدارس النسائية ترجع لاقتراحاتها ومسعاها المتواصل فكان بذلك كل متعلمة فى مصر من تلميذاتها .

وقد كان أبوها مريضا فبكى على القبر بكاء المسكين وقد هون عليه اصحابه فلم تكد تعتدل صحته حتى ذهب ليحضر حفلة الاربعين للتأبين فى الجامعة (فى نفس الغرفة التى كانت تحاضر فيها) قد قيل هناك ما يؤثر حتى ان قصيدة حافظ فطرت قلب السامعين فاطرق أبوها وهو شيخ لا يكاد يستقيم فى السير ثم ذهب مذهولا فانتكست قواه العقلية ولم يكد يعى ومات على الاثر

وقد كانت السيدات تذهبن زرافات فتلقين باقات الزهر على قبرها مما يفتت اكباد الرائين .

وقد اجتمع فى مثل يوم وفاتها من العام التالى فريق من صاحباتها وتلميذاتها والمعجبات بها ورثينها ثم تبرعت صاحبة العصمة حرم شعراوى باشا بثمن صورة مكبرة للفقيدة توضع فى غرفة خاصة بالجامعة يطلق عليها (غرفة باحثة البادية) اعترافا بفضلها واحياء لذكرها

وانه ليسرنا أنه عقب ذلك الاجتماع اجتماعات اخرى نجم منها جمعيات متعددة للفتيات وانشئت بمصر مجلتان نسائيتان ـ وسوف يظهر فضلها بعد حين شأن العظماء عندنا فى الشرق

رحمها الله وعوضها فى آخرتها خيرا ورحم والدها المسكين وانزل على ذويها الصبر والسلوان واتاح للنهضة من يخطو بها خطوها ويتم بناء ماشيدت فانه على قدر فضل المرأة يكون رقى المجتمع . مجد الدين حفنى ناصف

رأي في الزواج

(وشكوى النساء منه)

رد على ما كتبه حضرة مدير الجريدة فى العدد ٣٨٣ بعنوان بناتنا وأبناؤنا

١

كتبتم حضرتكم فى العدد (٣٨٣) من الجريدة مقالة بعنوان « بناتنا وأبناؤنا » تستغربون فيها كثرة تشكى النساء من الزواج فى هذا العصر مع قلة تزوج الرجل باثنتين وقلتم فيها أقوالا صائبة كلها حقيقية ولكنكم عجبتم من ان المرأة كان يرضيها من زوجها أن يعدل بينها وبين ضرائرها فى الكسوة والمعاملة وانها اذا تزوج عليها كان يمنعها الوقار غالباً من ان تفتح قلبها بالشكوى اليه أو الى ذوى قرابة منها بما تجده من الألم . نعم ذلك صحيح لاريب فيه ولكن له أسباباً انتجت تلك النتائج . أولها ان الفتاة كانت اذا شبت وجدت والدتها تعيش مع ضرة او أكثر ورأت خالتها وعمتها على تلك الحال وكذلك صويحباتها ومعارفها فلم يكن ذلك بالشيء الغريب فاذا جاء دورها وتزوجت من رجل له زوجة أخرى وجدت انه لم يخرج عن المألوف وانه تابع لعادة أهل عصره ومصره فلم يكن يحسن بها اذن ان تبدى شكواها من أمر عادى يأتيه كثير غير زوجها ولو انه يؤلمها فى قلبها ويجرح عواطفها . وكذلك كانت التربية غير ما نراها اليوم فبنات العصر الحالى حتى الجاهلات منهن يفهمن الحياة أكثر من أمثالهن الغابرات فاصبحن لاترضيهن الكسوة والطعام فقط كأحد خدم المنزل ولكنهن يقدرن اليوم السعادة الزوجية أكثر من ذى قبل ويعلمن انه اذا لم يكن الحب أساس المعاشرة بين الزوجين فلا معنى للجمع بينهما يتنافران ويتشاحنان كأمثال الديكة الحرقاء . ومن اختلاف التربيتين القديمة والحديثة صفاء الن

والمجاهرة بالقول والحرية فيه الآن والخوف وشدة التكتم حتى على مضض العيش وذلك قبل حتى ان المرأة فى زمن جداتنا كانت اذا أصابها ألم اومرض تبالغ فى كتمانه وتعد المرض أياكان نوعه عيباً تجب مداراته ولكن المرأة الجديدة على عكس ذلك تماماً اذ ترى ان كل شيء من هذا القبيل عادي وان ما يصيبها قد يصيب غيرها فلا معنى لاخفاء أمر يصح ان يقع فيه الجميع . ولا يزال أثر هذا التباين فى الحذر مشاهداً للآن ويكاد يكون محسوساً بين طبقة (بنات البلد) اذ تعد الواحدة منهن من النقص ان تخبر زوجها بصداع قد يصيبها او تتوهم انه يأنف منها ويعافها اذا وجدها راقدة فى سرير الألم والانحراف .لايزال التباين بين هؤلاء وبين الطبقة الجديدة (الالفرنكه) محسوساً وهؤلاء لا يكتمن الا ما يجب كتمانه على الوجه الصحيح هذا كله مراجع الى تربية الوجدان واختلاف تلك التربيه باختلاف الوسط والزمان . هذا من جهة المرأة وحدها وهناك سبب لكثرة الخلاف والتذمر الآن يرجع الى الرجل وحده واليك البيان . رجال الامس على جمعهم بين زوجات متعددات كانوا أتقى منهم اليوم فرجل العصر (الشاب والكهل) تراه يتبجح بان له خليلات وانه بجماله ورشاقة قده واهتزاز اعطافه يسبي ربات الحجال بما فيهن المحصنات وقد يتقول حكايات لا أصل لها فى هذا الموضوع مما تندى له الجباه .ولعمرى ان الجمع بين زوجتين على ما فيه لأحسن من التهتك وانتهاك حرمة الدين وايلام نفس المرأة وتنغيص حياتها . يالله أليس لها قلب يتأثر وشعور يحس وعواطف تثور وقد أصبح رجالنا بفضل هذا التفرنج يعدون من لايشرب الخمر جهاراً ومن لاخليلة له يترامى على قدميها أو تترامى على قدميه (انتيكه) فى عرفهم فلله درهم

والاغرب من ذلك انك اذا ذكرت للشاب او أبيه شيئاً مما يأتيه اجابك هذه هى الحرية الشخصية (على كيفى) أو قال أنا رجل وليس على عار فى هذا فلله انت ولله أبوك . ائتنى بآية من القرآن او ان كان القرآن عندك أيضاً (انتيكة)

فائتنى بمادة من القانون الفرنسى الذى تقلد واضعيه وأهله تحرم التهتك على النساء دون الرجال وتجيز للآخرين الرذيلة وتمنعه الاول . اذا صح عندكم اباحة السفاح لانفسكم فاسهل منه وحقكم ان تجيزلكم السرقة بأنواعها والقتل والسلب والتزوير الى آخر ما يحرمه الشرع والقانون والا فلماذا تختارون أكبر الرذائل وتعدونها سهلة لا اثم فيها وتأنفون اذا قلنا لكم سرقتم .

لا اخالكم تتشدقون بقولكم عندالنصح (أنا رجال) الا لانه لاتظهرعليكم عوارض الخيانة بخلاف المرأة والفتاة فلهما من أحوالهما الطبيعية المختصة بهمامالا يأمنان معه شر الفضيحة والعار فان زعمتم ان التقوى هى خوف النتيجة المحسوسة وان الذمة والضميرلا يردعان ولا يمنعان المرء من اتيان المعاصى فبعدالما تزعمون وساء ما تتوهمون

وليت هذا السلوك القاصم لروابط الالفة بين الزوجين يقف عند هذا الحد بل له عواقب اوخم من التذمر واسوأ من البغض وهى شطط المرأة بباعث الانفعال والحزن أو الانتقام والخبث وخروجها متبرجة فى الطرقات أو وقوعها فى مهواة الرذيلة وسقوطها السقوط الابدى والعياذ بالله . وفى تلك الحال يلام الرجل لانه شجعها على ما أتته بما يأتيه هو وهى تعتقد انها بشر مثله ويحق لها من الحرية الشخصية بقدر مايحق له فضلا عن اعتقادها بانه قدوتها . يبعث ظلم الرجال وسوء سيرتهم النساء الى السقوط فى الرذيلة فيسقطن الا من عصم ربك وهؤلاء تمنعهن تربيتهن الصحيحة وشرف مبادئهن عن الاخلال بالدين والآداب ولكن يصبن فى الغالب بحمى الدماغ أو الهستريا والجنون أحيانا وتكثر همومهن ويعد من لذة العيش فيالظلم . لماذا يشقى عضو من المجتمع الانسانى خلقه الله ليكون سعيداً . يشقى لاستبداد الرجل ويضحى حياته ليتنعم الرجل فاذا أردتم أيها الرجال ان ترفرف السعادة على بيوتكم فاختاروا الزوجة الملائمة كل بحسب مايرى اذ (لكل امرىء فيما يحاول مذهب) ولا تتقيدوا أنفسكم بافكار العجائز

والمشيرين ثم اسلكوا سبيل الجد فى الحياة فقد كفاكم هزلا ان استعبدنا الغير ونحن لاهون واجعلوا من أنفسكم صراطا تتبعه زوجاتكم . فان كنت أيها الرجل عاقلا فلتكن زوجتك مثلك وان كنت خليعا فامرأتك خليعة وان اسرفت اسرفت وان فترت فترت وهذا بحكم تأثير المعاشرة فى الخلق والعادة بالطبع ولارضاء الزوج من جهة أخرى لان كلنا يعلم ان الملائمة هى أس الاتفاق فاذا اجتمع عاقل بمجنون شقى والعكس بالعكس فترى العقلاء معا فرحين والمجانين معا على أتم ما يكون من الجذل وكذلك الحال فى العلماء والجهال وكل شئ له نقيض فان الثعالب لاتتفق مع الدجاج والجرذ لايتوقع أن يكون أليفه الهر

وفى المرأة صفة غريزية هى تقليدها الرجل لانها تعتقده مرشدها ومعينها ابا وزوجا وقد ذكرنى ذلك بمحادثة دارت بينى وبين سيدة انكليزية من صواحب اللادى كرومر أيام اقامتها بمصر فسألت تلك السيدة « انى ألاحظ ان اللادى تترك التأنق فى ملبسها شيئاً فشيئاً فهل تعرفين سبباً لذلك » فاجابت « انها تتعمده لتكون هيئتها اقرب الى التقدم فى السن منها الى هيئة الشباب لان زوجها شيخ وتحب ان لاتسوءه بفكرة انه مسن وانها اصغر منه سنا بكثير » الا فلينتبه الرجال لذلك وليتقوا الله فى نسائهم واعراضهم وليعلموا ان التقوى مطلوبة فى السر والعلن وان الله يرى . ياقوم تداركوا الامر قبل فواته فان كنتم ترضون لنظام بيوتكم بالاختلال وللثقة بينكم وبين أزواجكم بالضياع ولأمتكم بالتأخر فاستمروا على فسادكم وان كانت فيكم بقية غيرة وحمية وتحبون وطنكم كما تدعون فأصلحوا أحوالكم تصلح حال نسائكم ونقوا وردبيوتكم من شوك الهم وسنوا سنة صالحة لابنائكم وبناتكم من بعدكم يكن لكم أجرها الى يوم الدين ولله عاقبة الامور

الحجاب أم السفور

رد على خطبة القاها حضرة عبد الحميد افندى حمدى بشأن الحجاب

— ٢ —

تتبعت خطبة الاديب عبد الحميد افندى حمدى عدداً عدداً فى الجريدة فشكرت له اهتمامه بترقية المرأة وأثنيت على اجتهاده وشجاعته الادبية . وقد وجدت خطبته صحيحة المقدمات متينة المبنى الا أن لى رأيا أبديه فيها . وقد يعن بخلد أحد القارئين أننا ننتقد الخطيب حباً فى النقد أو تمسكا بحب القديم وجموداً منا عليه لكن الحقيقة لا هذا ولا ذاك وكل امرىء حر فى فكره حر فى قبول فكرة غيره أو رفضها حسبما يشاء بشرط أن لا يضر ذلك الرفض أو القبول بالغير

أما ما يرجوه الكاتب من تعليم المرأة تعليما صحيحاً فانى أوافقه فيه تمام الموافقة ويجب أن نحث غيرنا عليه بما نستطيع وقد اصبح هذا القول بديهياً لا يحتاج لان أطيل فيه الكلام لاسيما وقد وفاه الخطيب حقه فى خطبته فجزاه الله عنا خير الجزاء . بقيت مسألة الحجاب وهى تلك المسألة العويصة التى قامت من أجلها منذ سنين حرب قلمية عنيفة وضعت أوزارها على غير جدوى لم يفز فيها (المحافظون) على القديم ولا (الاحرار) .

ولست انتقد اقتراح السفور من الوجهة الدينية لانى اعلم أن الدين لم يحرجنا فى هذه المسألة كما بين ذلك حضرة الخطيب ولا من الوجهة الاقتصادية فان باقتراحه ان نلبس لباساً يضارع ما ترتديه الراهبات المسيحيات لتوفير كبير لما كنا عساانا نصرفه فى تأنيق اللباس الخارجى كما يفعل نساء الفرنجة مثلا . كذلك لست انتقده من الوجهة الادبية فان ذلك اللباس وبساطته لا يليق بتأزرنا به من تلك الحبر المهلهلة كما سماها الخطيب ولا دل على حشمة صاحبته وان كانت سافرة

مما تلبسه الآن مبرقعة وشتان بين هذا البرقع الوهمى والبرقع الصحيح

اذن لم يبق للموضوع الا وجهة واحدة وهى الوجهة الاجتماعية واذا انتقدته من تلك الجهة فانى لاأقلد فيه عادة ولا اتبع رأى غيرى بل اصرح بما اشاهده عيانا وبما اعرفه من احوال شتى جربت فيها النساء المختلفات والتجارب يجب أن تقدم أوامرها على أوامر البحث والتخيل اذ هى تعلم بعد أن تترك اثراً فى النفس لايزول أما التخيل فقد لايطابق الحقيقة وان طابقها فقد لايعلق كثيراً بالذهن لانه لااثر له إلا فى المخيلة بعكس التجارب فاثرها يبقى فى الحواس والذاكرة فاذا نصحت طفلا أن لايلمس النار لئلا تحرقه فان ولعه بالحركة والاستكشاف لايزال يغريه بلمسها حتى يفعل ولا تنفع نصيحتك له أما اذا لمسها مرة واحرقت اصابعه فانه يبتعد عنها كلما رآها ولو أمر بلمسها . وعليه فلسنا متبعات رأى من يأمرنا بالحجاب ولا رأى من يقول بخلعه لمجرد أن هذا تعب وكتب . وذاك نقب وخطب . الا اذا تبينا الرشد من الغى وعلمنا من التجارب أولى الخطتين بالاتباع . وأمامنا الطبقات المختلفة والاجناس العديدة يجب أن نبحث كلا منها على حدته ونجمع منها كلها حكما واحداً نحكم به على انفسنا امابالحجاب أو بالسفور أو غير ذلك مما سنوضحه بعد . وطبقات النساء (كالرجال) فى كل أمة ثلاث العامة والخاصة والوسط وأصحها آدابا فيها كلها على الاطلاق الوسط ولا بد لذلك من سبب . نعم السبب راجع الى التربية فالخاصة أو طبقة الغنيات يرخين لانفسهن العنان فى الملاهى والملاذ والجدة مفسدة فى الغالب خصوصاً اذا اقترنت بالفراغ وهؤلاء عندهن من الخدم من يقوم بشؤون بيوتهن وأمور أولادهن وقد يعودن عيش الكسل والراحة

والطبقة الدنيا تجد من حاجتها باعثاً لها على طرق الطرق المختلفة لتجلب ما تسد به الرمق ويختلط نساؤها برجالها فى المصانع والمزارع وغيرها وهذه الطبقة شر على الآداب فى كل امة حتى فى الافرنج وهم ليسوا مقيدين بحجاب ولا عادة

يقال معها انهم لما خالفوها وقعوا فى شر منها كما يجوز تطبيق ذلك علينا

وطبقة الوسط وهذه دائماً احسن الطبقات آدابا وأكثرهن حشمة ووقاراً ولرب معترض يقول مالنا وللطبقات وآدابها وما نسبة ذلك للحجاب وقدادخلت فى حكمك هذا كل الامم حتى التى لاحجاب عندها . فأقول متى عرفنا ذلك التقسيم وقارنا بين درجة اختلاط النساء فى كل طبقة برجالها علمنا تماما أن الاكثر اختلاطاهن الاشد فساداً

وانك اذا استقصيت حوادث النساء فى مصر وجدت اكثرها فى الطبقة الدنيا منها بما فيها الفلاحات اللاتى وصفهن الخطيب الفاضل بالنزاهة والحشمة وقد رأيت القرويات كثيراً وحادثتهن واستخلصت من احوالهن أن ظاهرهن الجد دائماً وذلك لعدم رؤيتهن من يقتدين به فى اسباب الخلاعة وقد سمعت أن كثيرات منهن يهمن برجال ممن يختلطن بهم فلو كانت القرى كالمدن فيها متنزهات بعيدة عن اعين الرقباء أو كانت الفتاة يستغنى اهلها عن شغلها وتعبها قليلا لافتت ولساوت طبقة المدنيات السفلى (وأعنى بهن بائعات البرتقال ومثيلاتهن) فى الفساد والوقاحة . فهؤلاء فسادهن من سوء التربية لامحالة ولكن الاختلاط بالرجال زادهن فجوراً

واذا رجعت لغنيات مصر وهن (الذوات) ويقلدهن بعض نساء الوسط فهؤلاء يتفنن فى الملابس ويكثرن من الخروج تحككا لان يسمح لهن برفع الحجاب ولكن على طريقة بعيدة من الادب فانهن لو كن يطلبن ذلك رغبة فى الحرية الشريفة مثلا أو انهن يشعرن ان الحجاب يمنعهن عن الاستفادة من العلماء أو غير ذلك من الاسباب الجائزة لوجب اعطاؤهن ما يطلبن بغير تكلف البحث والعناء . أما ونساء مصر على هذا الجهل المطبق ورجالها الا القليل على هذا الفساد المستحكم فلا يجوز مطلقا اباحة الاختلاط . على ان الافرنج وهم المتعلمون نساء ورجالا يشكون من فساد مجتمعهم وقلة وفاء أزواجهم واذن نعلم ان الطبيعة

البهيمية فى الانسان تجتاز عقبات التربية وتخترق سياجها الا الشاذة والشاذة لاحكم لها
بقيت مسألة واحدة أجملها اجمالا وهى المثل القائل (ان الطفرة محال)
فنساء مصر متعودات الحجاب فلو امرتهن مرة واحدة بخلعه وترك البرقع إرأيت
ما يجلبنه على أنفسهن من الخزى وما يقعن فيه بحكم الطبيعة والتغير الفجائى من
أسباب البلاء وتكون النتيجة شراً على الوطن والدين . واذا أردت هدم بناء
أفلا تهدمه قليلا قليلا الى ان يتم الهدم فتبنى على انقاضه أحسن منه. فاذا فرضنا
محاولة هدم البناء دفعة واحدة (مستعملين الطرق والآلات التى نستعملها الآن)
تصورنا كيف يستحيل ذلك مع بقاء المارة والبنائين سالمين فضلا عن الانقاض
كزجاج الشبابيك والخشب وما أشبه ذلك فهذه الباقيات الصالحات فى المرأة هى
العفة والحياء والمنزل البالى حجابها الآن والسابلة الوطن والدين والفضائل
فناشدتك الله أيها الاديب كيف تأمرنا الآن بالسفور ونحن اذا مشت
احدانا فى طريق لاتزال تنصب عليها عبارات الوقاحة وبرشقها هذا بنظرة فاجرة
وذاك ينضح عليها من ماء سفالته حتى يتصبب عرقها حياء فمجموع رجال مثل
مجموعنا الحالى لايصح بحال ما أن يوكل اليه أمر امرأة وتترك عرضة لسبابه وقلة
حيائه ومجموع نساء كنسائنا الآن لايفهمن الاما يفهمه الرضيع يصبح سفورهن
واختلاطهن بالرجل بدعة لا انتهاء لشرها . ثم أفدنى أيها القارىء بالله ماذا تقول
امرأة جاهلة أو متعلمة تعلماً ناقصا لشاب تجتمع به ؟ أتباحثه فى العلوم وهى
لاتدرك أهميتها او تعلم منها قشورا لايعتد بها أم تناضله فى السياسة وهى لاتعلم
أين انكلترا من جزائر الارخبيل ولا يمكنها ان تفسر لفظة دستور أو استعمار
مثلا أم ماذا تفعل اللهم انها لاتجد شيئاً تقوله الا ماقد تستحسنه من هيئته
وحسن بزته وهناك الضلال الكبير
والمتعلمات فى مصر الآن يزددن عدداً وفيهن من يصح أن تلقى اليهن قيادة
اخواتهن . وسيجىء زمن ينشأ فيه جيل من النساء غير جيل (السحر والزار

والرق) وهؤلاء يثمر فيهن البذر فاذا أتعب الباحث نفسه فى نصح النساء الآن بين قد يجد من تسمع ولكنه لايجد من تسمع وتعقل ولا يبعد ان يكون من بين سامعات خطبة عبد الحميد افندى من قد تقلدت القبعة وتزيت بزى الافرنج وسارت فى الشوارع تفاخر بأنها من ذوات الفكر الحر ومن صاحبات التمدين الحديث

والخلاصة ان خروجنا بغير حجاب لايضر فى نفسه اذا كانت أخلاقنا وأخلاق رجالنا على غاية الكمال وأظن هذا مستحيلا او بعيد الحصول فاذا حصل التمازج وكان على هذا الشرط فلا اعتراض لى عليه

وهناك قوم يشددون فى تقدير الحجاب فيحبسون المرأة مؤبداً ويمنعونها من زيارة جاراتها ويضيقون عليها بحيث لاتستنشق الاهواء بيتها الضيق الدائرة فتفسد صحتها وتكسل عن الحركة ومنهم من يفتخر بأن امرأته لم تبرح بيتها طول عمرها وهؤلاء أيضاً متطرفون لان المرأة لها رجلان يجب ان تتحركا وعينان يجب ان تبصرا فاذا صاحبها أبوها أو أخوها أو زوجها مثلا فى نزهة وأراها محاسن الطبيعة ودقائق الموجودات وجدد قواها بالحركة واستنشاق الهواء الجيد وهى بمئزرها محتشمة فلا يخرج ذلك عن معنى الحجاب (وهنا استسمح الخطيب الاديب فى استعمال لفظة حجاب على غير مامر لاننا لو رددنا كل المجازات الى الحقيقة لصارت اللغة اضيق من سم الخياط)

على ان هذه المسألة واختلاف الآراء فيها قاضيها العادل الزمن والمستقبل فكم من مسألة أبى قوم الا اتباعها وآخرون نبذوها نبذ النواة فاختلفوا وجاء الزمن مؤيدا فيها الفريق دون فريق فصارت له القوة ورجع له الحول فاتحدوا فيها ورأيى ان الوقت لم يأن لرفع الحجاب فعلموا المرأة تعليما حقا وربوها تربية صحيحة وهذبوا النشء واصلحوا اخلاقكم بحيث يصير مجموع الامة مهذبا ثم اتركوا لها شأنها تختار ما يوافق مصلحتها ومصلحة الامة وان هذا الموضوع

وأمثاله لما يدعونا الى التفكر والتبصر فاننا بدأنا أن نجارى الافرنج فى كل شىء والمجاراة ليست ضارة فى حد ذاتها ماديا ولكن ضررها اجتماعى محض فضلا عن كل ما بينت فى مقالى هذا فاننا لو سلمنا بما يقترحه الكتاب من ضرورة تقليد الغربيين فى امور معاشنا ولباسنا وزى بلادنا مما قد لا يوافق روح الشرق فاننا نندمج فيهم ونفقد قوميتنا بمرور الزمن وهذا هو ناموس الكون اذ يفنى الضعيف فى القوى وانه لمن العار ان نهمل هذا الامر يجرى مجراه . فادعو الكتاب والباحثين للتفكير فيه وفى ايجاد مدنية خاصة بالشرق تلائم غرائزه وطبائع بلاده ولا تعوقنا عن اجتناء ثمار التمدين الحديث

ماذ نبذا

رد على ما كتبه حضرة (الخانقاه) فى الجريدة بشأن تبادل ارسال النشء والمصاهرة بين الترك والمصريين

— ٣ —

كتب حضرة الاديب (الخانقاه) يقترح على الامة المصرية أن تتبادل مع تركيا ارسال النشء من بنين وبنات وقد رد عليه كثيرون مصوبين فكرته ومخطئين لها على انهم لم يحيطوا بالموضوع من جميع اطرافه وعذرهم فى ذلك انهم رجال وقد لا يعود عليهم بالذات ضرر ما من تنفيذ ذلك المشروع . ولا يهتم بدرس اقتراح كهذا خطير الا من قد تقع عليه اضراره فيما لو نفذ ونحن معشر النساء المصريات اكثر الناس تعرضا لمثل ذلك الخطر

أنا لا اعترض على الموضوع فى ذاته ولكنى أعترض على بعض لوازمه المربوطة به . على انى أوافق حضرات الكتاب الذين أبانوا أن بيوتنا لا تصلح لان يقتبس

منها التركى أو التركية شيئاً يزيده معرفة أو علماً ولكن بصرف النظر عن هذه الحقيقة المؤلمة فان الاختلاط الشديد بين الأمتين بهذه النسبة التى يتمناها (الخانقاه) لابد وأن ينتج عنها المصاهرة بين افرادها وان كانت النساء التركيات أغلبهن متعلمات بعكس اخواتهن المصريات فيكون للأول الرواج فى سوق الزواج الآن أما الأخر فعليهن العفاء ولهن الكساد

وان من يتصفح تاريخ المرأة المصرية الحديثة يرى انها كانت دائماً مظلومة مهضومة الحقوق ففى عصر اسماعيل هجم علينا جيش الشركسيات انهزمنا أمامه وخرج ظافراً منا بأحسن رجالنا فلم يكن شريف أو نابه بمصر الا وام ولده جارية شركسية من شراء اسماعيل

ثم ابتدأ رجالنا فيما بعد ذلك الزمن يتزوجون بالاوروبيات وليتهن من ذوات الشرف ولكن كان اكثرهن ان لم نقل كلهن من فريق الراقصات والخادمات واضرابهن . كل ذلك يجرى ونحن ساكنات ننظر ولا نتكلم خيفة الرب . ولكن نساء ذلك العهد كن جاهلات لايفقهن شيئاً وربما كان ذلك خير قصاص منهن على الجهل (على أن هذا لم يكن من جنايتهن على انفسهن ولكن جناه الوالدون عليهن) . أما وقد صار بمصر الآن من المتعلمات من يصلحن للزواج بابناء جلدتهن افليس من العار أن تقدر على أن تجعل ابنك شريفاً من أم ذات حسب فتختار ان يكون ابن جارية شركسية أو راقصة اوربية ؟؟ ثم أليس من العار ان تشرئب دائماً لما فى يد غيرك وعندك احسن منه ؟

ألا رب معترض يقول ان قد بطل الرق الآن وان من يصاهر الترك يصاهر اكفاء هذا صحيح ولكن الأم تغذى الطفل بأميالها وطباعها كما تغذيه بلبنها فاذا ماحنت التركية لوطنها (وكل يحن بالطبع لوطنه) نشأ متشبعا بأميالها يحب تركيا ويميل عن مصر وهو معدود من رجالها

وسبب فشل المصريين وعدم ميلهم الفطرى للاتحاد هو على ماأرى ناشئ

عن تشعب اجناس امهاتهم فأبن الفرنسية يحب فرنسا وابن الزنجية يذكر خصب السودان وابن العربية يفتخر بمحتده وولد المغربيـة لايفتأ بذكر بلده وهكذا اضعنا وطنيتنا المصرية من طريق المصاهرة بالاجانب

ثم اجدنى محقة اذا قلت ان الدم يحن لنوعه فاذا تكافأ الرجل والمرأة فى العلم والتربية وكانا مصريين مثلا فان الحب بينهما يكون اصدق وامتن منـه لو كانا مختلفى الجنس والمـذهب . فاذا أراد الاديب (الخانقاه) ان يختـار لنفسه حليلة غير مصرية فليكن ولـكل امرئ ما يرى ولـكن ليتـذكر اخته وابنته وبنات عمه وقريباته فسيكون نصيبهن من غيره نصيب غيرهن منه والسلام

مدارسنا وفتياتنا

رد على من ذكرت اسماؤهم فى هذه المقالة

— ٤ —

لم يكن يدور بخلدى ساعة كتبت موضوع (ماذنبنا) ان يخطئ فهمه احد لانه من السهولة ووضوح الغاية بحيث لايتعذر تفسيره ولـكن ظهر لى من كتابة الكاتب فى جريدة (لابورصاجبسيان) ومن كتابة التركيـة « على الهامش » انهما ذهبا فى واد وانا فى واد

أما جواب السيدة التركية فانه يكفى لان يقرظ نفسه ولا اقول فيه اكثر من ذلك لانه دل على مبلغ اخلاقها ودرجة حلمها على انى اشكر لها حميتها ودفاعها عن نساء جنسها والتمس لها بعض العذر على حدتها لان المسيو (أودولف) هاج كامن عواطفها ولـكنى لاأرى له هو رأيا أن يجرح عواطف اخواتنـا (أولاد الذوات) ولا اجيز له أن يؤول مقالتى تأويلا لم أرده فقد ذكر انى قلت « أن

الغربيات لايصلحن لادارة البيوت » وهو يعلم أن هذه العبارة لم ترد البتة فيما كتبت وان ظنى بأن الكاتب لايعرف العربية أو ان الذى ترجم له كلامى لم يحسن له الترجمة يجعلنى احمل تهكمه وخروجه عن الموضوع على محمل حسن :

أما الفاضل (المتحرج من الزواج) فقد صدق فى كثير مما قاله عمن يدعون انفسهن بالمتعلمات ولسن من العلم ولا من التهذيب فى شئ واضرمايكون هؤلاء اذا تزوجن لان المتزوجة عليها واجبات شتى وعلى قدر الواجب تكون المسؤلية وهؤلاء لايدرين حقوقهن ازاء الزوج ولا فن تربية الاولاد ولا كيفية معاملة الخدم وو ... الخ مما يجب معرفته ويراهن على جهلهن هذا شامخات بانفهن نحو السماء ويحسبن الاشتغال بلوازم البيت حطة لمقامهن فيقضين وقتهن بين حديث خرافة وخروج فى الشوارع وهن على العموم اكثر النساء اسرافا وتبذيراً فضلا عن البهرجة وقلة الحياء فلا علما اتقن حتى تتهذب نفوسهن ولا على تربية منزلية محضة درجن حتى يعلمن على الاقل طبخ عشاء بسيط اذا تركتهن الطاهية يوماما

وهذه الفئة الجاهلة الدعية فى العلم هى ولا شك فئة خريجات مدارس الراهبات وكثير من المدارس الاهلية الاخرى وقد خبرت مدارس البنات بانواعها « ولا ينبئك مثل خبير » وحسبك وقوفاً على مبلغ علم هؤلاء أن تسألهن سؤالا بسيطا عن بعض مايلقينه على مسامعك مثل الببغاء فلا يحرن جوابا . أما التدريس فى تلك المدارس فهو على النظام الذى أخنى عليه الدهر أو محفوظ عن ظهر قلب وليس فيه للتعقل أو المحاورة نصيب يذكر ثم أن احداهن لتسمعك تاريخ فرنسا ولا تكاد تأخذ نفسها من سرعة الالقاء واذا سألتها عن عمر بن الخطاب أو صلاح الدين الايوبى أو محمد الفاتح واضرابهم من حماة الاسلام قالت لك لاأدرى

ومدارس البنات فى مصر كلها خلا مدارس الحكومة الثلاث لاأثر فيها الا تظاهر بالعلم ورياء وهى فى اعتقادى لاتصلح مطلقا لتربية البنات المصريات لانها فضلا عن قلة بضاعة العلم فيها تجعل تلميذاتها على خلق غير ملائم لنا

ومما يؤسف له أن القوم عندنا لايفرقون بين الصالح وغير الصالح فاذا ادخلوا ابنة لهم فى مدرسة للحكومة وأمرتها ناظرة المدرسة أن تلبس جلبابا مغطى الصدر والكمين مثلا أو تخلع حليها وقت الدرس عدوا ذلك اساءة لابنتهم المدللة وقطعوها عن المدرسة كما شاهدت مراراً

نحن المصريين نحب الظهور والفخفخة بغير نظر الى النفس وفضائلها. وهذا نقص فى التربية يجب محاربته وازالته واكثر الآباء وجميع الامهات عندنا لايقدرون من تعلم البنات الا العزف على « البيانو » والرطانة لانهما ظاهران

وبالجملة أقول ان أحسن مدارس البنات فى مصر هى مدارس الحكومة أخلاقا وعلما على انها لاتزال تقبل الاصلاح والرقى

ولى كلمة أخرى فى هذا الموضوع تتعلق بالبيت والمدرسة ارجئها لفرصة أخرى

تربية البنات

فى البيت والمدرسة

٥

كلنا يعلم ما تعودنا سماعه من أمهاتنا فى سن الطفولة الاولى أيام كان يغرينا النشاط وحب العمل بمداومة الحركة واستكناه كل شىء مما تقع عليه حواسنا ولو أدى ذلك الاستكناه الى كسر الشىء أو تلفه . حينذاك كنا نسمع والدتنا تقول « خذوها للمدرسة » فترتسم المدرسة فى مخيلتنا عفريتا يهول منظره لاننا كنا نعد غضب الوالدة أكبر قصاص لنا وهى لم تفه بلفظة « المدرسة » الا فى ساعة الغضب ؟ هذه أول فكرة تلقى علينا من جهة المدرسة فاذا شببنا قليلا وأتى بنا اليها ملأنا أرضها صراخا وعويلا وطال أمد الوحشة بيننا وبينها

تبذل معلمات المدارس جهد الطاقة فى تثقيف عقول التلميذات وتعويدهن

الفضائل ولكن تلك الدروس اذا لم تدعمها الممارسة والمشاهدة لاتلبث أن تزول

ترى احدى المعلمات تنصح لفتياتها بان لايرتدين فى المدرسة الأثواب المزركشة أو الرقيقة الشفافة فتأتمر الفتاة بأمرها وما هو الا يوم حتى ترى والدتها احضرت لها من تلك الثياب أقلها حشمة وأكثرها بهرجة. واذا عارضت الفتاة وقالت قد نهينا عن لبس مثل تلك الثياب أمس اجابتها والدتها لاتكترثى بكلام المدرسة فهو موجه للفقيرات فقط لا لبنات الاغنياء مثيلاتك ؟ اذاً ضاع النصح هباء وتشجعت الفتاة على العصيان وعدم الاكتراث . كذلك المدرسة تدرب التلميذات على النظام وبيوتنا بفضل الجهل لانظام بها وقصارى القول ان ما تبرمه المدرسة لنفع التلميذات ينقض فى البيت ولا سيما مسألة الاخلاق. وأسطع برهان على ان البيت يفسد ماتصلح المدرسة الفرق الظاهر بين التلميذات الداخلية والخارجية فان الاوائل كلهن أكثر نظاماً وترتيبا من الأخر وأغلبهن أشد تمسكا بالفضيلة لانهن ينشأن على البساطة والحشمة وقد رسخ ذلك فى اذهانهن لانهن يمارسنه بالفعل ولا يجدن أمامهن ما يفسد ذلك الدرس المفيد

فياليت شعرى هل يخفف المنتقدون قليلا من حدتهم عند انتقاد مدارس البنات لان بيوتهم ونظامها أدعى الى الانتقاد منها والامهات الجاهلات أكبر عثرة فى سبيل نجاح المدارس ولا سيما اذا كانت بناتهن من القسم الخارجى وليس من الانصاف أن نكلف المدرسة بملاحظة الفتيات فى مغيبهن عنها اذ أن اعضاءها لم يكن يوما ما من الشرطة (البوليس) ويكفى ملاحظة التربية والتعليم فى المدارس وليس ذلك بالامر السهل على القائمات به

المدرسة تأمر التلميذات بالنظافة وترتيب الهندام والبيت لايعنى بذلك كثيراً فاذا غسلت الفتاة شعرها يوماً تنتظر بعده اسبوعا بغير تمشيط حتى تجيئها الماشطة وتمشطه لها فى الاسبوع التالى ويظل رأسها بين الاسبوعين معقداً قذراً فترجعها المدرسة الى البيت مرة اخرى وتكون النتيجة تأخر الفتاة عن تلقى

الدرس وربما استشاطت والدتها غضباً من تكرر رجوعها فتخرجها من المدرسة وهى لو مشطت ابنتها كل يوم لما استغرق ذلك أكثر من ثلاث دقائق ولكن هو الجهل والكسل

حادثتنى مرة ناظرة مدرسة للبنات فى شأن التلميذات الخارجيات اللاتى يعدن الى البيت كل يوم لقذارتهن قالت (انى اعجب لامهاتهن كيف يرضين لانفسهن أن تشتمهن المدرسة كل يوم ولا يخجلن » ! قلت لها وكيف تشتمهن المدرسة قالت « أليس ارجاع البنت الى امها بسبب الوساخة يعادل قولك لها انك أيتها السيدة قذرة ولا تصلحين لادارة بيتك وأكبر دليل على ذلك اهمالك ابنتك وهى فلذة كبدك وأعز عليك بالطبع من المنزل واثاثه ورياشه ؟ولو رجعت تلميذة فى انكلترا (وهى بلدها) الى أمها بسبب القذارة لفكرت تلك الام أن الانتحار أولى لها من أن تسب علنا بأنها قذرة ») هذا حقيقى لان الام الانكليزية متعلمة وتعرف حقوق التربية وشتان بينها وبين اختها المصرية

هذا فى الاخلاق وقل مثله فى التعلم . فان الفتاة ربما احتاجت الى مذاكرة دروسها فتشغلها زيارة النساء لامها مابين (دلالة وماشطه « وكودية » زار) وعلا أن قلبها الصغير النقى أوهاما وخزعبلات فيهدمن ركنا من فضيلتها ويبنين مكانه نقصا ورذيلة فضلا عن انها يعقنها عن مذاكرة الدرس والاستفادة منه . فلو كانت تلك الام متعلمة أو جاهلة تقدر العلم قدره لذاكرت لابنتها وافهمتها ماتعسر عليها فهمه فى الحالة الاولى أو اعدت لها مكانا بعيداً عن لغط الزائرات فى الثانية

أعرف أختين كانتا معى فى المدرسة وقد قصتا علينا يوما الحديث الآتى وقد كانت احداها فى السنة الاولى الابتدائية والثانية فى السنة الثانيــة . ومعلوم أن تلاميذ وتلميذات هاتين الفرقتين فى المدارس المصرية لايمكنهم التكلم بلغة اجنبية قالتا « سألتنا يوما والدتنا اذا كان يمكننا التكلم بالانكليزية فأجبنا

ايجابا ولما لم تكن تعرف هى منهـا شيئاً لم نجد ماتوهمها به سوى بعض ابيات انكليزية كنا حفظناها فى السنة الاولى وهى حكاية عن طفلين ضاعا فى غابة الخ فاخذنا نتناوب شطور الاشعار أقول انا الاولى وأختى تقول الثانية الى ان فرغنا منها ففرحت والدتنا بذلك وشهدت لنا باننا بارعتان فى لغة الانكليز ! »

ذلك مثال من كثير يبين أن جهل هؤلاء الامهات لايقتصر على تأثير بناتهن فى العلم ولكنه يشجعهن على الكذب والفساد أيضاً وان كن لايدرين

وادهى من ذلك وأمر ان الفتاة اذا شبت وكعبت فان الأم لاتفتأ تذكر لزوجها وابنتها تسمع — ان ابنتها كبرت وانها يجب أن تترك المدرسة لتتزوج وان فلانا وفلانا ارسل والدته أو أختـه تخطبها . فلا تلبث الفتاة أن تلتفت الى أمر الزواج وتهمل المدرسة لان والدتها تغريها بذلك وتهتم به كثيراً . فاذا أمطرت السماء يوماً ولو رذاذاً قالت لها لاتذهبى الى المدرسة . واذا اشتد البرد منعتها عنها . واذا زادت الحرارة قليلا صدتها . واذا ذهبت لعرس احدى جاراتها أخرتها يومين أو ثلاثة وهلم جرا . والفتاة مظلومة اذا لم تستفد من المدرسة بعد هذا ولكن المدرسة مظلومة أكثر منها اذا نسب تأخر الفتاة كله اليها

ولا تكمل تربية الفتيات بحيث تصير المدرسة مسئولة عنهن بالمعنى الصحيح الا اذا كن لايبرحنها كالداخلية مثلا أو اذا كانت أمهاتهن متعلمات يساعدن المدرسة على القيام باعبائها وهذا يظهر فى الجيل القادم من بناتنا ان شاء الله

الزواج

﴿ يا للنساء من الرجال ويا للرجال منهن ﴾

— ٦ —

بينا أنا أفكر فى موضوع اكتبه للجريدة اذ قرأت ما جاء بها بقلم (أحد الناس وحديثه مع فتاة فتأثرت به أيما تأثر وقلت فى نفسى اذا كان الرجال

يخوضون مثل هذه الموضوعات فنحن أحق بها منهم لانها بنا أمس. وأجدر منهم بالشكوى لوقوع حيفها علينا . وسأتكلم هذه المرة على طريقة الزواج عندنا لانها مقدمة لموضوع تعدد الزوجات الذى سأكتب عنه فى المرة القادمة ان شاء الله

طريقة الزواج فى مصر طريقة معوجة عقيمة نتيجتها فى الغالب عدم الوفاق بين الزوجين . يقيم الرجل معالم العرس أياماً وليالى ويتكبد مصاريف جمة لعروس لم يرها عمره ولم يتأكد من حسن أخلاقها او جمال نفسها انما سمع عن بياضها وسمنها أو مالها من الخاطبة التى تصف حسب نصيبها من نوال العروس وأهلها؟ فاذا أجزلوا لها العطاء صورت ابنتهم للشبان الخاطبين فى صورة « بلقيس بمالها أو شيرين بجمالها » وما هى الا أحبولة يقع الفتى فيها فلا يلبث ان يصير بعلا للفتاة أما على الحب منه أو الكره

فاذا سعد طالعهما اتفقا قلباً وقالبا ورضى كل بالآخر رفيقا له وصفت لهما الايام . هذه حال قل ان يصل اليها زوجان ومن تمت لهما كان ذلك أحدوثة فى بنى قرابتهما وعند الجيران !

أما البائس الذى قدر له ان يعاشر حمقاء أو جاهلة أو مسرفة أو ما شابه مما يعرفه أغلب رجالنا بالتجربة فياويحه

كذلك الفتاة ان فوجئت ببعل مدمن أو خليع أو فاسد السيرة فياطول ما تقاسى من العناء . فمسألة الزواج عندنا هى ككل امورنا نحن الشرقيين نكلها للقضاء والقدر والحظوظ وما شئت من المترادفات ...

ومما جعل مسألة الزواج عندنا (أى المسلمين) هينة لينة اباحة الدين الحنيف الطلاق وتعدد الزوجات . ولكن حاشا أن يكون قصد الشارع ما نراه الآن من الفوضى فى أدق الروابط الاجتماعية ومن نقض عهود الاسر وقلب نظاماتها فان الاديان لم تخلق لجلب البؤس وانما خلقت لاسعاد البشر ولتقريبهم من الانسانية أو لابلاغهم حدها الاقصى اذا تيسر ذلك

وطريقة العرب على عهد النبى صلى الله عليه وسلم وما بعده فى أمور الخطبة والزواج طريقة شريفة معقولة اذ لم يكن الحجاب حينذاك كما هو الآن . وانى اجاهر بان حجابنا مقلوب ونظام اجتماعنا فاسد أشد الفساد لايصلح ولن يصلح لان تتبعه أمة متمدينة

أليس عجباً ان نرى نساءنا وفتياتنا يتهتكن كل يوم فى عرض الشوارع ويملأن حوانيت الباعة ويذهبن فى الخلاعة كل مذهب فيكلمن سائق (الترام) ويقفن مائلات عاريات الصدور متبرجات امام المصور (فوتوغراف) واذا طلب خاطب مستنير من أبى الفتاة ان يسمح له برؤيتها والتكلم معها وأبوها يراقبهما عد ذلك أمراً اداً . هذا رجل وذاك مثله والاول تكلمه بلا مراقبة وانما بعلم من أهلها وترخيص والآخر يريد ان يكلمها أيضاً ولكن مع مراقبة أبيها وغرضه شريف وهو معرفة كنه التى سيتزوج بها ويجعلها شريكة حياته ومربية ولده فما السبب فى منح الاول ومنع الثانى ؟ اللهم ان هو الا الجهل والعادة وحب القديم حتى ولو كان مضراً

اذا اعترض أحدهم وقال ان الفتيان اغلبهم فاسدو الاخلاق قلت ان المصور والبائع أفسد خلقا من الفتى المتعلم على أن المراقبة مانعة للفساد على كل حال . ثم ان خوف الفتنة أكثر فى الحالة الاولى منه فى الثانية لان المقام الاول مقام هزل فتضحك فيه الفتاة بلا مبالاة وتكشف عن ذراعيها أو صدرها عند التصوير مثلا وتكون فى الغالب متبرجة . أما المقام الثانى فهو مقام جد لاتتعدى فيه الواحدة حد الحشمة فمن اين تأتى الفتنة اذن ؟

وعندى انه لو اتبع هذا السبيل فى الخطبة لكان خيراً ولقلت حوادث الشحناء بين الزوجين فيما بعد وهى بلا شك نتيجة الزواج (العميانى) الذى نتبعه فى اعز شئ لدينا وهو ابناؤنا وبناتنا . ولا يقتصر الخاطب على رؤية العروس فقط فان ذلك لايكفى بل يجب أن يستفهم عنها جيداً ممن يعرفون

أخلاقها ويبحث عن سيرتها وأهلها فيتزوج منها على هدى بعد البحث والاستقصاء وهذه الشروط بعينها يجب أن يتبعها والد العروس قبل أن يسمح للرجال برؤية ابنته فما كل راء خاطب وما كل خاطب جاد ورب فتى هازل يريد اللهو أو فاسد يحب الاطلاع على الفتيات بغير قصد الزواج ! فهؤلاء يخرجون من موضوعنا لاننا لانعنيهم وانما نعنى الشريف النفس الحسنى السيرة . والاب مكلف بالبحث عن حقيقة سائليه كما بينا قبل

وهنا يعترضنى فكر يجب أن أبسطه وان آلم بعضهم. فان شباننا لم يتعودوا احترام النساء وذلك نقص فى التربية الاجتماعية يجب أن يتداركوه . لاأريد أن يسجدوا لنا بل أن يفسحوا لنا الطريق ان ازدحمت ولينظروا الينا كما تنظر اليهم اناساً مثلهم وليتركوا اشارات التعريض والفاظه التى أصمت آذاننا ولولا خوف مفاجأة العجلات والدواب لسددنا مسامعنا عند كل سير فى الطريق تخلصاً من تلك البذاءة المحرجة . فهؤلاء وأمثالهم لاأصاهرهم لو كنت أباً . ولكن بين شباننا كثيرون بحمد الله يتبعون الصراط السوى

وقد سمعت كثيراً عن قوم طلب منهم أن يروا خاطبا ابنتهم فأروه أخرى جميلة وزوجوه من التى لايرغب فيها غشاً منهم وترويجاً لبائرة عندهم . ولعل أحدهم يجعل ذلك من جملة اعتراضاته على الموضوع ولكنى سبقت فقلت ان هؤلاء قوم لاشرف عندهم . والشريف وغيره يظهر من معاملاته وطباعه وسيرته والبحث يفرق بين الضدين فلا يعقل ان يستمر الرجل شريفاً فى كل أمر يأتيه مع اخوانه ومعامليه ثم تتغير ذمته فجأة عند زواج ابنته ! ان هذا يكاد يكون مستحيلا . ثم أن هناك قوماً يعجبون بالخاطب وباخلاقه ولكنهم يردونه خائباً لان المهر الذى عرضه عليهم قليل . فياليت شعرى ايشترى العاقل الراحة بالمال أم يشترى المال بالراحة ؟ وماذا عليهم لو كانت ابنتهم سعيدة غير غنية ؟

ان اكثرهم يطلبونهـا غنية قبل كل شيء ويحسبون السعادة تابعة للغنى . ألا ساء مايحسبون

ومن اكبر الاسباب المنتجة لشقاء الزوجين عندنا وعدم ائتلافهما ان يكون أحدهما راغباً فى زواج آخر يعرفه أو يحبه فيجبره اهله على التزوج من لايريد . والمثل الفرنسي يقول Vouloir C'est pouvoir. أى الارادة هى المقدرة فاذا تزوج فتى من غير من يحب فانه بالطبع يريد أن لايهنأ معها وأن يعذبها من غير ذنب فيقدر ولا شك على ذلك . والمثل بالمثل مع الفتاة وذلك ظلم بين من الاهل لايغتفر

وهذه العادة كثيرة الشيوع بين افراد الاسرة الواحدة أو بين الاصحاب . يكون لاحـدهم ابن فبمجرد ماتولد ابنة أخيه أو ابنة صاحبـه يتفقون على أن المولودة الجديدة هـذه من نصيب الصبي فلان عندما يكبر ويأخـذون العهود والمواثيق على ذلك . وربما ربى الصبي تربية غير التى نشأت عليها الفتاة أو رأى أخرى أعجبته وهنالك الطامة الكبرى . أنت لاتأكل مكرهاً ولا تنام مكرهاً فلم تزوج ابنك أو ابنتك بالقسر والاجبار ؟ ربما كان من يختـاره الاهل أجمل واغنى ولـكنه فى حال البغض يكون كأنه اقبح خلق الله وأفقرهم . على أن الجمال والغنى ليسا من شروط الوفاق بخلاف الرغبة فهى داعية له

فنتيجة شقاء الزوجين وعدم الوفاق بينهما مقدماتها الاسباب التى شرحت قبل وهى .

(١) جهل احد الزوجين بالآخر

(٢) زواج مختلفى الطباع كعالم وجاهلة وبالعكس أو غنى وفقيرة ومختلفى الدين والبلد

(٣) الطمع فى الغنى بغير نظر الى الاخلاق

(٤) الزواج القسرى

(٥) تأويل الدين الحنيف على غير ما أريد منه فى احكام الزواج والطلاق

وهذه الاسباب كلها شعب لاصل واحد هو عدم الحكمة . فاذا روعيت شروط الحكمة والتحرى قبل الزواج فقل ان نرى هذا الشقاء المخيم على البيوت المصرية الهادم لمعنى الزوجية . وخير للفتاة والفتى ان يعيشا أعزبين من ان يتزوجا بثالث أيضاً هو البؤس والعذاب

تعدد الزوجات

(أو الضرائر)

٧

انه لاسم فظيع تكاد أناملى تتف بالقلم عند كتابته .فهو عـدو النساء الألد . وشيطانهن الفرد . كم قد كسر قلباً وشوش لباً وهدم أسراً . وجلب شراً . وكم من برئ ذهب ضحيته وسجين كان اصـل بليته . واخوة لولاه لما تنافروا ولا تثاروا ففرقهم أيدى سبا وأصبحوا تأكل الحزازات صدورهم ويضمرون السوء بعضهم لبعض يثأرون ولا ثأر بنى وائل وكانوا لولاه متفقين

انه لاسم فظيع ممتلئ وحشية وأنانية . كم أحرج رجـلا وعلمه الكذب فأفسد عليه خلقه . وكم بذر مالا كان يعده البعض رزقه . وكم أحفظ قلب والد على ولد . وكم علم الوشاية والحسد . فاذا ما لهوت ايها الرجـل بعرسك الجديد فتذكر وراءك بائسة تصعد الزفرات يتساقط من مآقيها امثال لؤلؤ عروسك ولكنه صهرته نار الحزن فظهر سائلا . واخش الله فى صغار يبكون لبكائها علمتهم الحزن فاستعاروا يواقيت عرسك أعينا . انت تقرع سمعك الطبول والمزامير وهم لا يسمعون إلا دق الحزن فى طبول آذانهم وكانوا من قبل ذلك جذلين وهذه البادية التى اقطن الآن لا أبالغ ان قلت أن جميع نسائها جرين

الضرائر لشيوع عادة الجمع بين زوجتين فى رجالهن ولى من مخالطتهن مايجعلنى على ثقة من هذا الموضوع

طالما سألت امرأة من الحى هذا السؤال « ترين هل تحبين زوجك الآن كما كنت تحبينه قبل زواجه من غيرك » فكان جواب كل من سألت سلباً .

وقد حقق لى ذلك بعضهن . وسمعت عن اخريات انهن فى الحقيقة كن يفضلن أن يرين نعش ازواجهن محمولا على الاعناق على أن يرينهم متزوجين بأخريات فيالله ألى هذا الحد يبلغ بغض المرأة للضرة ؟ فليتأمل الرجال . أرى « القديمة » حزينة « والجديدة » كذلك . فاذا قلت للاولى ماذا يحزنك اجابت يحزننى ذلى وانكسار قلبي وأنا على ماترين لست انقص عن الجديدة جمالا ولا أدباً وكنت ابذل جهدى فى مرضاة زوجى أما الآن فلا . على انه لا يزال يسترضينى فيقول لى أنت احب الى من الاخرى وأنت أول من ملك قلبى وأنت جميلة وأنت وأنت الخ وأنا لم أتزوج عليك لنقص فيك وانما كان ذلك مقدوراً واذا ما سألت الجديدة عن سبب انقباضها قالت يحزننى أن أرى لى شريكة ومنافسة على أن زوجى يحتقق لى انه لا يعبأ بها وأنه لو كان مقتنعاً بها لما تزوج عليها وأنه يريد طلاقها ولكنه يبقيها رحمة منه لتربى أولاده فقط . فما أقدر زوج الضرتين على التفنن ولو انصفوا لعينوا زوج كل اثنتين سياسياً أو ناظراً للمستعمرات ! (ولكن الذى يؤسف له أنا ليس لنا مستعمرات)

المرأة اذا بليت بالضرة انطفأ سراج بهجتها والتهبت مكانه نار حقدها وذوى غصن قدها وزرعت محله بذور شرورها فان لم تك تقية وإلا وسوس لها الشيطان وعلمها أساليب الانتقام والكيد . وكثيراً مادست امرأة السم لزوجها أو لضرتها أو لابن ضرتها فكان القضاء عليهم جميعاً وكثيراً ماعمدت للوشاية بها عند زوجها أو ثلم صيتها عند الناس وأغلبهن يبذلن مالهن ويبعن مصوغاتهن للسحرة ليكيدوا للزوج ولامرأته على زعمهن

فزوج الثنتين غير سعيد كما قد يخيل له . اذا تغيب لبعض شغله اتهمته احدى المرأتين بانه كان عند الاخرى . ويا ليت التهمة تقتصر على هذا فان هناك التغير والتدلل والكراهية والبذاءة أحياناً . واذا نسى واشترى لواحدة منديلا ولم يشتر للاخرى صب عليه سوط العذاب وأزم بأضعاف أضعافه . فما كان أحوجه للراحة وما أشد اشتغال باله . الاكثار من الزواج داء اذا تأصل صعب استئصاله

ولا أعذر الرجل يتزوج مرتين الا اذا تعذر عيشه هنيئاً مع زوجته الاولى لسبب ما شرعياً كان أو غير شرعى . فيضطر للزواج اضطراراً ولكن الحازم لا تنسيه أفراحه أولاده ولا امرأته الاولى ان كانت لا ذنب لها . اما اذا كان يعد بقاءها معه منغصاً لحياته او كان كارهاً لها فليطلقها بتاتاً فربما يجد مع غيرها راحة وتجد هى كذلك مع غيره « وفى الارض عن دار القلى متحول »

والطلاق على مذهبي اسهل وقعاً وأخف ألماً من الضر . فالاول شقاء وحرية والثانى شقاء وتقييد . فاذا كان الشقاء واقعاً على كل حال فلماذا تلتزم المرأة الصبر على الشدة وترى بعينيها ما يلهب قلبها ويدمى محجريها ؟ ألا ان حزيناً حراً خير من حزين أسير . وبعضهم يخادع المرأة الاولى بأن يجعلها حاكمة على البيت معها مفاتيح خزائنه ولكن ماذا تفيد مفاتيح الخزائن والحكم على السمن والعسل واين هذه من مفاتيح القلوب وحب الزوج ؟

تعدد الزوجات مفسدة للرجل . مفسدة للصحة . مفسدة للمال . مفسدة للاخلاق . مفسدة للاولاد . مفسدة لقلوب النساء والعاقل من تمكن من اكتساب قلوب الغير فكيف بقلوب الاهل والعشراء

مفسدة للمال لان الرجل فضلا عن تحمله اعباء اسرتين وقيامه بلوازمهما يرى كل زوجة من الثنتين تجتهد فى التبذير لتعجزه عن الانفاق على الاخرى أو لتمنعه من الزواج بأخرى . ولا تلام احدى الزوجتين على تبذيرها فذلك

طبيعى اذ تقول ما الفائدة من اقتصادى ؟ أنا أحرم نفسى مما ربما أشتهيه وزوجى ينفق ذلك المتوفر على امرأته الثانية ؟ فخير لى ان امتع نفسى بمطالبها كما تفعل ضرتى . اما الاولاد فانهم بدلا من أن يكونوا من امرأة واحدة يولدون من امرأتين فيتضاعف عددهم . فاذا أخرجنا الاغنياء من حكمنا كانت معيشة الاب المتوسط أو الفقير ضنكا وعوزاً لان زماننا هذا غير الزمان الاول. فغلاء المعيشة ونفقة أسرتين وتعليم أولادهما ليس بالامر السهل

مفسدة للاخلاق لان زوج الضرائر دائما يحتال ليطمع كل واحدة فى حبه وهذا تكفى فيه المداهنة والتطبع . على ان زواج الضرائر فى ذاته طمع وشره

مفسدة للاولاد لانى رأيت بنفسى أن كل ضرة تطبع كراهتها لضرتها فى نفوس أولادها . فيشب الطفل وقد أشرب كره اخوته لابيه وأمهم بلا مسوغ سوى ما زرعتــه أمه فى عقله من مبادئها . فمها فعلت امرأة الاب لترضى ابن زوجها ومها احسنت معاملته فانه لايفتأ يتهمها بكراهتها له وبان ما تعمله معه من خير ومعروف فانما هو لخوفها من أبيــه او مداراة لما فى قلبها منه ! وانك لترى أبناء الرجل الواحد يغارون ويحسدون بعضهم البعض كما علمتهم أمهاتهم وفى كلام العامة وامثالهم الجارية ما يؤيد صحة هذا المبدأ

مفسدة لقلوب النساء لان الاولى تكرهه بلا شك لاغضابه اياها وجرحه لعواطفها والثانية لاتصافيه مطلقاً ما دام متعلقا بغيرها فهو « المنبت لا أرضا قطع ولا ظهرا أبقى »

ويسرنى ان عادة الجمع بين زوجتين كادت تتقلص الآن من بين الطبقات المتنورة والعالية . لان التمدين والاستنارة يحرمانها وان ادعوا ان الشرع يحللها. ولان العيش أصبح سعيا وتناحرا فاذا كان اجدادنا يكفى أحدهم ان يمتلك عشرة أفدنة لينام مستريحا فى بيته ويتزوج اثنتين أو ثلاثا فان رجل اليوم لا يكفيه مائتا فدان مع تعبه واجتهاده للاتفاق على بيت واحد صرف التمدين الحديث محب الظهور

سن الزواج

٨

بينت فى مقالى الاسبق مايجب مراعاته فى الخطبة والزواج من حيث اتحاد مشارب الزوجين فى الدين والاخلاق والمعارف على قدر الامكان ومعادلة البيئات. واليوم افردموضوعى هذا لشرط آخر لايقل عن هذه اهمية وهو السن الملاءمة للزواج. « الشرق » كما قال لورد كرومر فى احد تقاريره عن مصر « يتم فيه بلوغ كل شىء متقدماً » وهذه حقيقة جغرافية لاريب فيها . اذ بنسبة حرارة البلاد يكون نضج النبات والثمار ونمو الانسان والحيوان . هذا ناموس الطبيعة الثابت بغير نظر الى تفاوت درجة العلم والعناية وما يتخذ من التدابير لانماء ذلك الشىء أو التحسين الآخر مما يكون له أثر فى البطء والاسراع . فبلوغ الفتيات فى مصر يكون عادة فى الثانية عشرة او الثالثة عشرة لجيدات الصحة بعكس فتيات أوربا والبلاد الباردة الاخرى فانهن ربما جزن السادسة عشرة او الثامنة عشرة ولم يبلغن . وعليه فلا نقيس سن الزواج عندنا به عندهن لاننا كما نسبقهن فى البلوغ يجب ان نسبقهن أيضاً فى الزواج فضلا عن ان فتياتنا أقرب الى السكينة وأبعد عن الطيش من اخواتهن الغربيات . وانى لا أوافق بعض الاطباء الذى كتب فى الجرائد مرة ينص على ان سن البلوغ يجب أن يكون هو بعينه سن الزواج . اذ بالله ماذا تفهم فتاة فى الثانية عشرة من معنى الزواج وماذا تعلم من أمور البيت وماذا تعمل لو رزقت باولاد ؟ انى أكاد أتصورها تموت هى واياهم ان لم يكن فى النفاس ففى التربية . وقد ثبت بالتجربة ان أكثر اللاتى يتزوجن صغيرات جداً يصبن بامراض الاعصاب (الهستيريا) وهذا هو السر فى وجود (الزار) كثيراً عندنا

ان الزواج ليس بالشيء الهين ولا هو بالهزل . تظن الفتيات الصغيرات والراشدات أيضاً ان الزواج معناه ضرب الموسيقى ونصب السرادق ليلة العرس ولبس الحرير والماس والمباهاة بالاثاث والاوانى الفضية وغير ذلك من ضروب الفخر الكاذب والطنطنة الفارغة . ليس هذا هو الزواج ياسيدتى الصغيرة بل هو ارضاء الزوج وحسن القيام على ماله وتدبير بيته ومؤاساة أهله وتربية أولاده ورئاسة خدمه فهل تستطيعين كل ذلك . لا اخالك تستطيعين

تقص علينا جداتنا وأمهاتنا فى بعض سمرهن انهن تزوجن ولم تزل عليهن التمائم فكن يهربن فى (الحارة) ويبكين عند الجيران ويأتين من المضحكات مايبكى فهل نريد أن نرجع القهقرى الى زمن اجدادنا؟ حرام عليكم ايها الآباء ظلم بناتكم وتكليفهن مالا يطقن ولا يكلف الله نفسا الا وسعها . حرام عليكم ايها الآباء الاصغاء الى أمانى النساء الجاهلات وزج بناتكم الصغيرات فى سجون الزوجية الضيقة . حرام والله ان تتزوج البنية اليوم وترجع لبيت أبيها غدا . حرام على الام أن تقول « أريد أن افرح ببنيتى » فتزوجها طفلة ولا تنتقى لها كفؤا بل تعطيها لاول طالب لها . ولعمرى ان الزواج ليتطلب الروية والتأنى والأم ملومة اكثر من الاب لانها جربت الزوجية بنفسها وسبرت غور مصاعبها واتعابها الا ان حب الظهور متأصل فينا لدرجة اننا نرمى ببناتنا فى المأزق الحرج كى يقال عنا عرس فلانة كان فخما وما ابهى العروس وغير ذلك من الترهات

والزوج قد يسر أولا من عروسه الطفلة لكنه لايلبث ان يستاء وهى مظلومة لاجريرة عليها لانها بالطبع لاتفهم ولا تستطيع القيام بحاجات منزلها من نظافة وحسن ذوق فى وضع الاشياء فى مواضعها وهى لاتفهم معنى المسئولية لكنها مع الاسف مسئولة عن جميع لوازم البيت من طعام ولباس وغيرها . وهى تنام مستغرقة من الغروب الى الضحى فاذا بكى وليدها لم تسمعه فيقتله البكاء ان لم تقتله

هى بالتقلب عليه فى النوم . والطفل يحتاج لسهر الليل والرضاعة افتقدر الصغيرة على حمله طول الليل وارضاعه ومعرفة أمراضه واوجاعه وحسن العناية به. ياقوم هذه احصائيات الصحة ترينا كل يوم بأجلى مايرى كثرة موت الاطفال فى مصر أو اصابتهم بما يعسر شفاؤه نتيجة جهل الامهات بلا شك والجهل فى الصغر اكثر منه فى الكبر فاذا قرن بما يستلزم الصغر من الضعف وعدم القدرة على تحمل مصاعب التربية كان أدهى

ومن نكد الدنيا على الفتاة قاصرة كانت أو رشيدة ان تتزوج من فتى صغير تابع لابيه وتكتفى من الزوج بأنه ابن فلان الغنى فطالما سمعنا بان اختلاف الكنات أو سوء سير الفتى ادى الى طرده هو وزوجه من بيت ابيه فماذا يفعل ان لم يكن تعلم علماً او صنعة تساعده على المعيشة .لاجرم ان يذوقا وبالاأو ينتجعا بيت اهلها وتبقى هى وهو وأولادهما عالة عليهم الى ان يشاء الله

ومما يشقى الزوجين أيضاً مختصاً بالسن ان يتزوج هرم شابت مفارقه بشابة فى مقتبل العمر أو بالعكس فتى بعجوز فان مشرب الشباب يختلف عن مشرب الهرم فضلا عن ان النسل الناتج من أبوين بعيدى فرجة السن الواحدعن الآخر يأتى فى الغالب ضعيفاً أو لايأتى بتاتا . وانك اذا نظرت هرما وشابة أو شابا وعجوزا ممسكا احدهما بذراع الآخر كما قد ترى الفرنجة فى طريقك احيانا فانك لاول وهلة تستنكر هذا المنظر وتحكم ان حقا وان كذبا بانهما ابنته فى الاول أو أمه فى الثانى وما يمجه النظر فهو ليس طبيعيا .واذا كان الله سبحانه احكم امر الملاءمة فى الطبيعة فلم يخلق الجبل الوعر فى السماء الرقيقة الصافية ولم يبرأ النجوم الجميلة المتألقة فى الارض الخشنة القاتمة فلم نجمع نحن بين الاضداد ونخالف ذوق الطبيعة الصادق

الشابة تفكر فى زينتها وحسن هندامها والتأنس بجمال الاجتماع بصديقاتها والهرم يفكر فى علبة السعوط والبريد ودواء السعال فيا

« ايها المنكح الثريا سهيلا   عمرك الله كيف يلتقيان »

كذلك الشاب لايلذ سمعه الشينات الكثيرة والياآت فى موضع السين والراء ولا يحب زيادة مصر وفاته فى تركيب الاسنان المستعارة وصبغ الشعر وطلاء الوجه وغيره من لوازم سيدتنا أو (أمنا العجوز) كما كنا نقول فى قصص الطفولة احب فتى مرة امرأة اعجبه شكلها فخطبها الى نفسها فقالت له انت فتى وأنا عجوز لااصلح لك فلم يقبل قولها وظنها مازحة وألح عليها فى قبوله بعلا فلم تر بداً من اجابته الى طلبه فلما دخل عليها ليلة العرس جلس يكلمها واذا بها خلعت اسنانها ووضعتها على منضدة أمامها فهلع قلبه الا انه بقى صامتا ينظر اليها ريثما تتم عملها ثم خلعت احدى عينيها وكانت صناعية من الزجاج ثم جردت رأسها من شعرها المستعار فظهر اصلع مخيفا وبينما هى تنزع القطن من صدرها هرول الشاب نحو الباب مسرعا فنادته لماذا تهرب وقد كنت تدعى انى فتنتك بجمالى فاجابها ياسيدتى « نعم اهرب ويحق لى لانى رأيت اغلب اعضائك من الدكان وأخاف ان تكون حواسك كذلك ايضاً » فهل يغبط الرجل على زوجة مثل هـذه واذا لم يغبط فلماذا تكره الشابة على تزوج الهرم . اللهم انت خالق الخلق ومحدد الاعمار تزعم الجاهلات أن زواج الهرم دلال فى حياته وغنى بعد موته فهل ضمنت المرأة الطامعة ان المنية ستعدو عليه أول . وهل تطيب الحياة الزوجية اذا كان الواحد يترقب الموت لرفيقه . وهل تصح معاشرة هذه التى تعد موت القرين ربحا . ان هذا الا ضلال كبير

فعلى ملاءمة سن الزوجين يتوقف شىء كثير من الوفاق والمحبة والواجب ان لاتتزوج الفتاة الا متى صارت أهلا للزواج كفؤاً لتحمل مصاعبه ولا يكون ذلك قبل السادسة عشرة . وتزويج الصغار لعب فيه شقاء للامة من عدة وجوه . عناء فى الزوجية نتيجته دائما الشقاق أو الانفصال . كثرة وفيات الاطفال . ضعف النسل . اصابة النساء بالامراض العصبية والامراض النسائية الاخرى

وزواج مختلفى السن اضعاف للنسل وشقاء للزوجين وقلب لنظام الطبيعة الدقيق فتى يلتفت لهذا الآباء والامهات ومتى تنقشع سحابة هذا الشقاء عن سماء بيوتنا ومتى تنظر للزواج بعين الجد والاهتمام . اللهم أرنى ذلك اليوم فهو أمنية النفس وسبيل سعادة الامة وترقيها

طلاء الوجوه

٩

أول ما يلفت نظر باحثة مثلى عند زيارتها القاهرة كثرة وجود الخرد البيض فى شوارعها وطرقاتها ومنازلها فياليت لى علم الغيب كلنا من جنس واحد أما من سلالة العرب الفاتحين أو من الفراعنة والاولون والآخرون لم تؤثر عنهم الشقرة ولم يأت فى أوصافهم الصحيحة وتواريخهم ذكر لاشتداد حمرة الخدود وزيادة بياض الوجوه الا ماكان مبالغة خيالا فى حبيبة أو حقيقة نادرة فلماذا نجد نساء القاهـرة كلهن شقرا ونساء المدن الاخرى أقل بياضاً أو لماذا نجد الدم ضاربا فى وجوه الحضريات قليلا عند الفلاحات والبدويات مع انهن دائما معرضات للشمس فى غدوهن ورواحهن والشمس تنقى الدم وتجدد الصحة . أن فى الامر لسراً . نعم أن المسحوقات والمراهم وضروب الاصبغة تفعل بالوجوه فعالها « وهل يصلح العطار ما أفسد الدهر »

تزعم عاشقة الطلاء أن البياض حلية ولكن هل تعتقد أن هذا الابيض الذى خيل لها انه ابيض يبقى اذا فرض أن حيالها صحيح . كلا ان هذا الابيض الذى تتعمده وتجتهد فى تنميقه لا يلبث أن يزرق فيصير وجهها بنفسجياً فهل سمعت فى اشعار المتغزلين والمشببين أن الوجه البنفسجى من امهات الجمال . وهل إذا

لفح الحر الوجه المدهون فسال عليه العرق يخطط جداول وغدرانا وينقل من كحل المحاجر الى صفحات الخدود فيختلط الاسود والاحمر هل يرى ذلك الوجه مشوقا جذابا . ولماذا تعد الشقرة خيراً من السمرة ألا تتساوى فى ذاتها الالوان . أن مسألة اللون مسألة اعتادية صرفة لا أثرلها من الصحة فانا أحب اللون الاخضر وجارتى تحب الاحمر فهل تفضل احدانا الاخرى من هذه الوجهة

أن هؤلاء السيدات يقلدن ولكن تنقصهن ملكة الذوق فى كثير مما يعملن فان الوجوه الشديدة البياض والحمرة يكون فيها دائما عينان زرقاوان وحاجبان اخطبان ويكسو رأسها شعر أشقر فتلائم بعضها بعضاً أما نساؤنا فانهن بينما يصبغن حواجبهن بالسواد الفاحم الى نصف الانف وأعينهن يكاد كحلها يخلق لها حاجبين آخرين تراهن بعد ذلك يصبغن وجوههن بالشقرة فاين الذوق الحسن من هذا الترقيع الشائن

الوجه المدهون يضيع كثيراً من معانى الجمال فان تأثرات النفس وطبائعها تنعكس على مرآة الوجه فتكسبه أثرها فيما لا يمكن وصفه ـ فى العينين وفى الفم وفى الابتسام وفى اسارير الوجه الصغيرة وفى الجلد نفسه ايضاً ولكن الطلاء يظهر الوجه كأنه ليس فيه حياة ويغطى جلده المملوء معنى وينزع بصاحبته الى تصنع الحركات والسكنات والتصنع يذهب ببهجة الجمال ولست مبالغة أن قلت انى أعد كل طالية وجهها تمثالا من الرخام فاذا كان حافظ يعجب لصمت تماثيل الطليان فانا أعجب لتكلم تماثيل المصريات

لتقف سيدة من هؤلاء اللاتى يستعملن الطلاء بجانب تمثال من عرائس (ستين وكوان) ولتنظر فى المرآة فتتحقق من حكمى عليها

ضمنى مجلس بصديقتين من المتعلمات المهذبات وكنا ننتظر سيدة فرنسية أتت مصر لأول مرة لتسيح فى الشرق وتخبر عادات اهله فحضرت السيدة السائحة وأخذت تسألنا عن عاداتنا واخلاقنا وأظنها سرت بحديثنا واذا قد دخلت علينا

زائرتان مصريتان (من قسم التماثيل) فبهتت السائحة وخجلنا نحن الثلاث لهذا المنظر غير الجميل وبينما كانتا تتحدثان مع صاحبات المنزل بالعربيـة والسائحة لا تفهمها كنت أسارقها النظر فأراها تكاد تجهر بضحكة عالية احتقاراً واستهزاء من هاتين المرأتين . فياويحنا أما يكفينا أن يحكم علينا الغربيون بالجهل والتأخر حتى يروا ما يسجل علينا العار . وبعد أن خرجتا قامت السائحة وطفقت تقلد لنا حركاتهما وتشمئز لذكر وجهيهما ولم يسعنا الا موافقتها

هذا الطلاء مضيع للجمال الحقيقى المعنوى والحسى ايضاً فانه يسم الجلد ويسد مسامه ويجهد عضلات الوجـه فاذا استعملته سيدة وانقطعت عنه يوماً ظهر وجهها شاحباً أصـفر متغضنا وتغور عيناها وتسود ولا حور . وعملية الطلاء هذه ربما تعذرت حيناً لفقد عرض المرآة أو تتأخر فتفاجئها الزائرات فماذا تعمل أتقابلهن طبيعية أم تجبرهن ساعة على الانتظار ريثما تتم عملها الشاق

السيدة التى تغش زوجها يجب أن تحتقر لأنها تزدرى بصنع الخالق سبحانه وتعمد الى تغييره ومن يزدرى بصنع الله كافر . لانها تخدع الرائين والرائيات والخادع يجب أن يمتهن . لانهـا تجنى على صحتها وتعجل الهرم لنفسها فهى اذن لاتدرى النافع من الضار . ومن لا يعرف نفع نفسه من أذاها أبله لا يحترم . لانها تجنى على الآداب فتجعل من نفسها قدوة فاسدة لبناتها

واذا كان الوجه الذى هو أظهر اعضاء البدن يعمد لغش الناس فيه فكيف بالضمير الخفى . أن الطالية وجهها ساقطة فى رأيى فلتغضب من هذا القول من كانت غاضبة فانى لا يهمنى رضا التماثيل

ولولا تشجيع الرجال النساء فى غرورهن لما تمادين فيه فان بعض الرجال يشترون بأنفسهم علب المسحوقات وانواع المحسنات لنسائهم وبعضهم يتكدر عندما يرى امرأته فى وجهها الاصلى وهيئتها البسيطة

ألا يانساءنا اتركن هـذه العادة الذميمة . وان كان لا يسلكن غير

صناعية النقش بالالوان فاما مكن الورق ليس أكثر منه انقشن فيه صوراً ورسوماً تحلى جدران المنازل واشكرن الله على نعمه الجزيلة واعلمن اننا مصريات فان لم يكن فى أجدادنا أصل العجمة فمن اين لنا هذا البياض الناصع والاحمرار الشديد . وما أحلى السمرة الجاذبة لو تفهمين معناها . انها جميلة لأنها جميلة ولأنها مصرية ولو لم يكن فيها غير المصرية والطبيعة لكفى وكل طبيعى جميل

مبادىء الغباء

المبدأ الاول عدم الثقة بالزوج أو الغيرة العمياء

١٠

أول مبدأ تحفظه المرأة الجاهلة عند زواجها هـو عدم الثقة بزوجها مهما اكد لها براءته من تهمة الخيانة ومهما كان الباعث له على تغيبه عن منزله فتراها إذا ذهب زوجها لديوانه ودعاه صاحب له الى الغذاء معه فلم يؤب لمنزله إلا بعد تراها تتكدر وتثور زوابع غضبها وتتهمه اما بزواج جديد او بمصاحبة غير شرعية . تراها اذا دعى للسهر مع اخوانه فتأخر قليلا بالليل تسأله اين كنت ولا تصدقه اذا قال الحقيقة . تراها اذا كان ممن ينتدب فى تحقيق قضية او البحث عن جناية وتغيب يومين او ثلاثة تتهمه بالتغيب عند زوجته الثانية . فمبدأ عدم الثقة هذا يسبب ما تخافه المرأة ويصير الخيال حقيقة فيلتفت الزوج الى ما تقول امرأته ولا يلبث ان يتزوج او يخال لانها علمته ان هذا الأمر مستطاع له وسهلته على أذنيه وروحه بكثرة ذكره له وشدة الضغط تحدث الانفجار

اذا ركز هذا الاساس فى رأس الزوجة نغصت عيشها وعيش قرينها لان السعادة والشقاء وهميان فاذا تخيلت انى سعيدة انبسط أمامى الكون ووجدت مخرجا من المضايق التى تعترضنى ووجدت من ثقتى بنفسى واعتدادى بسعادتى

سعادة حقيقية وصرفت الامور على قاعدة أن أكون دائما جذلة واذا انقلب الامر رأيت كل حادث هين جالبا للشقاء . وهذا مشاهد فى النساء لاسيما الجاهلات لان اعتقادهن فى أى شىء لايتزعزع حتى ولو سطع امامهن برهان يكذب مايعتقدن ولان اعصابهن أسرع تأثرا وأنفسهن أكثر انفعالا منها عند الرجال

وقد يتفق أن يرى الانسان سيدة دائمة الحزن مقطبة الجبين بلا مسوغ وأخرى دائما جذلة وكل ماحولها مثبط للهمة مزعج فأى الاسباب عكس كل قضية الى ضدها . انه هو الاعتقاد أو النفس .

واذا فقدت المرأة الثقة من قرينها فقد يفقدها هو أيضا منها فياهول تلك العيشة المنكرة . مرتبطان اسما منفصلان معنى والنساء الملتفات حول الزوجة يزدنها كرها له بان يزعمن انهن رأين خليلته أو زوجته الاخرى ويهن الزوجة الساذجة ويطمعنها فى ان ما يأخذنه منها هو لنكاية عدوتها وسلاحهن الوحيد هو السحر فياضعف السلاح والمقاتل . لماذا تعتقد المرأة دائما ان الرجل ليس مخلصا لها الود كما هى مخلصة له ؟ انها ولا شك مخطئة فى ذلك التقدير الا اذا رأت بعينها ما يثبته . ومما يجسم لها خيالها لسانها الذى لا يفتأ يقلب للزوج مواضيع لم تكن لتخطر له فهى تعيدها صباح مساء وتنوم معها وتنام تحلم بها وتأكل وهى من جوارشها (أى مشهياتها للطعام) فيتضايق الزوج لأن الموضوع فى ذاته ثقيل ثم هو مكرر ومعاد مرارا والشىء حتى الجميل اذا كرر مراراً ضاعت طلاوته وذهب رونقه فما بالك بهذه التهمة الشنيعة وفقدان الثقة . اذا تضايق الزوج من هذا الحديث وبلغت روحه التراقى ولم يفلح فى اثبات براءته واخلاصه لزوجته لم يجد امامه الا أحد طريقين اما أن يكثر من مجالستها ويستغنى عن رأسه وأذنيه وأما أن يهيم حيث لا مضايق وحيث يبجل مع اخوانه ويتبادل معهم أطايب الحديث ولكن يستعد لسماع قوارص الكلام كلها ليلا عند أوبته لمنزله فبحق الالفة والسعادة هل يعد ذلك عيشاً

هل علمت سبب تلك الوساوس . نعم هى الغيرة العمياء .

الغيرة القليلة ممدوحة لانها تدل على حب الشخص للاخر وعلى اهتمامه به فاذا رأت سيدة بعلها غير مستقيم السيرة وتأكدت ذلك من طريق الصدق لامن شياطينها وأعوانها ولم تغر عليه فانها لااحساس لها والحجر أقرب للتأثر عنها . وأما اذا استعملت الغيرة فى غير موضعها فانها تشقى نفسها وتشقى زوجها وتشقى أهله وأهلها .

هل يجسر بعل يوما أن يكلم عجوزا أو يضاحك طفلة امام زوجته الجاهلة وهل اذا قصدته أرملة فى انجاز عمل لها لم تجد أكفأ منه فى القيام به هل تغفر له زوجته هذا الخطأ العظيم فى مكالمة الاجنبية عنه

يجب أن لايجعل محل للريب الا اذا رؤيت الريبة رأى العين . قد تحمل الرجل سلامة نيته على أن يبوح لامرأته ببعض مارآه فى صباه أو ان يصف لها ملاهى باريس وغيرها من البلاد التى ربما كان ساح بها قبل زواجه فيلاحظ وهو يقص الحديث انها تتغير أو تسأله عدم تكملته ولكن هل تغارين أيضا من الماضى أيتها السيدة وقد ابتدأ وانتهى قبل تعرفك بهذا الزوج الشقى

والسيدات يملن دائما لفتح مثل هذا الحديث وليس عندهن أرق منه طبعا فتجتهد كل واحدة فى اظهار المساوىء التى تسمع بها أو تخترعها عن زوج صديقتها وتظن ذلك خدمة لها لانها توقفها على مبلغ اخلاص زوجها لها فاذا فرض وكانت هذه المساوىء حقيقية فان تلك الصديقة الجاهلة تضر صديقتها من حيث تريد لها النفع وتسبب شقاء أسرة بأكملها واذا كانت اختراعا وافتراء على رجل برىء فما كان أجدر هذه الصديقة بضبط لسانها وهو لايكلفها أكثر من اطباق فكيها

وقد شوهد كثيرا ان اختلافات وخصومات جناها أرباب الاسر المتفقة المتحابة من أمثال هؤلاء الواشيات فاذا علم الزوج ان امرأة صاحبه أو أمه أو قريبته هى التى غيرت عليه زوجته واكفهر من غيم حديثها جو سعادته ووفاقه

لايسمه وهو مصيب الا أن يأمر ذلك الصاحب بحجز تلك المنتمية اليه عن الايقاع به وعن الدخول الى منزله فتؤلم هذه الاهانة صاحبه وتوجعه وربما بتت بينهما حبل الوداد

الثقة ماأحلاها بين الزوجين حتى وان كانت على غير أساس لان الزوجة اذا تحققت انحراف زوجها عن الصراط السوى فلتنبهه أولا باللطف والمحاسنة فاذا لم تفلح ملاينتها فماذا تعمل . أما أن تبقى معه ان كانت ترجو عيشه وتؤمل تحسنه وأما ان تنفصل عنه وهذه احدى الكبر . فاذا فضلت معاشرته بسبب حبها له او لارتباطهما بأولاد او لانقطاعها من الاهل والاخوة فأولى لها وقد تحتم عيشها معه ان تفرض انه مخلص لها وانه لايتغيب الا لاشغال نافعة لمستقبلها ومستقبل اولادها وانا على يقين ان هذا الفرض متيسر وسهل جداً لمن تبغيه وجالب لطمأنينة وهدو بال لايفرقان كثيراً عن مثلهما الصحيحين

مبادىء النساء

بغض أقارب الزوج أو الاسرة

المبدأ الثانى

١١

مما يطرب له النساء أن يكون ازواجهن لا أهل لهم . فترى الخاطبة اول ما تذكر حسنة للشاب الراغب فى الزواج سيان صدقت او كذبت انه لا اهل له وتبالغ بقولها « انه مقطوع من شجرة » . معاذ الله أيجب أن تفنى اسرة بأكملها ليتزوج منها فرد . والانسان مدنى بالطبع فالاجتماع بالغير لامندوحة عنه والاحتياج للمخالطة ضربة لازب . والمرأة تميل للاستئناس كما يميل الرجل وتعتز بالاهل كما يعتز هو وتدرك معنى القرابة والصلة . اذن فماذا يجعل المرأة تحترم هذا

المبدأ فتاة وتتجاهله زوجة او لماذا هى تحب أقارب نفسها وتبغض أقارب الزوج وتحمله أيضاً على مجاراتها . ان هى الا الأثرة او التنازع على السلطة . الزوجة تريد أن تكون حاكمة بأمرها مطلقة التصرف فى شيئين عزيزين عليها . قلب الرجل والبيت . فاذا كانت وحدها لايعيش معها من أهل زوجها احد ظنت انها نالتهما أما اذا عاشرتها حماة او أخت لزوجها او ابنة له من غيرها فهناك تنازع البقاء والبغض الذى لانهاية له . كل تريد ان تستأثر بالسلطة على المملكتين وتجتهد فى الفوز بقلب الرجل أولا فاذا ما وفقت له نالت الاخرى بغير كبير عناء . ولا تخلو احدى المتنازعتين من خطأ وصواب اذ لا يمكن ان تكون الواحدة على خطأ محض والاخرى على صواب صراح ولو علمتا لرضيت كل منهما بقسمها من حب الرجل فالحب البنوى غير الحب الزوجى واذا ابتغت امرأة ان تغير على الاثنين كانت مخطئة وتعدت ما وراء حدها

اذا ارادت الزوجة ان لايحب زوجها أمه ولا يحترمها ولا يتكفل بلوازمها وهى محتاجة اليه فقد اثمت . وكذلك أمه اذا حدث زوجة ابنها على ابتسامة القاها عليها زوجها او تغشمرت وارادت ان تجعلها كالصنم لارأى لها بينهما فهى أيضاً قد تناهت فى الظلم والقسوة .

نساء اليوم غير نساء الأمس واذواقهن تختلف باختلاف الزمن ولكن اذا تحتم ان تعيش فتاة الجيل الجديد مع حماتها ذات الفكر القديم فما العمل؟ المخاصمة والمعاندة لاتجديان نفعا فضلا عن انهما من صفات الطبقة الدنيا . اما النساء المهذبات فلا يبعد ان يختلفن فى الرأى ولكنهن يصرفن الخلاف حالا ولم تسمع واحدة من الاخرى ما يغيرها عليها

التساهل اول ما تجب مراعاته فى الاسرة واللطف اجمل صفات المرأة ترى الزوجة وضع هـذا الشيء على اليمين وترى حماتها وضعه على الشمال فلتتساهل الزوجة فانها أصغر سناً ولتبين آراءها فيما تختار بلطف وتواضع واللين كفيل

بتسوية الخلاف . اما اذا تشبثت واظهرت كبرياء المتمدنات واصغرت حنكة حماتها وتجاربها بجانب تمدينها الحديث فربما وصل الامر الى اوخم العواقب . واصعب قضية يحكم فيها الرجل هى التى بين أمه وزوجه لانه اذا ارضى احد الخصمين اغضب الآخر وامامه ام واحدة اما النساء فغير زوجته كثيرات فتدور الدائرة فى الغالب على الزوجة ولو كان رأيها صوابا

الزوجة التى أول ما تدخل البيت تفرق بين أعضائه المتحابين المربوطين بصلة الامومة والاخوة شيطان رجيم . يجب عليها أن تتذكر انها لم تأت الامن قريب أما هؤلاء الذين معه فمنهم من ربته وتعبت فيـه الى ان صيرته رجلا ومنهم من يفضله على نفسه ويفديه بما يعز واحدث واحد فيهم اقدم منها حبا له وارتباطا به . والغريب ان كل امرأة من هؤلاء العجائز كانت تكره حماتها وتريد ان تحبها امرأة ابنها ولكن الجزاء الحق من جنس العمل

واذا سألت الاولاد وجدت اغلبهم يحبون أبناء اخوالهم أشد مما يحبون اولاد عمهم وهذا ناشىء ولا شك عن حب أمهم لاقاربها وبغضها لاقارب زوجها على انهم بعيدون عنها ولا ينازعونها السلطة التى تخاف عليها ولكن كره واحدة سرى فى جميع من ينتمون اليها فالزوجة تكرههم بحق أو بغير حق . فضلا عن ان أهل الزوج يحبون الرقابة على امرأة قريبهم وقد ذكرنا انها عدوة الرقابة والتقييد ومبادئها استقلالية مطلقة . على انى لا أفهم كيف تزعم المرأة انها تحب زوجها ثم هى تبغض أقاربه . ان هذا تناقض غريب . فاذا كان ادعاؤها هذا حقيقة وجب ان تحبهم وتحتمل من أجله كل صعب مهما كلفها ذلك الاحتمال .

تنازع الرئاسة على البيت احد سببى البغض والسبب الآخر تنازع الرئاسة أيضاً ولكن على قلب الرجل . ألا فلتطب نفسا كل امرأة غيور فان حب الزوجة المكتسب الظاهر غير حب الاهل الغريزى الدفين . كل له صفة خاصة به تجعله

لايقل أهمية عن الآخر وهما مختلفان لاتدل كثرة أحدهما على قلة الآخر فهما منفصلان تمام الانفصال

فالزوجات المتمدينات يجب ان يخفضن قليلا من غلوائهن ولا يبخلن على الحاكمة القديمة فى البيت بشىء من السلطه لان من تعود الحكم يصعب عليه ان ينزع منه وأمهات الازواج أولى لهن ان لايتشبثن كثيراً بآرائهن العتيقة فكل زمن يقتضى اصلاحا مغايراً لما قبله والصلاة والصيام خير لهن من القاء مسؤولية البيت وتربية الاولاد على عواتقهن لانهما مريحان فى الدنيا مكسبان أجراً فى الآخرة والسلام

مبادئ النساء

المباراة والاسراف

المبدأ الثالث

١٣

يمتاز الجيل السابق على اخيه الحالى بقلة اللزوميات ورخص اسباب المعيشة كذلك له ميزة اخرى لاأعرف ألاحظها الجمهور أم لم يلاحظها وهى لزوم كل طبقة من الناس حدها من جهة الغنى والفقر فلم يكن الفقير ليستنكف من خصاصته ولم يكن المتوسط يقلد الاوسع رزقاً والاعظم جاها كما نفعل نحن الآن ولعل السبب الاصلى فى ذلك هو نقص الحرية من اخلاقهم وتأثير شدة الضغط عليهم

نفقات الاسرة اليوم كثيرة فى ذاتها لتعدد الحاجات وغلائها كثيرة جداً لاننا نتأنق فى الكماليات الزائدة ونحكى الغير فيها ممن هم اوسع ثروة وأنخم مظهراً ولا مبرر لنا فى ذلك الا الحرية الشخصية وحب التقليد . اما الحرية فنعمة من

الله ورحمة واما التقليد الى هذه الدرجة درجة التلف فليس من العقل فى شئ اللهم الا اذا ابتغينا به تأييد مذهب دارون فى النشوء والارتقاء ولااخالنانبغى التسجيل على انفسنا بأننا وحدنا من سلالة القرود

اذا استثنينا الطبقة السفلى من النساء فاننا نكاد نرى الباقى من الوسط والثريات شبيهات فى الملبس والزينة تضارع الواحدة الاخرى فى عدد الخدم وكمية الاثاث ونوعه فهل يمكن أن نكون كلنا فى درجة متساوية من الغنى .هذا يستحيل . واذا لم نكن متساويات فى ماليتنا فمن اين نسد هذا العجز فى النفقة عن الايراد . جواب صغير مفهوم . من الرجل أبا وزوجا

اذا تزوجت الواحدة منا كلفت اباها مالا طاقة له به كى لاينقص جهازها عن فلانة جارتها او قريبتها فاذا قدر فنعم القادر لاانتقاد عليه ولكن اذا عجز فمن خرق الرأى ان يستدين ليكسب فخراً كاذباً اطول مدته يومان . واذا تزوجت لم تشأ ان ترى صاحبتها تشترى عشرة اثواب وهى لاتشترى الا اربعة مثلا وكيف تجد عند جارتها خمس خادمات فيهن الاوروبيات وليس فى بيتها الا واحدة مصرية وهى تكفيه . فهى دائماً تزن نفسها بميزان الغير لاتفتأ تقلده مهما فعل فاذا لم يكن لها ميراث رفيع خاص بها يصرف فى مآربها فان هذا يحمله الزوج المسكين ولا راحم له . يصرف دخله كله وفى الغالب لايكون له الا جماله الشهرية دخلا ويحمد الله اذا لم يستدن على حساب الشهر التالى فاذا فصل من الوظيفة أو لحقه مايستلزم النفقة كالهرم او المرض لم يجد شيئا يعتمد عليه الا رحمة رب العالمين

علة المباراة الحقيقية هى الحسد يأكل القلب ويكثر الهم فلا تطيق صاحبته أن ترى اجمل منها هيئة أو اغنى مظهراً وتهتم فى ان تكون هى المشار اليها بالبنان فى المجالس ويسكرها الطرب اذا ذكر غناها واقتدارها على اقتناء العربات الجميلة والخدم الكثير وبعضهن تبيع حليها أو شيئاً من املاكها لتشترى سيارة

(أوتوموبيلا) أو لتسافر الى أوربا لالانها تحب السياحة أو تستفيد من الاسفار ولكن لان غيرها فعلت ذلك . ولو تأملنا لرأينا ان الانسان مهما حاول ان يجعل نفسه الاول فى صفة ما فانه لايلبث أن يرى أعلى منه وأمكن فى تلك الصفة بعينها . تبذل سيدة كثيرا من مالها ووقتها للتفتيش عن اجمل عقد فى القاهرة فتجده ولكن لاتدوم أوليتها به اكثر من ان ترى اخرى عليها عقد أنفس أتت به من الاستانة أو باريس مثلا واذا تطلع المرء لغيره لم يقتنع قط بما عنده

أرى انه لايجمل بالسيدة العاقلة ان يستحكم منها داء التقليد لانه يدل على صغر النفس والاحساس بصغرها (واذا ذممت المحاكاة هنا فانى لاأقصد المعتدلة منها فقد تكون لازمة أحياناً وانما اذم المتطرفة ولذلك وصفتها بلفظة داء) . واذا كنت بارعة رشيدة فلماذا لاابتكر فى ملبسى ومنزلى مايجعل غيرى من النساء يقلدنى فيه بدل ان اجرى دائماً وراء مايفعلن

يقول الحديث الشريف « الناس بخير ماتباينوا » وهى حكمة بالغة أو هى كل نواميس العمران ولباب نظامات الاجتماع واذا كد الاقتصاديون اذهانهم وألهب الاجتماعيون أدمغتهم يستنبطون القوانين ويسنون النظامات لصالح بنى البشر فلن يأتوا باجمع للحكمة ولا ادعى لسير هذا العالم سيرا آلياً منتظماً (ميكانيكيا) احسن من هذا الحديث على ايجازه . وعليه فلا يمكن ان يتساوى البشر ولا يمكن من الاسف ان نكون كلنا غنيات . نحن نريد أن نظهر كلنا بمظهر الموسرات « وهل بالفقر من عاب »

الفقر وحده لاينزل الانسان من رفعته فالاعتبار بالنفس والفضائل لاباليسر وعدمه . ماذا يضر المجتمع الانسانى اذا كنت أفقر من صاحبتى أو كانت هى افقر منى . بل ماذا تفيد محاكاتى لها اذا كنت لااستطيعها بمعناها الصحيح . هى تقدر ان تتجمل بالثياب الحريرية والماس الكثير من مالها وفضل الغنى

عليها ولكنى قصيرة اليد عن الاتيان بمثل ما عندها افليست القناعة اذن خير ذخيرة للقاصرات

وقد تكون امرأة مثرية جميلة الملبس يعجبك منزلها ويبهرك أثاثها وتكون مع ذلك شحيحة لا ينال العاجزين نفعها او تكون فظة سيئة العشرة . وتكون أخرى غير جمة المال ولكنها جمة الفضائل محسنة على المعوزين . فأى الثنتين انفع للانسانية وأولى بالدعاء . اعجب لنا لماذا نتبارى فيما لا يفيد ونترك النافع من الامور

المباراة تستدعى الاسراف والاسراف يعجز مالية الزوج ويثقل كاهله بالديون والمرأة التى تضطر زوجها ليصرف عليها أكثر مما يستطيع لا تخلو من احد باعثين اما ان تكون تفعل ما تفعل غير عالمة بعواقب التبذير فهى اذن كثيرة الشطط جاهلة لا تصح ان تكون مدبرة للبيت وللاسرة . وأما ان تكون عالمة بعصير مالية الزوج وتفعل ذلك مختارة كما يفعل كثيرات كى لا يوفرن للرجل ما يمكن ان يتخذه فى يوم من الايام مهراً لحليلة جديدة أو خليلة عنيدة فهى مزعزعة اليقين كثيرة الشك تتقدر البلاء قبل نزوله ولا بلاء الا التزوج بمثلها

واكثر ما تنزع المرأة للاسراف فى مال الزوج اذا كان لها ضرة تقتسم معها فؤاد الزوج وماله فانها تصرف بحساب وبغير حساب كى لا يجد ما يقوم بمصروفات ضرتها أو كى تنتقم منه لنفسها ليعجز عن الجمع بين اثنتين ويندم وتحسب ان عجزه وندمه يجعلانه يكتفى بها وحدها ولكن ما أدراها انه اذا اراد حذف احدى الثنتين من جدول نسائه لعلها هى تكون المحذوفة الخاسرة

وعلى ذكر التصرف بمال الزوج اصرح باستهجان عادة التوفير السرى الذى يأتيه كثير من النساء ويحسبن ذلك محمدة فيشترين بما يوفرن حليا ولباسا ويزعمن ان اهلهن أتوا به لهن او يصرفنه فى السحر والخرافة وفى ذلك منقصتان نقيصة الكذب ونقيصة السرقة واسميها سرقة لانها لا تفترق عن سرقة اللصوص البتة وربما كانت الاخيرة اخف من الاولى لان اللصوص فضلا عن كونهم غرباء عن

المسروق منه فانه قد يعثر بهم فيعاقبهم او على الاقل لايهتدى اليهم ولكن يدرى انه فقد شيئاً أما السرقة الاخرى فانها من أقرب الناس اليه وألصقهم به ثم هو جاهل بالمرة قد لايهجس بها . فاذا وفرت المرأة شيئاً فان ذلك يعد مهارة لها واقتداراً ولكن لتره لزوجها فيعطيها اياه عن طيب خاطر وسماح فذلك أهنأ لها واشرف

والخلاصة ان الغنى ليس متيسراً لكل فرد فأولى ان يلزم كل حده لئلا يكون مثلنا كمثل الضفدع التى أحبت ان تبلغ كبر الثور فاستعانت بالماء فانفجر جوفها فماتت ولتعلم المرأة انها وكيلة الزوج فى ماله وبيته والوكيل يجب ان يكون أمينا تقيا وان التكالب على المباراة صفة مصغرة للنفس وانى لازعم ان رجالنا وأبناءنا يقل فيهم الباحث ويندر المخترع أولا يكاد يوجد لاننا متشعبات بحب التقليد لاتتجدد همتنا بالبحث والاستنباط فيكون لهم من زوجيتنا وأمومتنا محك لافكارهم او أسوة ومثال حسن

مبادىء النساء

سرعة الغضب والتهديد بالطلاق

المبدأ الرابع

١٢

اتحاد الزوجين وارتباطهما بالحب الصادق هما السعادة الكبرى التى نفتقدها والتى لاغنى لأحد المتزوجين عنها ولو رأى سعادة أخرى فى غيرذلك . فالمعول الذى يحسب نفسه سعيدا اذا أحرز الملايين والعالم الذى يغبط نفسه اذا اشتهرت تعاليمه والسيدة التى ترى هناءها فى اقتناء النفائس كل هؤلاء مع فرحهم بما وفقوا اليه لايستغنون عن تلك المحبة الزوجية ولا يستكملون سعادتهم وهى ناقصة لان الانسان مهما قويت أرادته لايستطيع ان يتفرغ لاعماله ويفكر وعنده

شاغل يزعجه . ولشد مايقاسى أحد الزوجين من تنغيص الآخر له

ومن أكبر دواعى الكدر والتنغيص ان تنفعل الزوجة لاقل كلمة وترجع الى قومها غضبى آسفة

عادة التهديد بالفراق شائعة عندنا شيوعا هائلا مستهان بها كثيرا . فكما ترى الرجل يحلف بالطلاق لغير داع كذلك ترى المرأة تهزم من بيت زوجها لأوهى الاسباب . يهدد بعضهما البعض بالانفصال فى عرض كلامهما يريد أحدهما بذلك بث خوف الفراق فى نفس الآخر ليخشاه . وما من زوجين مرتبطين برابطة ما الا ويخشيانه ولكن فاتهما ان ذكره ساعة الغضب مما يثير العواطف ويعلو بالنفس الى سماء عزتها وكيف يرضى أباء المهدد وغيظه محتدم أن لايطلب مايهدد به ويستخف بالعقاب وان عظم فينسى الحقيقة والصالح ويدوس العقبى تفاديا من ضيم نفسه المثارة الهائجة . ولا يشجع النفس الجائشة أكثر من تذكيرها بالخوف كالجند اذا صح عزمها على القتال وكانت على حق منه تراها اكثر ماترمى بنفسها فى حلق الموت حينما ترى نار الحرب مستعرة متأججة . فشدة الموقف تذهب الخوف وتبعث على الاقدام . والغضب كذلك اذا أرخى له العنان ملك صاحبه ورمى به الى حيث لم يقدر وهو حليم والمرأة التى تتغنى دائما بذكر الفراق لاقل خلاف يحدث بينها وبين حليلها أو بينها وبين أهله قد لاتأمن ان يصدر عليها حكم الفراق المؤبد من زوجها ساعة الغضب وهى لم تكن لتعضده بالجد وانما كان هزلا وعادة مستقبحة . سمعت ان احدى النساء كانت تطلب الفراق من قرينها كلما شجر بينهما خلاف بسيط أو كلما كدرتها حماتها وقد تشبثت بذلك الطلب مرة وألحت فيه وألحفت فسألها الزوج هل تبغى الطلاق حقيقة فأجابت نعم فلم يسعه الا ان أخذها الى القاضى ليترافعا اليه ويتخاصما وبعد اسئلة وأجوبة رأى القاضى انها مصرة على تنفيذ رغبتها فاصدر حكمه بالطلاق ولم يكد يتم كلمته حتى صرخت واعولت وندمت على ماجنت ثم

طلبت أن ترد الى زوجها ثانية . فما هذا التناقض واللعب ان هذه المرأة مثلها كثيرات يجنين على أنفسهن وأولادهن ويبعثرن اسرا كانت ملتئمة لولا الحمق واللين . اذا تعسر عيش المرأة مع زوجها صافيا تعذر اذا طلبت الفراق وأما اذا كان ذلك تجنيا ومزاحا فالزوجة احكم من أن تفصم عراها فى التجنى والمزاح

الوالدان أو الاهل لايزوجون بنتهم الا وهم راسمون لها خطة سعادتها المستقبلة ومقتنعون بها ومترررون هدوء بالهم من جهتها فما أحراها ان تحقق ما يرجون وهى بزواجها قد انتقلت بالطبع الى دار غير دارهم وعش لم تدرج فيه من قبل فكان الواجب بطبيعة الحال ان تخفف مسئوليتها كثيراً عن عاتقهم اما وهى تشكو لهم مما لايوجب الشكوى فانها تبدل صفاءهم كدرا وتأتى بعكس ماكانوا ينتظرون

يجب ان نقرن رقة شعورنا وسرعة تأثرنا بفضيلتى الصبر والحلم لاننا فى منازلنا بين استقبال الزائرات وزيارتهن وترتيب الاوانى وجلائها . ولعب الاطفال والذهاب من اليمين الى الشمال . والاضطجاع على الفرش الوثير . من مزركش وحرير — لاندرى مايكابده الرجل من الآلام من تعنت الرؤساء وما يقاسيه من العذاب . فى غلاء المأكل والشراب . ربما كد فكره وأنهك قواه ولم يصادفه التوفيق وأخطأه الرزق وهو لو لم يكن له الا نفسه فقط لرضى باليسير ولكن ماذا يفعل ووراءه أم وأولاد . أو قلب وأكباد . أيتركهم يتضورون جوعا وهم لم يألفوا الا الرخاء . أفمن كانت هذه حاله يشتغل ليحفظنا ويتعب ليريحنا يصح ان نقابله بالعبوس والغضب اذا مابدا متأففا يوما من طول أعمال الفكرة أو من شدة النصب

كل شريكين قد يختلفان اختلافات بسيطة ولكنهما لايذيعانها ومن أحق بكتمان السر من شريكى الحياة أعنى الزوجين . والحازم من لايجعل للاختلاف الصغير محلا من اهتمامه بل يزيله بمجرد الفراغ من التكلم فيه فاذا ما اختلف زوجان

أديبان فى تقدير حسنات الشاعر الفلانى أو تفضيل هـذا المـذهب على ذاك واحتدم بينهما الجدال وبدرت من احدهما كلمة شديدة للآخر أفيغضبان ويسببان الفراق لاجل ذاك الشاعر أو ذلك الحكيم صاحب المذهب وهما لا يدريان كما قال أبو الطيب المتنبي

أنام ملء جفونى عن شواردها ويسهر الخلق جراها ويختصم

بقيت لى كلمة عن هؤلاء اللاتى يغضبن ليقبضن ما يبقى لهن من الصداق عند أزواجهن وهى عبارة شائعة كثيرا عند بعض الطبقات . اما قبحها فجلى لان المرأة بذلك تبرهن على انها تقدر النقود أكثر من الحياة والسعادة وهذا جشع لا يليق الا بالمرابين ومهووسى المال والمرأة يجب ان تكون ملك اللطف ومثال الرقة والنزاهة وبعضهن يتذرعن بالغضب والاحتماء بالاهل ليصالحهن الرجل والعادة أن يصالح الرجل زوجه بقطعة حلى وثياب كثيرة فما أسخف هذه العقول. تفدى المرأة راحتها وعناءها وسعادة اولادها بذلك المتاع الفانى

وقد تغضب المرأة أيضاً لتجرب محبة زوجها لها وترى من آيات الود شيئاً جديداً ولكنها فى غنى عن هذه المخاطرة والتجربة الصعبة لانها تعلم مبلغ حبه لها من أحواله معها

المنزل لابهاء له ألا بالمرأة كما أن قوامه الرجل فترك المرأة بيتها يمسخ ذلك الهناء المرفرف عليه ويسبب حزن الاولاد وانقباضهم كما انه يتلف وتعبث به أيدى الخدم فيخسر الرجل خسارة مضاعفة

طريق الكذب والتمويه هذه وعرة المسالك غير مأمونة دائماً فأما ان تقرر المرأة انها ستعيش مع زوجها وتشاركه السراء والضراء فتحتمله ولا تحنق عليه لصغير الهفوات فلا يلبث ان يندم اذا كان أساءها ويعتذر لها ويغفر أحدهما غلط الآخر ويزيلان أثر كل خلاف بينهما فيعيشان سعيدين ويتحتم على الزوجة أذن أن

لاتسرع الخطا نحو منزل أهلها بل تظل فى منزلها تديره . وأما ان تغضب وترجع لاهلها حين ترى ان لاخير فى البقاء مع رجل فظ سيء الاخلاق فتفارقه الى الابد ولا تعود ترى وجهه البتة . اما الذهاب والاياب فأعده طيشاً لايليق بعاقلة مهذبة تعلم عواقب الامور

مساوىء الرجال

الطمع

١٤

أريد مما كتبت وما أكتب فى الجريدة بعنوان النسائيات تخفيف ويلات الزواج على قدر الامكان وقد بينت فى مقالاتى السابقة ما يرجع منها الى المرأة واليوم أرانى مضطرة لان أكتب عن الرجل لانه أحد طرفى الزواج ولأنه كثيراً ما يظلم ويطغى . ولست أقصد كل رجل على الاطلاق كما انى لم أكن اقصد كل امرأة وانما الكلام على من فسدت أخلاقهم (وهم مع الاسف كثيرون) فسببوا شقاء النساء وهدموا بناء الزوجية

انقلبت الحال وصارت الفتاة بائرة فى سوق الزواج الا اذا شفع لها غناها . عكست آية الاسلام واستبدلت بها عادة لم تأت فى شرائع النصارى ولا اليهود وانما اتبعوها بدعة وضلالا

ازداد طمع الرجل فملك عليه حواسه فصار ينام يحلم بالمال ويقوم يشتغل له ولا عيب عليه فى ذلك وانما الذى يعيبه انه زادت خميرة جشعة فحمض ذوقه واستحكم منه الطمع فى كل شيء حتى فى عروسه !

« ماذا عندها » كلمتان ألفناها وهما أول ما يفتتح به للخاطب وقد لايسأل غير هذا السؤال . فأبو العروس الذهب وأمها الفضة وأخلاقها النحاس وسمعتها الطين

ومعارفها العقار . متى وجد المال صحت المصاهرة ولزم الزواج وألا فتبقى الفتاة الى أن تسن وتدفن معها طيبة قلبها وحسن عشرتها وقدرتها على تربية أولاد بررة ربما كانوا لو ظهروا فى العالم نافعين

يلبث اعجاب الرجل بزوجه وغناها قليلا ثم يتحول الى استبداد واغتصاب فيجبرها على أن توكله على مالها توكيلا شرعياً ليتصرف فيه على هواه فيبدده على ملاهيه وخليلاته أو يتذرع به للظهور فى مظهر الموسرين . ورب معترض يقول لماذا تستحل المرأة مال الرجل وتحرم مالها عليه ؟ فهل فاته ان الرجل مكلف شرعا بالانفاق على زوجته وعياله اما المرأة فلا ؟ اللهم أن كان محتاجاً وعند المرأة فضل فليس من المروءة ولا الحنان أن تتركه يقترض من غيره ولا تعطيه هى مما عندها وتعتبره شريكا لها فى كل شيء على ان ذلك تكرم منها لاتجبر عليه فاذا سمحت أعطت وان شاءت منعت . كذلك اذا تزوجت المرأة من رجل كان يكفى بيته ثم عضه الدهر فأعسر فلا يصح أدبياً ولا اجتماعياً ان تتخلى عنه وقت عسره او تبخل عليه بما لها اذ هما شريكان فى السراء والضراء فضلا عن انها لولم تكن ذات مال لوجب عليها أن تساعده بما تستطيع فيما لايتعدى الشرف. فمساعدة المرأة للرجل بالمال واجبة اذا أعسر بعد يسر اشتركت فيه معه بشرط أن تكون تلك المساعدة فى غير ضرر عليها او أفساد له . اما اذا كان ممن يلعبون الميسر او ممن يقضون حياتهم بين القنانى والقيان فأحر بزوجته ان لاتقرضه فلساً واحداً

وهناك آخرون تحل لهم اخلاقهم ان يجازوا الاحسان بالاساءة فبعد ان يبددوا ثروة نسائهم ويلحق اصفرها أبيضها يكافئونها بضرة جديدة وبئس الجزاء !

مال المرأة يجب ان يبقى لها ولكمالياتها وترفها وهو على أى حال يوفر على الرجل بعض النفقة . واذا اتحدا ولم يتفارقا فالمال باق لاولادها فأى ضرر عليه فى ذلك وهل الانفع له ان يبدده ويحتاج لغيره او ان يوفره فيجده كنزاً لم يتعب فى الحصول عليه ؟ وهى اذا وفى لها وايقنت بحسن نيته لاتضن عليه

بروحها فضلا عن بعض مال سيفنى وتأتى عليه الغير

لا أعد الرجل ذا مروءة ونخوة وهو يبيع حلى امرأته ويجردها حتى فى حال عسره . لانه لامعنى لرجوليته ووصفه نفسه بالقوة والنشاط مع اعتكافه على الكسل ولماذا لاينقب له عن عمل يرتزق منه وهو لايمنعه عن الارتزاق مانع الا انه وكل . لايعذر الرجل على مد يده لمال زوجه الا اذا كان له من ضعفه وعدم اقتداره على العمل مبرر

على ان هذه المسألة من التعقيد بحيث يسهل عندها ذنب الضب . فان بعض النساء يهددن بالفراق إذا لم يعطين ازواجهن مايطلبون ويذكر لهن الزواج ارهابا فأى الامرين تختار المرأة البائسة . لاشك ان اعطاءها المال أهون الشرين ولكن أتأمن عدره بعد أن اظهرلها انه قادر على اتيانه فى أى لحظة وهى لاتعلم؟ اللهم ان رجلا هذه أخلاقه مع زوجه وهذا مبلغ جشعه لخليق بأن يفارق . ولكن المداراة مما أوصى به النبى صلى الله عليه وسلم . فلتداره ماامكن فذلك خير لها من الخلاف وأولى للمرأة التى تشك فى أمانة زوجها الطماع أن توكله توكيلا مدنيا فقط لاشرعيا كما يريد فتكون وسطا بين الطرفين تحفظ العين من الضياع وتتساهل قليلا فى الريع . المراة مظلومة دائما . اذا كانت فقيرة لايرغب فيها وان كانت وارثة يطمع فى مالها . والوارثة مظلومة أيضا فاما أن لا تتزوج لتأمن الطمع والطامعين واما ان تتزوج على غير بصيرة كعادتنا . ولو كان للخطبة والزواج عندنا نظام آخر لامكن التحقق من اخلاق الخاطب وتمييز الرجل ذى المروءة من الشره الزنيم



مساويء الرجال

﴿ الظلم ﴾

١٥

من الانباء مايترك فى أعماق النفس أثراً لايزول ومن تلك الانباء ماأثر فى تأثيراً خاصاً وسأقصه فيما يلى

كنت يوما عند صاحبة لى فسألتها عن سيدة كان لى بها معرفة قديمة ولم أرها منذ زمن بعيد فتنهدت وأجابت بلهجة المحزون ان تلك السيدة فى أشد مايكون من الاسى وأنها لفرط حزنها وكثرة بكائها قد حل بها السقم وذلك لان زوجها عقد على امرأة أخرى وستزف اليه قريبا فأخذ منى العجب مأخذه ورأت صاحبتى دهشى فقالت لم تعجبين من ذلك الخبر ؟ أليس كثير الحدوث عندنا مألوفا ؟ قلت نعم ولست أعجب من حدوثه فى ذاته وانما العجب فى انه حدث لتلك السيدة وهى على ماتعلمين على أحسن مايكون عليه النساء من الخلق وعلى جانب غير قليل من الجمال والعلم وقد كنت أسمع منها أنها فى راحة مع قرينها وقد رأيتها بعينى تشتغل فى بيتها ولم يكن ينقصه شىء من النظافة والترتيب ولها منه أطفال صغار فماذا يريد الرجل فوق ذلك . تربية وعقل وملاحة وانجاب ؟ فقالت محدثتى ان ولدى تلك السيدة توفيا فى شهر واحد وهذا ماحدا بالزوج الى البحث عن أخرى وقد خطب فى نفس الشهر الذى فقد فيه ولديه وامرأته الاولى أم جنين لم تكمل مدته بعد . فيالقساوة الرجل ! أكل ذنبها أن ولديها توفيا وهل لم يكفها حزنها على فقدها فيسدد الى فؤادها المكلوم سهما آخر مسموما وهل ضبط منها رسالة لعزريل تستزيره بها وتحثه على خطف فلذتى كبدها وهل كان هذان المفقودان ولديها ولم يكونا كذلك له ؟ نعم ان الرجل أقوى عزيمة

من المرأة واشد احتمالا للمصائب ولكن هب انه جلد أفينسيه الجلد الشفقة ويخطىء به الصبر مواضع الرحمة ؟ اللهم ان هذا منكر لايرضيك

اذا احتاجت المرأة للمواساة والعطف فى زمن ما فأشد مايكون ذلك فى أيامها السود وهل أحلك من يوم تفقد فيه ولدين معاً ؟ فاذا مااشتد حزنها وشاركها فيه القريب والغريب أيصح أن يتنصل عنها زوجها ويتركها هدفاًلسهام الارزاء والاشجان والحزينة زوجه والذاهبان ولداه ؟ انها اذا حزنت على أخ لها أو قريب كان من الواجب عليه أن يشاطرها الحزن حتى ولو ظاهراً أما وهى محتسبة ابنها وابنه فمن أحق بتخفيف آلامها اذا خلاهومن مثلها ؟ انه اذا لم يحزن ولم يواسها فلم يكن اقل من أن يتركها ونفسها كما قال الشاعر

تخذتكم حصناً منيعاً لتمنعوا سهام العدا عنى فكنتم نصالها
اذا كنتم لاتدفعون ملمة عن النفس كونوا الاعليها ولا لها

ولكنه هو يتزوج عليها يكلم قلبها الكسير فضلا عن انه اقدم على أمر لايضمنه . أفلا يجوز أن تكون امرأته الجديدة عاقراً فلا تلد أو ولوداً ويموت أبناؤها كالاولى ؟ ان القدر لايعاكس ولايستطاع تحويله عندأمر كهذا. فالولادة والحياة والموت بيد الله لاندرى متى هو مانحها ومتى يقبضها . ان جوف تلك السيدة لايسع شيئين فى آن واحد : الجنين والشجن . ألا يكون زوجها جانيا عليها وعلى ولده الجديد اذا مازاحمه البث فلفظه ميتا . الا أن ذلك الزوج القاسى لجان فى عرف القانون . جان فى عرف المروءة . جان فى عرف الانسانية والحنان

تذكرنى تلك الحادثة المؤلمة بحادثة أخرى تشبهها . ذلك ان رجلا من ذوى الرتب عاف زوجته لان اولادها منه كلهم بنات فطلقها واقترن بأخرى على امل انجاب الذكور فأتت له بأنثى ثم بأخرى وهكذا أبى الله الا ان يتم ما أراد . فكأنه استبدل بنات بغيرهن ولكنه خسر ودامرأة صالحة كانت تحبه

وغير عليه قلوب بناته الشابات وظن انه كسب ود أخرى وماهو الا واهم فيما زعم

ليت شعرى اذا فرضنا أن ولادة البنات عيب كما يرى بعضنا فهل للمرأة يد فى ذلك ولمـاذا لايعيب الرجل كما يعيبها . لمـاذا لاتعافه المرأة وتطلب اليه أن ينفصل عنها وتتزوج غيره لتلد ذكوراً . اذا صح ان يتشبث أحد الزوجين بهذه الخرافة صح للثانى أيضاً اذ هما فى حقها وبطلانها سيان

ان لنا من شؤوننا البيتية الاخرى مايكفى لشغلنا ولنا من عاداتنـا القديمة المستهجنة مايبح فى طلب اصلاحه صوتنـا لجدير بالرجال ان لايشغلوا وقتنا وفكرنا بالشكوى من اعمالهم واظنهم يقع عليهم ظلم الحكومة مرة وضيق العيش أخرى فلا يجدون من ينتقمون منه لاتعسهم سوانا وما اخال محروبا اضعف منا سلاحاً واقل طلبا للثأر . فيارب الهم رجال حكومتنا السداد فان ظلمهم الامة له أثر مضاعف فينا ولعلنا لم نزد عن الرجل فى شىء البتة الا فيما يؤلم . اذن لقد عكسوا آية القرآن القائلة « للذكر مثل حظ الانثيين »

مساوىء الرجال

الازدراء بالمرأة

١٦

لعل عدوى التشاؤم من النساء سرت الينا وانتقلت الى بعضنا بالوراثة من عرب الجاهلية الاولى أولئك الذين كانوا يئدون بناتهم خشية الاملاق أو العار كما كانوا يزعمون وقد نسخ النبى صلى الله عليه وسلم تلك العادة المنكرة الا ان أثرها لم يزل باقيا فينا الى اليوم اذ نحفل لولادة الصبي ونستاء لظهور البنية فى هذا الوجود وقديعذر المتقدمون على اعتقادهم هذا لحاجتهم الى الرجال لكثرة حروبهم وغاراتهم اما نحن فلا عذر لنا الا قليلا . وفى ماعدا حفظ لقب الاسرة

وما لها من الضياع يتساوى الصبي والصبية فى نظرى لان عدد جنودنا محدود ونحن قوم مسالمون نجتنب الحرب ما أمكن وترانا نقلد العرب ولا نحكيهم فهم يهبون الصبي من يوم ظهوره للحرب ويفتخرون بدخوله فى غمارها أما نحن فاذا دخل أحد ابنائنا الجندية يكاد يقتلنا الحزن وأعرف امهات فقدن أبصارهن من شدة البكاء على ابنائهن المجندين

ذلك كان زمان الكثرة والشجاعة أما اليوم فزمن السياسة والصناعة . هاهى دولة الانكليز يربو عدد نسائها على رجالها وقد سادت أمماً كثيرة رجالها ضعف الاناث فيها وهانحن بحمد الله يزيد رجالنا عنا عدداً فأى خير جلبنا وأى شر دفعنا عن بلدنا المفدى وحنكة وزير واحد أطيب أثراً من مائة الف مقاتل ويقظة من قليل خير من نوم الكثيرين

هـذا بيان لا بد منه لتنفيذ رأى القائلين بعدم الاعتداد كثيرا بالبنات

المرأة المصرية مسلوبة الحق مظلومة فى كل أدوار حياتها . تراها يتشاءم منها حتى وهى جنين فاذا ظهرت مولودة تستقبلها الجباه مقطبة والصدور منقبضة والثغور صامتة ترى القابلة وهى تحملها منكمشة لا تبدى ولا تعيد كأنما كان لها بعض الذنب فى ولادتها أنثى . ترى أقارب النفساء وصديقاتها يكثرون لها الهدايا اذا كان مولودها ذكرا ويقللون منها عددا وقيمة اذا أتت بانثى ترى كل من نقل الخبر يطفح اليأس من عينيه ولسان حاله يقول ناقل الكفر ليس بكافر فاذا انقضت ستة أيام كان سابع أيام الصبي عيدا توقد فيه الشموع نهارا وتجلب أنواع الحلوى وتعزف الطبول وآلات الطرب أما الصبية فيكتفى لها ببعض النقل ويحسب تفضلا

كذلك حالها فى التربية والتعليم فان نصيب البنت قليل عندنا حتى أن من كمبت وهى فى المدرسة تعد شاذة ولست أعجب من جهل الامهات أكثر مما أعجب لقوم متنورين تربوا تربية عالية ينادون بقصر البنت على تعليم القراءة

والكتابة والطبخ والغسل كانما العلم خلق لهم وحدهم فى حين ان الله سبحانه وتعالى لم يكلف به طائفة دون أخرى فكانهم يجرحون عواطفنا علنا بقولهم لنا نريدكم خادمات منازل فقط لاسيدات مهذبات وكيف يأبون علينا حقنا الطبيعى فى مشاركتهم الحياة ويطلبون الدستور

وليس حالنا فى سن الشباب بأدعى للطمأنينة منه فى الطفولية فاننا لا نزيد عن المساجين شيئا الا بالاسم فقط فبينا تجد الفتى حرا فى كل شىء ترانا يحجر علينا حتى فى استنشاق الهواء النقى حتى فى اختيار لون الثوب الذى نلبسه واذا سمح لنا ببعض المشى أو التنزه رمانا المارة بكل معيبة وأخجلونا ببذاءتهم وهم أحق بالخجل من وقاحتهم وخشهم

واذا تزوجنا لم تزدد إلا ضغطاً فيقوى الرجل ويستبد . تكتم حرية الزوجة الى درجة تميت نفسها وتعدمها الاحساس والحياة . ارأيت اطغى من ذلك الرجل الذى يمنع زوجه من رؤية أمها وأهلها لغير جناية حدثت منهم ؟ أرأيت أطغى من ذلك الذى يمنع الزائرات من دخول بيته ويحجب امرأته عنهن خوفا من أن يفسدنها عليه أو يعلمنها شيئا جديداً يأباه جموده واعتسافه ؟ يتحكم فيها وفى صحتها وفى مالهـا وفى وقتها وفى حريتها وفى كل شىء ويأبى عليها أن تسأله سؤالا بسيطا عن شغله بحجة انها لا تفهمه ! أو عن نفقاته معتذراً بأنه لا مدخل لها فى شؤونه ! وهل يحتقر الرجل المرأة اكثر من أن يجلس لطعامه وحده ولا يدعوها لمشاركته فيه فاذا فرغ منه تأخذ لقمة من هنا واخرى من هناك كما يفعل الخدم ؟ تظل واقفة واذا غاب ليلا يتحتم عليها السهر الى أن يحضر ثم اذا مرضت يأنف أن يناولها جرعة من الدواء ويستنكف من البقاء معها قليلا فيترك لها المنزل بما فيه وليس أصعب على المريض من ان يرى نفسه مهملا متروكا

يظهر احتقار الرجل للمرأة جلياً فى افعاله وتصرفاته . اذا حزن يوما لا يكاشفها بما يؤلمه واذا نوى الشروع فى عمل يعدها غريبة عنه فلا يخبرها .

يخرج من البيت ولا يعود الية إلا لأمر ضرورى فؤانسته واسراره نهب للخلان . أما زوجه فلا يعدها إلا طاهية أو خادمة وأظن ان الرجل لولا بقية حياة فيه لما هوى منزله ولولا أن اكله فى الفنادق يكلفه كثيراً لما ذاق طعام بيته

أى ازدراء للمرأة وعبث بحقوقها أشد من ان تخرج كلمة من فم الزوج ساعة غضبه فتفرق بينهما وتشتت ملتئمهما وأى امل لها فى مستقبل مظلم لاتدرى متى ينهار بنيانه ؟ أن الدين لم يسمح بتعدد الزوجات وبالطلاق هكذا من غير شرط كما يفعل الآن رجالنا وانما جعل لهما شروطا وقيوداً لو اتبعت لما أن منها النساء البائسات

زار أغلب رجالنا أوربا والبلاد المتمدينة ورأوا بأعينهم كيف يحترم الرجل الأوربى امرأته حتى انها مقدمة عليه فى كل مجتمع فعادوا ينادون بوجوب تعليم المرأة ويصرحون فى كلامهم بانهم من انصارها وانها واجبة الاحترام ولكن لا يلبث كلامهم أن يذهب مع الهواء . الا انهم اذا اجتمعوا بسائحة افرنكية أو امرأة غربية تلطفوا لها كثيراً فساعدوها فى النزول من عربتها وامسكوا لها حقيبتها ورفعوا الطرابيش اجلالا لها فى حين أن احدهم يستنكف ان يركب مع امرأته فى عربة واحدة واذا سافرت أو انتقلت الى محل آخر تركها ونفسها كانه لم يكن هو صاحب الافكار الحديثة القائل بمساعدة المرأة واذا ازدحمت الطرقات فى مولد أو موكب مثلا رأيت الرجال يدوسون النساء ويضربونهن بالمناكب كأنه زحام الحشر فهل هذا مبلغ احترام النساء عندنا

أى سبة للمرأة العفيفة انكى أو اشد أيلاما من أن يحوطها زوجها بالرقباء والحشم كلما انتقلت خطوة كأنها غير أمينة على نفسها أو كأن العفة ملاكها الرهبة لا الرغبة

وهل يزدرى الرجل عواطف المرأة باكثر من ان يجالس خليلته امامها كان شعورها ميت ويريدها أن لا تغضب فهل قد فؤادها من حجر صلد ؟

لا انكر ان لنا عيوبا يجب اصلاحها وأن بعضنا لا يستحق كثير احترام ولكن أيؤخذ البرىء بذنب المجرم وهل يصح تطبيق القانون إلا على من ثبت ادانته ؟ وفى اعتقادى ان الرجل لو خفف قليلا من كبريائه وعلم ان امرأته مساوية له فى جميع الحقوق المشتركة وعاملها معاملة الند للند أو على الاقل معاملة الوصى لليتيم لا معاملة السيد للعبد لما رأى منها هذا العناد الذى يشكوه ولا طاعته حباً فيه لا خوفا منه ولا يجهل ان الاستبداد يأتى بعكس المراد

ما جعل الله لرجل من قلبين فى جوفه فكيف ورجالنا على هـذا الاستبداد يأملون صلاح الامة وتربية ابنائها على حب الاستقلال والدستور ! أما والله لو أرانا رجالنا عناية واحتراما لكنا لهم كما يحبون فما نحن الا مرآة تنعكس علينا صورهم ولنا قلوب تشعر كما يشعرون . فان أرادوا اصلاحنا فليصلحوا من أنفسهم والا فلينظروا ماذا هم فاعلون

احترام الآراء وآداب الانتقاد

١٧

اللسان والقلم رسولا القلب الى الناس أوهما جدولان صافيان تنعكس عليهما صورة النفس وما حواليها من الصفات وان شئت فقل هما سلك الكهرباء بين ذهن المرء ومن يخاطبهم أو يكتب لهم . تنقل عنه رسالة أخلاقه حرفا حرفا بغير زيادة ولا نقصان . والفضائل والرذائل كامنة فى الاشخاص لا يورى زنادها الا الاقوال والافعال بالمتكلم والكاتب تظهر اخلاقهما جلياً فيما يقولانه أو يخطانه وان حاولا اخفاءها لان الطبع غالب والتطبع سهل بال قليل الستر ان دارى شيئا تظهر منه أشياء . والفكرة وان جانبتها لا تزال تحوم حولك وترفرف الى ان تجد لها مقراً تستقر فيه من الجولان والاضطراب

فاذا قرأت كتابة شخص لم تلحظه عيناك امكنك بالتفرس فيها ان تحكم على أخلاقه بالاجمال . فالمتكلف تعرف من كتابته بانه لا يزال ينتقى الالفاظ الوحشية ويتقعر فى أسلوب انشائه ليدل على علمه وبراعته . والرجل البسيط يتجنب متنافر الالفاظ ومعقد التراكيب من غير تبذل ولا ركاكة فى عبارته كذلك من كرمت نفسه ترى أثر ذلك الكرم فائضا على كلماته وفى ثنايا سطوره واللئيم بالمثل تكاد تلمس لؤمه وضعة نفسه وأنت تقرأ أماليه على القرطاس . وأظهر صفات الكاتب على الورق الحكمة والحلم والحسد والجهل لان الغرائز كلها حسنة أو قبيحة هادئة لا يستفزها الشيء القليل ولا يهيج لاعجها الا اذا هيجت كالرائحة لا يبعثها الا الهواء أو كتراب الارض لا يثور الا مع الرياح . أما الحسد والجهل فهما أبداً جائشان يغلى صدر حاملهما ويكاد ينبثق من تلقاء نفسه من شدة الفوران كالبركان المضطرم يقذف الحمم لحر ما احتواه جوفه من النيران

والكاتب أو المفكر يخطىء اذا لام معارضيه على وقاحتهم فى الرد عليه او النظر الى فكرته بغير العين التى تستحقها لانهم معذورون فيما ارى . معذورون لانهم لا يمكنهم التجرد عن غرائزهم ولا يستطيعون نزع نفوسهم او تنزع ارواحهم من جسومهم . وما قلمهم الا انبوب تصب فيه تلك النفوس سائلها فيجرى على القرطاس . فأقلامهم لا ذنب عليها وايديهم لم تأثم واذهانهم خفيف جرمها انما العيب كل العيب فى نفوسهم فانها مصدر الوحى للذهن واليد والقلم

على عدد اختلاف اشكال البشر وألوانهم ومناهجهم تجد اختلافا فى آرائهم ومعتقداتهم . يخطىء الابيض اذا لام الاسود على حلكة لونه . كذلك يخطىء ذو الفكرة اذا عاب غيره لعدم رضائه عنها . ورحم الله البارودى اذ قال

أسير على نهج يرى الناس غيره ... لكل امرىء فيما يحاول مذهب

من العدل ان تترك الحرية لكل انسان يعتقد فى خلده ما يعتقد لأن

المصادرة لاتجوز فى الافكار والاضطهاد اذا ضيق دائرة العمل والكلام فلن يبلغ التضييق على الهاجس والوجدان

فالفكرة مادامت فى الخلد خفى أمرها ومن التحامل ان يتكهن قوم بمعرفة اسرارها والوقوف على حقيقتها . وان العمل الذى يقصد به النفع هو بذاته ما يصح ان تقصد به الشهرة وحب الذكر . ألا ترى الى المحسن كيف يتهمه اعداؤه وحساده بأنه لم يحسن ابتغاء وجه الله ولكن سعياً وراء المحمدة ويقول انصاره وعاضدوه انما اتاه لحب الخير المحض . كذلك السياسى وصاحب الصحيفة فقد يناضل عن مبدأ يعتقده صوابا أو يرد على رأى مخالف فيقول قوم ماأصدق وطنيته ويقول آخرون انه مأجور . ولم يخل عمل من الاعمال من العاضدين والمعترضين . ومذهبى ان العمل مادام نافعاً فسيان ان يعتبره قوم للمنفعة وحدها أو للشهرة فان فائدة حاصلة على اى حال . وقد تكون الشهرة وحسن الصيت جزاء وفاقاً لصالح الاعمال تأتى عفواً بغير قصد صاحبها فما حيلته ؟ أيردها وقد لاتندفع أم يترك عمله كى يبرهن لاعدائه انه صادق وانه لم يقصد إلا الفائدة خالصة لوجه الله ؟ اما الافكار والكتابات أو الاعمال التى تظهر للملأ فيجب على من لا توافقه ان ينتقدها وليس أحب للمنصف من أن ينتقده الناس بالحق فيصلح من خطئه ويقوم من معوجه . واذ قد بينت ان الارآء تختلف بحسب الاشخاص والعقول فما على المنتقد إلا تخطئة ما يرى فساده على أن يقرع الدليل بالدليل والحجة بالحجة حتى يقتنع صاحبه ويفحم فلا يجد مناصاً من الرجوع الى الصواب ويرى الناس صدق الادلة أو كذبها فيكونون حجة له أو عليه . أما من ينتقد بغير الدليل أو يشوب كلامه بالتهكم والسب القبيح فيخرج من عدوانه لشخص عفريتاً يخيف به كل من يلوذ بذلك الشخص أو ينتمى اليه أو يذكر اسمه فأحر بكلامه ان يضرب به عرض الافق فهو هراء واذا كان الله وهو يعلم صدق دينه وفى قدرته ان يجبر البشر على ان يدينوا بما

ينزله لهم لم يرض أن يذكر مسألة فى القرآن إلا وهو مبين ادلة نفعها وأوجه ضررها وضارب لها الامثال كى يقتنع من له عقل صلاحها أو فسادها . إذا كان الله وهو القادر المتعالى يفعل ذلك فهلا نفعله نحن عبيده الضعفاء ؟

ومن أدب الكتابة ان لا يخلط الكاتب الشخصيات بالعموميات إذ ما علاقة انتقاد مبدأ مثلا بأم المنتقد أو زوجه أو فقره وغناه . واين الشجاعة والشهامة فى كيد الخصم من هذا الهذيان ؟ لعلهم جعلوا مكان الاسنة الطوال ألسنة طوالا وبدل خضاب الدماء صبغة من قلة الحياء

كل ذى رأى يجب قدر رأيه واحترامه وتمحيصه حتى اذا ظهر فساده يحاج بالدليل الى ان يقتنع . ومن البلاهة ان يتشبث كل بفكرته وحدها ويزعم انه علمها ومفردها فيأبى قبول البرهان ويغمض عينيه على القذى

الصياح والتحامل لا يجديان بل قد يزيدان المتشبث عنادا . واختلاف المبادىء والآراء لا يحمل على العداوة الا من لا يفقهون . ثم ان العداوة لا تستلزم الهجر وفحش القول الا من القوم السافلين . ومن لى بصلاح الدين الايوبى يلقى على كل عدوين درساً مما أتاه مع خصمه ريتشارد قلب الاسد ملك الانكليز ؟ ومن لى بمن يعلم الجهلة ما ورد فى القرآن والانجيل والتواريخ من مقابلة الانبياء أعداءهم بالصبر والصدر الرحيب ؟

ومما يجمل ذكره من آداب الانتقاد ان لا ينتقد الكاتب أمراً كان قد أتاه هو او أتى شراً منه لانهم يقولون من كان بيته زجاجا فلا يقذف الناس بالحصى

هذا رأيى فى احترام الآراء وآداب الانتقاد اوجهه للفتيات والسيدات فقد ابتدأنا نعترض ويعترض علينا واذا كنا نقد الرجال فى كثير من الامور لانهم سبقونا فى التعلم والبحث وهؤلاء قد بلغ بعض كتابهم من الهوس وسقط المتاع الى الخبط والخلط وحشو عام المواضيع بالشخصيات ومزج الانتقاد بالعداوات

والمشاحنات فأنبه اخواتى من النساء ان يجتنبن الهوة التى وقع فيها بعض اخوانهن فالباطل اولى ان يجتنب والحق احق أن يتبع والسلام

لماذا يضيع الرجل تأثيره الحسن فى اسرته

١٨

يأخذ منى العجب مأخذه كلما دخلت بيت احد العلماء ورأيت نساءه على جهل مطبق وتنال منى الدهشة كلما سمعت ان ابنة فلان الغيور غاية فى الخلاعة وان اخت ذاك المستنير تدعو اترابها لحفلة زار وان أطفال ذلك الاستاذ مثقلون بالتمائم . وأكاد أحزن اذا سألت إمرأة الصحافى المشهور وهى تعرف القراءة وتدعى العلم عن مبدأ زوجها السياسى فتخبرنى ببرود انها لاتقرأ الجرائد ولا تشتغل بمعرفة المبادىء !! يحزننى جهل هؤلاء اكثر مما آسف لجهل عامة النساء

يعذر الفلاح على عدم تعليم ابنته العلوم لانه هو ذاته لايفقهها وربما لم يسمع إلا بقليل من اسمائها فضلا عن احتياجه لفتاته فى مساعدته فى الحقل ومساعدة امها فى البيت . ويعذر العامل الصغير اذا لم يدخل ابنته المدرسة لان مايشتغل به قد لا يكفيه لسد الرمق فضلا عن تحمله اجرة تعليم ابنائه يعذر هذا وامثالها جد العذار ويعذر ايضاً صغار الناس ممن لم يتعلموا الا القليل ليمكنهم من نيل وظيفة تكفيهم العيش لان نفوسهم لم تتشرب روح العلم ولم يأخذوا به الا وهم لايجدون غيره وسيلة للارتزاق ولكن ماعذر رجالنا المستنيرين المتفقهين فى ترك بناتهم تنشئهن الطبيعة كيف اتفق وتربيهن الامهات وسط الترهات وهم اذا كلمك احدهم اظهر لك واسع خبرته فى العلم الذى يتقنه وفهمت من مجمل حديثه انه فيلسوف وانه ذو افكار ومبادىء قويمة وانه يلتهب غيرة على أمته . مثل هؤلاء يصدق فيهم المثل العامى (باب النجار مخلع) او هم كالرجل الذى اذا

دهمه هو امر ظل كالحديد يتجاذبه مغناطيس الحيرة من كل الجهات فلا يكاد يرى له مخرجا من الضيق

اذا رأيت ابنة شيخ الاسلام لاتقيم الصلاة وإذا حادثت امرأة الطبيب فوجدتها لاتفرق بين فعل الادوية الاكيد وبين تأثير الرق والتعاويذ فى شفاء الامراض فهمت من حالها احد امرين اما ان يكون رب الاسرة لم تمتزج روحه بالعلم الذى يشتغل به تمام الامتزاج فهو لايشعر به حقيقة وانما يظهر به ليتذرع إلى كسب معاش او احترام واما انه صادق فى ادعائه ولكنه لايختلط كثيراً بأفراد اسرته ولا يوضح لهم آراءه ومذاهبه وهذا هو الغالب فى رجالنا

يقضى الواحد منهم نهاره فى الديوان او محل شغله ويتسلل من العصر الى (القهوات والبارات) فيقتل الوقت فيما لاينفع ولا يعود لمنزله الا وجفنه مثقل بالكرى وقد يمضى الاسبوع ولا يرى اولاده الا يوم بطالة المدرسة فيشبون لايدرون شيئاً من اخلاق والدهم ويقصر هو فى مخالطتهم والتحدث معهم كانه يأنف ان يضيع وقاره فى محادثة الصغار . وبعضهم يظل امام زوجه صامتاً حتى اذا مل وملت اخذ صحيفة من صحف الاخبار يطالعها ولكنه لايفهمها مابها ان كانت جاهلة ولا يقرأ ليسمعها ان كانت تفهم القراءة فكيف تعلم مبادئه وميوله وهو لايتكلم انها ليست نبية فينزل عليها الوحى ولا قدرة لها على كشف حجب الغيب . وكيف يبلغ اولاده التربية الكاملة التى بلغها هو ومن يرشدهم فى الحوادث اليومية الى مكارم الاخلاق ويخلص لهم النصيحة ؟ ان المدرسة وحدها لاتنى لان تكيف ملكة الشخص والام لا تجد من وقتها فراغا لتجالس أولادها وتثبت فيهم أخلاقها هـذا اذا كانت مهذبة عاقلة لها أخلاق فاضلة أما غيرها فعليها العفاء

وان الصبى لاعتناء والده به ولكثرة اختلاطه بأخدانه خارج المنزل تفيده التجارب ويعرك الحوادث فيعرفها أما الفتاة فحظها قليل من التربية النفسية وهى

ملاك الاخلاق . ولاعبرة بما يعلمه الانسان من العلوم اذا لم يكن ذا ارادة قوية معتمدا على نفسه فى كل أموره ثابتا حازما لا يابسا ولا طريا وفى اعتقادى ان الاب الرحيم العالم باجتماعه مع أولاده وبناته يعوض عليهم كثيرا مما لم يدركوه بالتجربة

لا أحب الاب يتكبر على أهله وأولاده فيظهر لهم بمظهر الجبار العنيف ويظن ان ذلك استجلاب للهيبة وهو لا يعلم بما يشعرون . ان الهيبة واجبة فى حد الاعتدال ولكنها اذا زادت تعدت الى الخوف فيفقد الوالد الرحمة على أولاده ويفقدون هم كثيرا من المحبة والثقة بوالدهم وتجد أغلب الاطفال يحبون والدتهم أكثر من آبائهم لهذا السبب عينه . وهذا التجبر من جانب الاب يضعف الاخلاق فى الطفل ويفسدها اذ يربى فيه الجبن والذل ثم الاستبداد متى كبر وأولاد البخلاء أكثر الناس تبذيرا متى كبروا . زرت مرة سيدة ممن ابتلين بمثل هذا الزوج القاسى وكنا نتكلم وأولادها الصغار يلعبون قريبا منا وبناتها الشابات يضحكن واذا بهن سكتن فجأة وارتبكت أمهن وغارت أعينهن وعلاهن الاصفرار وقامت احداهن تهرول الى الصغار لتسكتهم والثانية تتسمع على السلم والاخرى ترى ماذا يمكنها ترتيبه فى حجرة والدها فعجبت من هذه الحركة الفجائية وسألت عن الباعث لها فأخبرتنى السيدة والحزن باد عليها وتكاد لا تنطق الا همساً « ان البك ربما يكون قد حضر » فقلت فى نفسى اذا كان كل هذا الاضطراب وفى حضوره شك فماذا يفعل هؤلاء النسوة اذا قيل لهن « انه قد والله حضر » وأخذ البنات يشرحن لى أنهن لا يتكلمن امام والدهن وانهن يجتهدن دائما فى البعد عن طريقه لانه غضوب وانه لا يسمح لهن بزيارة قريبة ولاصديقة وانه اذا أخطأت احداهن فى خدمته أو تأخرت قليلا (وشدة الوجل تبعث على الخطأ والتأخير) كدرها وأهانها . واذا تناول الطعام تظل أمهن

وثلاثتهن واقفات كالاماء الى ان يفرغ منه . فعجبت لذلك وأسفت على تأصل روح الاستبداد فى بعض رجالنا الى هذا الحد المعيب حتى وهم فى منازلهم بين أهلهم وفلذات أكبادهم

هـذا مثل الاب القاسى الذى اذا اختلط بأسرته ليعلمها لم يستفد أفرادها من تعليمه لان شدة الخوف تذهب بالفكر . سألت عن هذا الرجل ومعاملته فى الخارج فأكد لى أخى انه غاية فى اللطف والتواضع وانه يحب المزاح أحيانا فاستغفرت الله . أيتفضل على الغرباء بالمؤانسة والمزاح أيضا ويضن بابتسامة على أولاده وأهله ؟ ولكن لله فى خلقه شؤون

ألا فليعلم الآباء والازواج ان السلطة التى يطلبونها فى منازلهم يكفى منها ان يقلدهم ابناؤهم وتتشبه بهم فيها زوجاتهم وبناتهم ويخشينهم على البعد والقرب وان الاسرة الواحدة يجب ان تكون تامة الامتزاج مرتبطة بالحب الصحيح فلماذا يضيعون ذلك الحب الطبيعى بقسوتهم وجفائهم ولماذا لا يبثون روحهم فيمن حواليهم من بنات وأخوات ولماذا لا يجعلون لهم تأثيرا حسنا فى أسرهم وكما يتوارث الاولاد اللون والخلقة عن والديهم يجب ان يتوارثوا عنهم أيضا أخلاقهم الحسنة ومميزاتهم . وبودى لو يجتهد كل شاعر فى ان يجعل ابناءه ذكورا وأناثا شعراء . وكل رياضى ان يعلم أسرته الرياضة . وكل سياسى ان يجعل زوجته وذويه يتباهون بمبدئه حتى يتم الامتزاج المطلوب وتظهر فينا روح الحياة الطبيعية والسلام

الكلفة بين الزوجين

١٩

بين الزوجين الحضريين من أهل مصر تكلف لا يتفق مع ما يريده الله لهما من سكون الواحد الى صاحبه ويشذ عن شواهد الطبيعة وآثارها المرسلة ارسالا من غير تعقيد ولا ابهام . فالسماء معقودة على الافق فى مصر وهى كذلك معقودة على الافق فى اليابان وفى جرينلاند . لم يضع الله لها عمد المرمر فى ايطاليا ولا قوائم العاج فى السودان ولم يقرها على حوائط البلور فى النمسا . تنيرها الشمس نهاراً (إلا فى القطبين) والقمر ليلا وقد نثرت فيها النجوم نثراً إلا قليلها فهو منظوم . ولم يشأ الله وهو قادر أن يجعلها فى شكل عقود وتيجان أو يرسمها دوائر ومثلثات مرصوصة رص البلاط الملون وهى مع ذلك يأخذ جمالها باب المتأمل المتفكر . والارض بسيطة ايضاً لا تحول لنظامها . فالصخر يفتته توالى الريح والمطر فيصير رملا . والرمل تسفيه الريح ويعجنه المطر فيكون صخراً . والبذر ينبت اذا لقى ريا وأرضاً صالحة . وما أبسط سوق النبات تظل قائمة ولكنها تميل مع الريح ويثقل عليها ثمرها فيتدلى أو يسقط الى الأرض

زعموا أن ملكا من ملوك الصين أمر أن يعرض أصحاب الحرف والملكات مخترعاتهم ومجهوداتهم على باب قصره ليكافئ المجيد منهم . وبينا هو ذات يوم يفحص تلك المعروضات استوقف نظره جمال لوحة مصورة فأمر ان يمثل صاحبها بين يديه ليكافئه على مهارته فى النقش . فلما أن حضر الرجل عرض الملك اللوحة على جمع من اهل النظر ليحكموا فيها فاستحسنوها كلهم وأشاروا باجازة المصور إلا رجلا حاذقا قال ان بالصورة عيباً وتكلفاً لا ينطق على الطبيعة فسئل عنه فقال . صور الرجل عصفوراً على إحدى سنابل القمح المرسومة فى اللوحة

ولكنه رسم السنبلة قائمة مع انها ضئيلة ولو اعتلاها عصفور لمالت كل الميل فرأى الملك صدق رأيه واخرج المصور بخفى حنين . هـذا مثل ضربته لقبح التكلف وحلاوة البساطة . ولكننا مع الاسف نسمع الزوجة عندنا تقول لزوجها ياسيدى أو ياأفندى وهو يناديها بقوله « ياهانم » كأنهما غريبان بعضهما عن بعض وما اثنان أحق بزوال الكلفة بينهما من الزوجين المطلع احدهما على سر الآخر المشرف على نفس صاحبه ولو اقتصر الامر على النداء لقلنا بعض الشر أهون من بعض . ولكنك ترى الرجل يرائى فى حديثه مع امرأته ويطريها بمحاسن ليست بها فما اكذبه وما أكذبها إذ تغش نفسها واذ تتكلف له فى كل شىء حتى لون وجهها فتصبغه وتغيره وعذرها انها لو وثقت من رضاه عنها وهى فى صورتها الفطرية لما ظهرت له متكلفة

أعرف نساء وأسمع عن أخريات تظل احداهن واجمة أمام بعلها تخطئها الكلمة اذا نطقت وتتعثر اذا مشت وتكسو وجهها الصفرة اذا سمعت صوته « وتعروها لذكراه رعدة » فياسبحان الله أى سعادة فى تلك العيشة النكدة عيشة الخوف والوجل ؟ ان الزوجة مهما كان الرجل مهيبا شجاعا ليست موضعا لاظهار بسالته وقدرته على سحق البشر ! ويقول العامة فى أمثالهم « السبع لا يأكل انثاه » وهو مثل من الحكمة بمكان . وحبذا لو اقتدى به ساداتنا المتجبرون . وحسبهم شرفا ان يقال انهم كالليوث والا يصدق فيهم قول الشاعر « اسد على وفى الحروب نعامة » فعندهم مواطن عدة لاظهار شجاعتهم فليتشجعوا لها وليتركونا

تعجبنى طريقة العرب والفلاحين والفرنجة فى معاملة أزواجهم . ينادى الرجل زوجته باسمها وتناديه باسمه . تشاركه فى الراحة والتعب وتقاسمه الطعام والشراب اذا غضب عليها ظهرت له فى مظهر الشمم والأباء فان حاسنها حاسنته وان التوى لم تقصر هى فى كيل الصاع بالصاع

أما طبقتنا نحن نساء الحضر فى مصر فلا يماثلها فى العالم طبقة جمعت بين

الاضداد . فبينما نحتكم فى الرجل من شأن حلينا وحللنا حتى نجعل نهاره ليلا أو يذعن لمطالبنا ترانا نكسر شرة النفس ونحملها من الكلفة وضيمها فوق ماتحتمل فكم من امرأة تقبل اهانة زوجها لها صاغرة وكم من أخرى تلدغها أصابعه لدغ الافعى فتجعل من دمعها المدرار ترياقا لها ثم لاتلبث ان تستغفره كأنها هى المذنبة على حد قول الشاعر

اذا مرضنا أتيناكم نعودكم   وتذنبون فنأتيكم ونعتذر

انها لو أظهرت له انها مساوية له لما استرضته مخطئا ولكن هل ظواهر الانسان دائما بواطنه ؟ انك تحترم الامير ولكن لاتعتقد انه أشرف منك مجداً ولا أعرق منك فى الانسانية وتظهر هذه النزعة فى كلامك عنه خصوصا اذا استفزتك اهانة منه فأثارت نفسك عليه

فالزوجة بتحملها أذى زوجها لاتعتقد انها أذل منه ولكنها تخضع صاغرة لاحتياجها الى انفاقه عليها أو تفاديا من ان يقال طلقت وبانت أو حبا بأولادها وخوفا عليهم من ان يذلهم بعدها . وهذا الخضوع وان كان يعلمها مزية الصبر الجميل تكلف منها وتصنع . فالحاجة والحياء يغطيان جراحها ظاهرا فتظهر كأنها اندملت ولكنها تنغر نغرا ممتلئة صديدا وصدودا

الكآبة رياء والرياء سرطان يسطو على النفوس فيصدعها ويصرعها . والزوج القاسى أو المتكبر يفسد اخلاق زوجته بتكبره ويعلمها الصغار والكذب . ومن كانت هذه حالها كيف ينتظر ان تربى اولادها على الفضائل ؟ كيف تقول لابنها لا تكذب وهى تكذب

أظن اصل تأليه البعول سرى الينا من ذلك الزمن الذى كانت فيه الجوارى حظيات ! ولكن اذا جاز ان تقول الجارية لسيدها المالك لها البانى بها ياسيدى فكيف يجوز لحرة ان تدخل نفسها فى الرق مختارة والرق أسر فضلا عن انه غير مباح الآن ؟

وهناك اخرى تقول لزوجها حضرتك وسعادتك فما هذا التكلف البارد ؟ اننا بتسميتنا فلانا بصاحب العزة و تلقيبنا احد الملوك بصاحب الجلالة لنكفر ونلحد . فما صاحب العزة وذو الجلالة الا الله الواحد القهار . ولو أنصف كتابنا لحذفوا تلك الالفاظ الدالة على الشرك من كتاباتهم وأقوالهم

يكلم الفرنسيون الغريب بلفظه الجمع (suov) ولكنهم يضحكون اذا قال الطفل لامه أو الرجل لزوجته Vous لفظة التعظيم ولم يقل Tu أى انت وكذلك الحال بين الاهل والاصدقاء والاصحاب

الزوجان بعقدهما عقد الزواج تعاهدا أمام الله أن يرتبطا بعضهما ببعض فكيف يقف الانسان حياته على من لا يوافق مشربه أو يتعالى عليه ؟

سمعت ان المرأة اليابانية تسجد لزوجها وعجبت من ذلك وهى قد أخذت من التمدن الغربى حظا وافراً ولكنها مشركة بالله فلا غرو اذن ان صدق ما سمعته عنها فى هذا الشأن . فعلى رجالنا المستكبرين الذين ستغضبهم مقالتى هذه أن يخطبوا منهن فاننا مسلمات مؤمنات لا نشرك مع الله أحداً أو أولى لهم اذا قبلوا أن يتحملوا مسئولية المحاكمة أن يختطفوا الجوارى من جبال القوقاز أو من مجاهل افريقية ويدربوهن على عبادتهم من الصغر ولكن بأى لغة ! !

لعل مصلحة منع الرق لا تعتبرنى محرضة على العبث بقوانينها فتحاكمنى قبلهم معتبرة الدال على الخير كفاعله

زواج الاختين

٢٠

وصلني فى بريد الخيال كتاب ذو بال أثار من النفس أشجانها واعترض سرورها بأحزانها وجعلها بين اليأس من الاصلاح والرجاء فيه فتارة أنا متسنمة ذروة الأمل وطوراً أراني فى حضيض القنوط ومعاذ الله أن أستسلم لليأس وهو سم القلوب ومعول الحياة . ومعاذ الله أن تسترجعني الصعوبات عن عهد أخذته على نفسي بيني وبين الله أن اصلح ما استطيعه من فساد وما كان لمثلي أن تنكث المواثيق أو تغدر بالوعد مهما كانت وعورة الطريق . وهذا هو الكتاب

مصر فى ٣ شوال سنة ١٣٢٧ هجرية

عزيزتي ملك .

شوق وسلام وبعد فاني أهنئك بالعيد السعيد كما يقولون وان كنت لم أشعر به ولا حفلت له

عيد بأية حال عدت ياعيد   بما مضى أم لأمر فيك تجديد

أما ماضي فقد كان غير سعيد . اكتنفته الاحزان وأخذت عليه طريقة تقلبات الزمان . ومستقبلي لا أراه أشد حلكة وأبعث على اليأس منه على الرجاء فقد تولتني مصيبة دهياء ليس لها سلوان . واحدة لكنها متعددة اذا تعزيت بأولادي ألح على فراقهم لى على الرغم مني ومنهم . واذا أنساني عزاء الصديقات بعض الاسى على بعدهم ذكرني غدر شقيقتي خيانة بعلي ولولا الايمان والثقة برحمة الله لفضلت الانتحار على حياة سئمت تكاليفها ولكني لم أعش ثمانين حولا كزهير عند ماسئم بل عمري لم يتجاوز الخامسة والعشرين

عزيزتي لقد أفرغ الدهر جعبة سهامه على فأصاب مني مقاتل شتى . طالما

ممعتك ونحن نلعب تقولين لشقيقتى انها غليظة القلب جافية الشعور ولا اكتمك أن قولك هذا كان يؤلمنى وقد عاتبتك عليه مراراً الى حد التعنيف ولكن ستأخذ منك الدهشة الآن اذا جاريتك على رأيك فيها بل زدت عليه أن أن فؤادها قدمن الجلمود .

أتدرين ماذا فعلت ؟ أنها كانت تكثر زيارتى فانشرح لها اذ كان يلذنى شعورى بحبها الاخوى لاننا كما تعلمين فقدنا الابوين منذ نعومة الاظفار فكنت أستعيض بها عنهما . وكانت تجالس بعلى وتخاطبه وليس عندى شك فى اخلاصها لى واماتتها نحوه ثم تحولت المحادثة البسيطة الى مضاحكة ومغازلة تحملتها على انهما كأخوين مرفوع بينهما التكلف . ثم زاد بهما الشغف فكان يأخذها للفسحة معه خارج البيت ويتركنى به وهكذا تدرجا فى الحب كما قيل

نظرة فابتسامة فسلام فكلام فموعد فلقاء

ولم يداخلنى ريب البتة فى حسن نيتها نحوى . واخيرا لم ادر الا وقد فاتحنى يوما بانه يريد التزوج من اختى لانه كلف بها وهى كلفت به واذ كان الدين الاسلامى لايسوغ الجمع بين الاختين فقد تحتم طلاقى منه وحم القضاء . وقد تركت له منزله فأقام فيه عرسا بهجا واقترن بشقيقتى بنت أمى وابى وأخذ منى أفلاذ كبدى وتركنى اندب حظى وأندب اجتماعى بأولادى بل أندب الوفاء وأندب الانسانية أما والله لو كان تزوج غير أختى لهان الخطب ولما أسفت على عيشة نكده قضيتها معه . تحملت سوء معاملته بالصبر الجميل وعذرته فى سكره وعربدته فكنت أصفح ويسيء كما قال معن بن أوس

وان سؤتنى يوماً صفحت الى غد ليعقب يوماً منك آخر مقبل
كأنك تشفى منك داء مساءتى وسخطى وما فى ريثتى ما تعجل

انى لا شك فى انى وأختى رضعنا ثدياً واحداً أو حملتنا أم واحدة

لم يكف أختى سامحها الله ما فعلت بل انى ذهبت بعد شهرين من زواجها

لارى أطفالى الذين حرمنى الدهر منهم على غير جريرة ارتكبت فامتنعت عن ان تسلم على وتركت الطبقة (الدور) التى كنت بها الى الطبقة العليا . وأرسلت لى خادمتها تأمرنى بالانصراف حالا عن منزلها خيفة اذ أكون استصحبت لها سحرا يقلل من محبة زوجها لها . خرافة والله وما كان ليهمنى زوجها وحبهما بعد ان حصل منهما ماقد حصل . على انى لا أعتقد فى السحر الا كاعتقادى فى وجود العنقاء

وأنا الآن فى بيت خالى وقد طالما نصح لاختى هو وجدتى . نصحا لها ان ترجع عن غيها وتنسى زوجى والرجال غيره كثير وهدداها بأن يبرءا من نسبتها اليهما فلم تحفل بما بذلاه لديها من النصح والتهديد وصمت الاعن هواها وأنانيتها

ان هذه الحادثة ياعزيزتى جعلتنى أمقت ذكر الزواج والرجال . وأعتقد انه لا يزال بهم جزء وافر من البهيمية وان كانوا يدعون انهم أرقى منا عقلا وأصفى جوهرا . نعم ان أختى عليها بعض الجرم ولكن من أغواها وأضلها ؟ أليس هو الرجل ؟

هذه حكايتى قصصتها عليك ولى فى اخلاصك مايخفف بعض لوعتى والسلام

صديقتك الوالهة

سعاد

كلمتى . تقع أمثال هذه الحادثة كثيرا فيتفطر لها قلب الانسانية ولاأدرى هل عند حضرات العلماء والمجتهدين فتوى تحرم الزواج فى مثل هذه الحادثة .

نعم ان الشرع نص على انه لا يجوز الجمع بين أختين فى آن واحد ولكن ألم يضع الدين كل ما يكفل راحة البشر وسعادتهم ؟ وان فى طلاق أخت لاجل زواج أختها من نفس بعل الاولى لشقاء لا يعادله شقاء وقطيعة بين ذوى القربى أو عصيانا لامر الله تعالى فانه نص على البر بهم نصا صريحا لا يحتاج لتأويل

من الملوم فى مثل هذه الواقعة ؟ لا ريب ان اللوم لا يتخطى كلا الزوجين

الجديدين ولكنى أعتقد ان المراد أضبط للنفس من الرجل متى أرادت . وليس ذلك بالفطرة ولكن بفضل المبادىء والتقاليد فلو كانت أخت سعاد أرجعت بعل أختها عنها لارتجع أو لو ابتعدت عن طريقه لامتنع عن التمادى فى الغواية ولكنها كانت ميالة للغدر بأختها فلا رعاها الله ولا رعى كل امرأة لاتقوى على ضبط نفسها وامتلاكها

المدن والقرى

٣١

قل ما أنقى الهواء وأعذب الماء وأصفى السماء فى القرى وما أكذب الحياة وأقرب الوفاة فى المدن . القرى جميلة لانها على الفطرة . أما المدن فلا تعدم أثر للتكلف والرياء

أين دوى الكهرباء من خرير الماء والدخان المتعاقد فوق المداخن من جو لا ترى فيه إلا تحليق الصقور والا رؤوس النخل الباسقات ؟؟ وأين وحل الشوارع وعثيرها من أرض كسيت ببساط النبات ؟؟ وأين الرائحة المنبعثة من مقاذير المنازل وروث الدواب من شذى أزهار الحقول ؟؟ بل ما أوصل البصر يريد الجولان فيرده من هنا جدار ومن هناك سور من نظر تسرحه حيث شئت فلا تجد إلا اللانهاية للفضاء ؟؟ وأين كثرة التلفت والحذر من رسل عزريل السيارات والمركبات من اطمئنانك وسيرك على صراط سوى لا يقتفى أثرك إلا ظلك وهو على ما تعلم من التبعية والولاء ؟؟ وبالاختصار قل ان جملة المدن فيها اجهاد للحواس وتشويش للفكر وان القرى فيها هدوء الكون والجسم والبال

فى القرى تجود الصحة لنقاوة الهواء وحسن الغذاء واتباع سنن الطبيعة فى النوم والراحة والاستيقاظ . أما فى المدينة فغذاء مغشوش وماء آسن لا يكاد

يصل الى المنازل إلا بعد مروره ببطن الارض فيتلوث بما فيها من المستنقعات والرواكد والاقذاو. وجو مكتظ بأنفاس السكان من اقوياء واعلاء. ومساكن اشتركت فى عمرها الرطوبة فضلا عما بها من الضيق وساكنها من حين لآخر ينتظر زائراً أو يزور صاحباً أو يخرج ليرى منظراً أو يلتقط خبراً فيضيع وقته سدى فى أحاديث منمقة كاذبة. تراه يقول لزائره «أوحشتنا وآنستنا» وقد يؤثر زيارة الحمى على زيارته

المدن باعثة على الفساد من كان عنده ميل اليه أو كان ضعيف الارادة يجره أولو السوء الى مساوئهم كما يجر الجزار الشاة ويجذبه زخرف المدنية الباطل فلا يقوى على رد هجمته. لاتصلح المدن لتربية الاطفال على قواعد الصحة والاستقلال وكذلك لاتوافق المرأة كثيرا. والمتصفح لكتاب التربية الاستقلالية أو أميل القرن التاسع عشر — لا يسعه الا التأمين على ما قاله مؤلفه من وجوب تربية الاطفال فى القرى. وقد ضرب لذلك مثلا أن الطفل فى المدينة تجتهد أمه فى تزويقه وتحسين بزته ليفتتن كل من رآه فاذا مشى يريد الفسحة حمله هذا وقبله وأطراه ذاك واذا أراد اللعب أو تتبع حشرة أو جرى تنشيطاً لرجليه منعته مربيته لئلا يلوث ثيابه الجميلة فينشأ الطفل ضعيف الجسم لانه لم تترك له الحرية ليستعمل حواسه وأعضاءه كيف شاء — ولا غرو فان استعمال الشيء يقويه ويصلحه ويشب ضعيف الارادة مغلوبا على أمره لانه يجبر على الخضوع لمربيته خضوعا مزريا. حتى انه ليستشيرها فيما يقول أو يفعل ويشب كذلك مغروراً بنفسه لتعوده سماع الثناء عليه والاطراء. ثم يظل جاهلا لكثير من الامور لانه فى القرية يستغنى عن كثير من «دروس الاشياء» والجغرافية الاولية يتعلمها بنفسه والعلم المكتسب من النفس والتجارب ثابت بخلاف مايحشى به الرأس قسراً فانه سريع الزوال غير مؤثر. فبدلا من تلقينه ان الشمس تبزغ من الشرق وتغيب فى الغرب وترديده تلك الالفاظ كالببغاء وقد لا يرى

شروقها وغروبها لعلو المساكن الملتصق بعضها ببعض وحجبها الافق . بدلا من ذلك يمكنه فى القرية أن يلاحظ الشروق والغروب بنفسه لسعة الفضاء حوله

يضحكنى فى « دروس الاشياء وكتبها أن يقال الجمل من ذوات الاربع وله سنام والقط وله عينان وشاربان والسمكة لها ديل وحراشيف فان ذلك يجب أن يراه الطفل بنفسه أما ذكره له فأراه حطا من كرامته وتضييعاً لوقته وتعويداً له أن يتكل على غيره . وعندى أن تركه يلعب ويمرح خير له من تلك الدروس العقيمة . ولكن قد لا ينتبه اطفال المدن لتلك الحيوانات لقلتها عندهم ولعدم تعودهم البحث واجالة النظر من تلقاء انفسهم . وهم لو تربوا فى القرى لعلموا كل ما يتعلق بها أو جله ولأمكنهم معرفة خصائص النباتات ومتى وبأى وسيلة تنمو وماذا يصنع بها فى أدوار نموها وبعد نضجها وغير ذلك مما يفيدهم ويسليهم فى آن واحد

ترى الطفل فى القرية يستيقظ مع الشمس وينام معها ويأكل متى جاع فلا ينتظر وليمة يأخذ منها فطيرة قد تفسد معدته ولا يجبر نفسه على السهر ليحضر الملاعب وهو فى كل أوقاته بعيد عن السكارى والمهوسين وصرعى العجلات (الترام) فتمتلئ نفسه ثقة وايمانا واطمئنانا ويكون أبعد انفعالا وحمقا من مثله فى المدينة . يؤيد قولى هذا أن اعظم النوابغ فى مصر وأشرف الرجال مبادئ أصلهم كلهم تقريباً من أولاد اولئك القرويين الاصحاء البنية والعقول اثرت فيهم تربيتهم الاستقلالية فنشأوا ذوى عزيمة صادقة وحب غريزى للعمل . أما أولاد (الذوات) وهم العريقون فى سكنى المدن فلا حاجة لوصفهم ويكفى القول بانهم لا يصلحون لشئ ما ولا ينبغ منهم إلا النزر القليل

والمرأة ليست أقل سعادة من الطفل فى سكنى القرى . بانها فضلا عما تجد من جودة الصحة والراحة تراها تتفرغ لبيتها اكثر وتزاول بعض الاعمال مما يشغل عضلاتها أو على الأقل يستدعى انتباهها وملاحظتها . فبدلا من أن تنام

وتنتظر بائع الخبز يحضره لها تراها فى القرية تشتغل بتحضيره أو تلاحظ خدمها عند اشتغالهم بالقمح وتجهيزه . كذلك تجد نفسها فى المدينة كسولا لانها ببذل بعض الدراهم يمكنها استجلاب جميع لوازمها فلا تخيط والخياطات كثيرات ولا تلاحظ نظافة البيت وترتيبه كما تفعل لو كانت فى القرية لأن خادمات المدن أرقى بالطبع من الفلاحات فى مثل هذه الشؤون . فتتكل ربة البيت عليهن ولكنهن لايقمن بما عهد اليهن تمام القيام أما سوق التنافس فرائجة جداً فى المدن لكثرة الاختلاط وقد يجر تنافس النساء الى تحميل الرجال فوق طاقتهم ومضايقتهم اذا لم يكونوا فى سعة من الغنى

ماذا تعمل نساء المدن عندنا ؟؟ لا شيء اللهم إلا كنس الشوارع بذيول حبراتهن واثارة ترابها وجراثيم الامراض المنتشرة ووقتهن ضائع بين استقبال الزائرات وزياراتهن وبعضهن يحضرن التمثيل ولكنهن مع الاسف لا يخرجن منه بفائدة ما ولا يتعلمن من مزاياه والتاريخ المنطوى تحته والمعانى السامية التى يحتويها الا ألفاظ العشق والتهتك ووسائل الهرب والفجور . مثل هؤلاء تفسدهن المدن وتدعوهن للتبذير والابتذال

قارن بين المرأتين المدنية والقروية تجد فرقا هائلا فى الصحة والاخلاق . فبينما تنشأ الاولى خمولا عليلة تجد الثانية مفتولة الذراعين طاهرة السيرة والسريرة تمشى الاولى فى الطريق محتجبة ولكنها غير محتجبة عن أعين السفلة وألسنتهم فيغازلونها على قارعة الطريق وهى تمشى الهوينا متبخترة أما القروية فانها تلوح عليها دائما ملامح الجد والنشاط فاذا مشت خارج بيتها تجدها تسرع الخطا لاتلوى على شيء وهى لا تغطى وجهها ولكن هل يجسر أحد على « معاكستها » ؟؟

رأيت سيدات كثيرات لا يستطعن العيش فى القرى اسبوعا واحدا فعجبت من ذلك . هؤلاء من يسميهن الانكليز (Society Women) أى نساء المجتمعات وهن اللاتى لا يهمهن الا ان يظهرن فى كل حفلة ويذكرن بالحسن والتأنق فى

الملبس ونفاسة المصوغات ويطربهن ان يكن موضع الاعجاب وان يشار اليهن بالبنان ولو فيما لا يستحق الذكر. مثاله ان احداهن رهنت أملاكها واشترت سيارة وأوصت ان تدهن تلك السيارة بلون ليس له مثل فى البلد وان يجعل لصفارتها صوت خصوصي تعرف به فاذا مرت وسمعت قولهم هذه سيارة فلانه هزها الفرح ونسيت أن أملاكها مرهونة وانها خير من السيارة وابقى. فهذه السيدة ومثيلاتها ممن يرصعن احذيتهن بحجارة الماس الكريم ويتركن الفقراء يتضورون جوعا لو نشأن فى القرى أولو سكنها لوجدن أنفسهن بعيدات عن مثل هذا الترف الباذخ ولواسين الملتفات حولهن من الفلاحات البائسات

السيدة الفاضلة هى التى ينال غيرها نفعها لا التى ترفل فى الدمقس وفى الحرير وفى القرى يمكن بث التعاليم المناسبة لاهلها فتستفيد منها كثير النساء الجاهلات كتشويقهن للنظافة والقاء بعض النصائح الصحية عليهن وحثهن على ارسال بعض أولادهن للكتاب وتعويدهن الاطمئنان لتحوطات الاطباء أيام الاوبئة وتشجيعهن عند أخذ أولادهن للجندية وغيره كثير. وقد جربت ذلك بنفسى ويسرنى انه ناجح والحمد لله. الا ان هذه القلوب الطيبة والنفوس المطمئنة لتجعل الملتفات حولها تشعر كأنها ملكة فى مملكة صغيرة وبلدها ان تنفعها وترقيها. فليتدبر ذلك نساؤنا اللاتى يكرهن زيارة القرى لا لذنب الا لانها بلد الفلاحين



جمال السيدات

٢٢

البشاشة مفتاح ما أغلق من السعادة ومعوان على قضاء الاشغال يصل نورها الى قلب صاحبها فيغمه غبطة . وكذلك يلقى شعاعه الكهربائى على من حوله فتنتعش به أرواحهم وهى جميلة فى الكهل كما تجمل فى الطفل الا انها أبهى وأشد تأثيرا فى المرأة تلك التى تسيطر على القلوب ولا تدرى

خلقت المرأة لطيفة بالفطرة والبشاشة من لوازم اللطف كما هى من المؤثرات فى الجمال . وان لين صوتها ونعومة أديمها وتناسب أعضائها لتستدعى مراعاة النظير فى رشاقة حركاتها وانفراط أسرة وجهها . كذلك صوت المرأة يدل على تربيتها فالمرأة المهذبة لا ترفع الصوت ولا تكاد تسمعها عن بعد الا كالهمس . هذا اذا لم يبعثها باعث شاذ على اعلائه كأن تقف خطيبة على جمع حافل أو تلقى درسا فى حجرة واسعة . ولكنك اذا اجتزت أحد شوارع البلد الهادئة يذعرك كثرة ما تسمع من صياح النساء فى غير طائل الا شتم الخدم والدعاء على الاطفال أو محض قص القصص أحيانا . فاذا دخلت المنزل تجد صاحبته مقطبة الجبين يكاد يطردك عبوسها عن ان تقابلها ولا توشك ان تجلس حتى تبدى لك سبب صراخها فتشكو من هذا وتتألم من تلك الى ان تجعل الدنيا فى عينيك كسم الخياط

يلاحظ نساء الفرنجة ذلك وكذلك السيدات التركيات ويستدللن من صوت المرأة على مكانتها فى الاجتماع فالمهذبة تخفضه أما عاليته فيصمنها بفساد التربية أو ضعة المنبت ولكننا نحن المصريات قلما نراعى ذلك فقد تجد أعرقنا أصلا اقوانا نبرة واكثرنا حشمة أشدنا صراخا

ثم اذا أرادت إحدانا التنقل من حجرة لأخرى تراها تتعثر بأذيالها أو يصدمها حائط أو تكسر زهرية قريبة منها . وهذا كله نتيجة تربيتها الاولى

يجب أن تعلم الفتاة كيف تمشى وكيف تتكلم . لا أريد بذلك أن تتدرب على التبختر أو غنة الصوت . كلا وانما المراد تربيتها على ملاحظة ما حولها والانتباه له . فكثيرات عندنا وكثيرون ايضاً من يمشون غير حذرين فيقعون فيما لا تحمد عقباه وان كثرة صرعى (الترام) فى مصر وتعدد السقوط من النوافذ لبرهان جلى على فساد التربية سواء كانت فى الاطفال أو الكبار . و ن من العمى لمن هم أشد حذراً فى التلمس واكثر تؤدة فى المشى من هؤلاء المبصرين الذين (لا يستعملون اعينهم) كما يقول الانكليز فى اصطلاح لغتهم

اذا كان الانسان عاجزاً عن أن يحسن خلقته أو يغيرها تغيراً ثابتاً فانه يستطيع على الأقل أن يحفظها كما هى زمناً طويلا وأن يحسن اخلاقه وهذه الثلاث الخصال أى البشاشة والخفة وانخفاض الصوت من مجملات المرأة خلقاً وخلقاً ومن محسنات الصحة ايضاً . فقد ثبت أن تقطيب الوجه يدنى الى الشيخوخة بما يخلفه من الآثار والغضون فيثنى الجلد ثنايات لا انفراط لها فيما بعد وأظن هذا هو السبب الوحيد فيما يظهر على نسائنا من الكبر قبل الأوان

أما خفة الحركة فكفى بها ما تستدعيه من نشاط الجسم وتوفير الوقت تسافر المرأة الافرنجية الآن أو البدوية وحدها فتركب القطار أو الجمل وتنزل وسرعان ما تحمل متاعها أو تحضر من يحمله لها بلا ضوضاء . أما المصرية فلا تسافر الى محطة قريبة الا ومعها من الخدم والاقارب من تعطلت أعمالهم من أجلها ثم تجدها لا تكاد تحرك رجلا لتنزل حتى يتحرك القطار واذا ساعدها الله (والاولياء) ! ! ونزلت فما أكثر ما تفتقده ولا تجده . ضاعت حقيبة المصوغات وانكسرت القلة فبللت حبرتها واشتبك برقعها بمفتاح العربة فانقطع خيطه واذا لم يسرع حشمها فى التقاط أطفالها فقد يقع أحدهم تحت العجلات صريعا

أما انخفاض الصوت ففضلا عن رقته ولطفه فى ذاته فانه يريح الرئتين والزور من الاجهاد وكذلك يقع لينا على آذان السامعين

المرأة صاحبة البيت فى الحقيقة لا الرجل فانها بما لها من القيام على ترتيبه وحفظ من وما فيه تسرى سلطتها على من يسكنونه معها من زوج وأولاد وخدم. والرئيس له تأثير غريب فى مرؤوسيه يأتى طبيعياً ان لم يكن بالتقليد لنيل الزلفى: فاذا دخل معلم على تلاميذه بحالة ما من الحالات النفسية تجد أن تلك الصورة بعينها قد انطبعت فى التلاميذ ان فرحا وان غضبا . والمرأة لها نفس ذلك التأثير الغريب فى بيتها لحرام أن تحزن معها رجلا يتعب ويكد يومه ولا ينشى بيته الاليستريح وأولاداً صغاراً لايعرفون للهم معنى وخدماً تبعث فيهم كلمة طيبة منها روح النشاط وحب العمل . حرام ان تكدر صفو هؤلاء على غير جريرة لانها تشعر بعلل من طول الكسل أو بضيق صدر بسبب كان ذلك أو بلا سبب

على أن بعضهن قد يفرطن فى التبسم وانخفاض الصوت الى درجة تخرجهن عن اللائق . فالمرأة الضاحكة بلا سبب والخفيفة الى حد الطيش والواطئة الصوت الى حد الهمس كلهن مفرطات فيما يجب انما أعنى ان تصحب البشاشة الوقار والخفة الحزم وهدوء الصوت البيان . هذا هو الجمال الممكن نيله الممدوح أثره لا الطلاء والتطرية الكاذبان



جمال السيدات يضيعه التمبغ والخمر

٢٣

الله أكبر ما جمال المرأة المعنوى الا فى عفتها ووداعتها . والتبغ مذهب الملك الوداعة مخل بصفائها . صور قدماء الرومان واليونان آلهتهم برموز وتماثيل تدل عليها وكذلك يصور المعاصرون من الفرنجة كثيراً من المعانى فى اشكال مجسمة تعينها . مثلوا الحنو الوالدى والشفقة والصبر والحب وغيرها فى حجارة نحتوها وصور نقشوها ولعلهم لم يفتهم تصوير الكسل ولو انصفوا لصوروه امرأة تقضى وقتها بين السيجارة والقهوة . وأظننا لانجهل مثلاحية كثيرة له

وكما يذهب تعاطى التبغ بالجمال المعنوى كذلك يسلب الجمال الحسى . يرمى الاسنان بالصفرة ويغير اللثة والشفتين وأظنه يغير طعم الفم أيضاً ولو عاش الشعراء الاقدمون الى هذا الوقت لما رأينا فى أشعارهم ذكر اللؤلؤ والبرد ووميض البرق وغيرها مما كانوا يشبهون به أسنان النساء لشدة بريقها . فاذا كانت المعاصرات وخصوصاً التمدينات منهن يزعمن انهن أرق من مثيلاتهن الغابرات فى كل شىء فقد أخطأن . واذا كان دارون وأنصاره يدعون اطراد التحسن والارتقاء فى التسلسل الذى قالوا به فقد كان يتحتم عليهم أن يستثنوا جمال النساء لانه راجع القهقرى . ولو اقتصرن على تعاطى التبغ لهان الامر. انهن والاسف ملء فؤادى يتعاطين الخمر سراً وجهراً. أعوذ بالله من شر المدنية الحديثة ومن شر التقليد الاعمى

الرجل أبشع ما يكون حين يسكر والمرأة أبشع ماتكون حين تشرب الخمر. وقد سرى هذا الداء العياء بين الطبقات العالية من النساء بدعوى انه من كماليات التفرنج ويقلدهن فيه الباقيات تشبهاً ويتبجح بعض النساء الآن فى الاعراس بطلب الكؤوس والاقداح وزجاجات الخمر اذ يشربن بلا احتشام ولا يلبثن ان يتمايلن

ويهذبن كسكان (السراى الصفراء)

حدثتنى سيدة ثقة من المتألمات لهـذه الحال انها دعيت الى عرس أحـد (الذوات) ولما جن الليل قام من بين المخمورات اثنتان فهذتا ماشاء الجنون وبعدها تشاجرتا وأمسكت كل واحدة منهما بتلابيب الاخرى فمزقتا أثوابهما المزركشة وكانت النتيجة سخرية وفضيحة . وقـد أكدت لى محدثتى أن ثوب احداهما كلفها أربعين جنيها فياللعار ! انها لبدعة وضلال كبير . . ذهب الوقار وانتشر الفجور فبئس التمدين وبئس التقليد . أمثل هاتين المرأتين توكل تربية الاولاد ومن مثلهما يطلب تدبير الدور ؟ ان السكرى لاتعى ماتقول ولا ماتفعل وقد يجرها الخمر إلى شر أنكى من الهذيان . وأن المتتبع لسير نسائنا ليدهش من كثرة الفساد بين الطبقة العليا منهن وهى تعدى كالجرب غيرها من الطبقات . أين وازع الدين ؟ أين زاجر العقل والآداب ؟ ياقوم لاتغرنكم زخارف المدنية وربوا بناتكم تربية اسلامية . ولا بأس من اقتباس الحميد من المدنية الاخرى وان تدهوركم هذا لآخذ شئ بكم وبالوطن الى مهاوى الاضمحلال . وأى فساد أكبر من اندماج أمة فى أخرى وتلاشى عاداتها وآدابها فى اتباع سنن لاتتفق مع دينها ولا مع مدنيتها ؟ ؟

ان فساد كثير من النساء راجع إلى بعولتهن . فكثيرات من تعلمن منهم المسكر . وكثيرات من يسكرن معهم فى البيت حرصاً عليهم أن يسكروا فى الخارج فيزنوا إلى غيرهن أو تسلب نقودهم ويجعلن لانفسهن عذراً أن بعض الشر أهون من بعض . الا أن المرأة الحكيمة هى التى ان رأت فى بعلها خصلة ذميمة أخذته بالحيلة وحسن السياسة والتأثير الى أن يتركها لا التى تحاكيه فيها فيتضاعف الفساد . وأجدنى مضطرة الى توجيه بعض اللوم إلى اطبائنا فى هذه الحال فاغلبهم يصفون أدوية فيها مزيج من النبيذ وغيره للسيدات بدعوى انها تقوى الدم أو تجلب الدفء أو تمنع المغص وغير ذلك . نعم انهم يصفونها بقصد حسن لانهم

يعرفون من خصائصها ماقد يشفى ماوصفت لاجله . ولكن فى امكانهم أن يستبدلوها بعقاقير أخرى لها نفس تلك الصفات ولا يبعد عليهم معرفتها أو التنقيب عنها فى كتب الطب القديمة لان بعض النساء يتوكأن على أن الخمر داء فيتعاطينه لذاته ويزعمن انه للشفاء . وقد تترك فيهن الكأس الاولى وهى دواء مايجعلهن يعدن الكرة فى غير ألم

أما الضرر الصحى من التبغ والخمر فلا يقل عن مثله الاجتماعى . فقد اوضح الاطباء مفعوله وبينوا مقدار (النيكوتين) السام فى كل لفافة (سيجارة) وكيف أنه يضر الصدر والعيون ويفسد الشهية للطعام . أما الخمر فكفى أنها تقطع الكبد وتفسد العقل . وفى تقرير كتبه مدير مستشفى المجاذيب أن أكثر من نصف ضيوفه اللطاف أذهبت عقولهن المغيبات !

ان أثقل وقت تقضيه السيدة التى لاتدخن هو الذى تجتمع فيه بأخريات يدخن فيرسلن سحب دخانهن فتستعبر ويسدعليها الدخان منافسها ولعل الله بفضله وكرمه يسمعنا عن حريق آخر فى مخازن الخمور كما أحرق مخازن التبغ فتجد المتوسطات والفقيرات من غلاء أسعارهما مايمنعهن من تعاطيهما ويكون عزاؤنا الوحيد لاصحاب الخسائر بيت المتنبى :

بذا قضت الايام مابين أهلها   مصائب قوم عند قوم فوائد

جمال السيدات والرياضة البدنية

٣٤

كثيراً مايكون ضعف البنية من مشوهات الجمال . وان لجودة الصحة لدخلا لايستهان به فى تحسين تقاسيم الوجه وتناسب الاعضاء . ولا تقوم تلك الجودة على حسن الغذاء فقط كما يتوهم أغلب النساء بل لها أساسات أخرى أهمها الرياضة وخلو الفكر من الهم . والناظر لحالة نسائنا يدرك لاول وهلة احتياجهن الشديد

إلى الرياضة البدنية فان فقر الدم المستحوذ على كثيرات منهن والسمن المفرط المسببين عن طول مدة الجلوس ليشهدان أن تلك الوجوه المصفرة لم ترها الشمس وان تلك الاجسام الضخمة لم تهذبها الحركة . ولو اقتصر الامر على تشويه الجمال وما ذلك بالهين على النساء لما كان الخطب كما هو الآن جللا . ان طول المكث فى محل واحد وعدم تنوع المعيشة عندنا يذهبان بطلاوة الجديد ويجلبان الامراض المختلفة والسأم كالماء الراكد ان لم يتغير أسن

للرياضة أنواع شتى تستعملها النساء الغربيات ولست أشير على نسائنا باقتباسها بانواعها فقد لاتلائم مجتمعنا فنها الالعاب المختلفة والركض والسباحة وركوب الخيل وأقلها كلفة وأكثرها ملاءمة للشرقيات المشى . فهل ترانا نقوم به وهو لايكلفنا درهماً وليس هو مما قد نعده من علائم الطيش الافرنجى أو مما يذهب برزانة الشرقيين ووقارهم الطبيعيين ؟ ؟

ان عيشتنا كلها جلوس فى جلوس . نظل أسرى البيوت الضيقة ويمنعنا زهونا عن أن نشتغل بشئ فيها فتجمد عضلاتنا عن الحركة وإذا طلبنا فكاكا من هذا الاسر الممل فلا نجد سوى بيوت الجارات نزورها ماشيات خطوات معدودة ان كانت قريبة وان بعدت فما أرخص العجلات واكبرها مما تجره الخيل أو الكهرباء

يشكو أغلب نسائنا الصداع وضيق الصدر وعسر الهضم وغيرها مما تكفى الرياضة واجتلاء جميل المناظر لازالته . وما الآلام العصبية و (الزار) الا نتيجة ذلك الملل وبلادة الاعضاء . فان المرأة المصرية لاتدرى بماذا تروح عن نفسها وتذهب سأمها ولا كيف تنوع معيشتها فتنزع الى تلك الترهات لجهلها ولكنها معذورة فيما أرى لانها مضطرة وقد يركب المضطر حد السيف

ان آباءنا وأجدادنا كانوا أكثر منا مراعاة لترويض النساء من حيث لايدرون فان المنازل القديمة كانت كلها مبنية على الطراز التركى تحجبها أسوار عالية وداخلها

الرحبات المتسعة والحدائق الغناء مما تمرح فيـه نساء البيت ولا رقيب عليهن وينعمن أنفسهن ببهيج منظر الحدائق وفوارات الماء فمن لاذ للسمع وجميل للنظر وحلو للذوق ولطيف للمس وزكى للشم . طيور صادحة وغزلان سارحة وفاكهة جنية وزهور شهية وروائح عطرية . خضرة الزمرد وشفافية البلور فى النبات والماء وبهاء الياقوت وأريج المسك فى الزهر والهواء وسواق ناعرة تجلب النوم وتجعله هنيا وبالجملة كان عيش تلك البيوت مريئا ونساؤها كما قال شوقى بك

يمرحن فى مأمن مثل حمام الحرم

أما اليوم فقد قضى الاقتصاد أو بالاحرى البخل والتناهى فى تقليد الغربيين على أصحاب البيوت أن يضيقوها . وما ضاقت إلا على النساء المظلومات فليس بها الا الحجر . وتجد السلم مبتدئة من عتبة الدار ووجهة البيت مكشوفة فلا تستطيع صاحبات البيت التحرك ولا فتح النوافذ أحيانا . وهذا لعمرى اخذ بالخناق . ولعله سبب انتشار كثيرات منا فى الطرقات . ماذا يفعل الطير المحبوس فى قفص من حديد ؟ انه لايتأخر لحظة عن الفرار إذا وجد وسيلة له

إلا أن الشوارع والطرقات بها مايوقر الآذان من بذاءة المماحكين وانتشارهم كالجراد وقد يراهم رجال شرطتنا ويسمعونهم يتعدون على الآداب ويضحكون . ولو جاز أن تجعل طرق للنساء خاصة وأخرى للرجال خاصة لما تأخرنا عن المشى فى طريقنا أما والطريق عامة فليس أمامنا الا أن نتوسل إلى أولئك الطغام أن يكفوا عن مماحكتهم وتعرضهم لنا فيكفينا ضيق المساكن عن أن يضيقوا علينا السبيل

ان المشى والنزهة ليكسبان علماً وتجربة فضلا عما يؤثران به فى الصحة وتنقية الدم وما يخلفانه من النشاط فى الاعضاء لمساعدتها الجسم على اخراج فضلاته المحترقة . فكم فى الطريق من مثار للرحمة ومن نافع لتعليم الاطفال . وليست الفضيلة دروسا تلقى على الآذان وتحفظ باللسان . وانما هى فواعل تؤثر

فى النفس فتكسبها صدق العزيمة على رد هجمات السوء وتحبب اليها الحسن من الخصال . وكم فى المتنزهات من دروس صامتة لجمال الكون وتسبيح الخالق والايمان بما أنزله وكم فيها من شياطين للشعر والموسيقى النفسية توحى للنفس ما توحى من جمال وحكمة ؟

اننا فى مصر ولكننا لا نعرفها . أرأيت أغرب من مبصر أعمى ؟ ان الاهرام على قيد غلوة العيار من القاهرة ولكن كثيرات منا لم يزرنها والآثار تخبرنا عنها السائحات الاجنبيات فتبدى جهلا مزريا و نعجب مما يقصص علينا و تاريخنا مبعثر فى الارض من قديم وحديث ولا من تلم به حيا من غير الكتب الجامدة الخالية من الروح . ألم يأن لنا أن نطلب الحرية قليلا فقد طلبتها أرجلنا التى كاد يصيبها الكسح من طول الجلوس وأعيننا لم تر من بدائع الكون شيئاً . خصصوا لنا متنزهات ان شئتم لا يدخلها غير النساء وخليق بالمحافظين والمديرين أن يجيبوا هذا الطلب كل فى مديريته . ووفروا قليلا مما تصرفونه على الزخارف الكاذبة لبناء أو استئجار بيوت فسيحة الأفنية ليتروض فيها نساؤكم وأطفالكم بالمشى ليس الا . أما نصيحتى للسيدات فهى أن يتركن الزيارات جانبا وينزهن أنفسهن فى الخلوات القريبة مع آبائهن أو بعولتهن ليستفدن صحة وعلماً وجمالا

خطبة فى نادى حزب الامة

وبحضور مئات من السيدات

أيتها السيدات :

أحييكن تحية أخت شاعرة بما تشعرن . يؤلمها ما يؤلم مجموعكن وتجذل بما به تجذلن . وأحيي فيكن كرم النفس لتفضلكن بتلبية الدعوة لسماع خطبتى ان أطلب بها الا الاصلاح ما استطعت فان أصبت كان ما أرجو . وان أخطأت فما أنا الا واحدة منكن . والانسان يخطئ ويصيب فمن رأت فى خطبتى رأيا مخالفا لما

تعتقد او أحبت المناقشة فى نقطة ما فلتتفضل بابداء مايعن لها بعد انتهاء كلامى

أيتها السيدات : ليس اجتماعنا اليوم لمجرد التعارف أو لعرض مختلف الازياء ومستحسن الزينات . وانما هو اجتماع جدى أقصد به تقرير رأى لتتبعه ولابحث فيه عن عيوبنا فنصلحها . فقد عمت الشكوى منا وكثرت كذلك شكوانا من الرجال . فأى الفريقين محق فى دعواه وهل نكتفى من الاصلاح بمجرد التذمر والشكوى ؟ لا أظن مريضا طاوع أنينه فشفاه . ويقول المثل العربى : لادخان بلا نار ويقول الفيلسوف الانكليزى هربرت سبنسر : ان الآراء التى يظهر لنا انها خطأ لايمكن أن تكون خطأ محضا بل لابد ان يكون فيها نصيب من الصحة والصواب . اذن والرجال متساوون فى صحة الدعاوى وبطلانها . كلنا متظلمون وكلنا على حق مما نقول . بيننا وبين الرجال الآن شبه خصومة وما سببها الا قلة الوفاق بيننا وبينهم . فهم يعزون هذه الحالة الى نقص فى تربيتنا وعوج فى طريقة تعليمنا . ونحن نعزوها لغطرستهم وكبريائهم وهذا الاختلاف فى القاء المسئولية زادنا اختلافا فى العيش وأوسع هوة الجفاء بين الرجال والنساء فى مصر وهو أمر لاننظر اليه بعين الارتياح وانما نأسف له ونتوجس منه . لم يخلق الله الرجل والمرأة ليتباغضا ويتنافرا وانما خلقهما الله ليسكن احدهما الى الآخر فيعمر الكون اذ فى ائتلافهما بقاؤه . ولو انفرد الرجال فى بقعة من الارض وانعزلت النساء الى أخرى لانقرض الجزبان وحقت عليهما كلمة الفناء

تدركن معنى قولى هذا من صعوبة الرد على هذا السؤال أى الجنسين اصلح للبقاء فى الدنيا النساء أم الرجال ؟ فاذا اجابت احداكن الرجال لانهم يقومون بشاق الاعمال من بناء واختراع وزرع وغيره عارضتها بقولى ولاجل من تتجشم تلك الصعاب ولا نساء يتسلسل منهن النسل لعمار هذا الكون ؟ واذا قلنا النساء لانهن مديرات البيوت وأمهات النشء لقلت ومن أين يأتى النشء ولا أب له ؟ هذا قياس على نظام الطبيعة الحالى . ولا نتوسع فى الافتراضات والمتوهمات

فقد كان الله قادراً على خلق نظام آخر للتوالد وهو قادر على خلق مثله ولكنا للآن لم نسمع الا بمثال واحد لهذا الشذوذ هو مثال سيدنا عيسى عليه السلام فالمرأة والرجل للكون كالخبز والماء للجسم أو الشمس والماء للزرع. ولو استعاضت احدانا باللبن عن الماء فان اللبن بالتحليل يحتوى الماء . فالكتب السماوية كلها مجمعة على أن أصل البشر من آدم وحواء . والقائلون برأى دارون لم ينكروا ضرورة لزوم الذكر والانثى للتوالد من الحيوانات الاولى التى زعموا انها ارتقت بالتدرج إلى مصاف الانسان . كذلك الحال فى كل جسم حى نام . فان النباتات كلها فيها الذكورة والانوثة والزهرة على لطافتها وصغر حجمها تحتوى شكلين مختلفين من العروق أحدهما لقاح للآخر . كذلك جعلهما الله لينتج منهما الحب الذى فيه بقاء النوع وسلط عليه الريح تسفيه إلى الارض فاذا ماجاده الغيث أو لقى رياً نبت ونما وصار شجراً . فنظام التوالد هذا مطرد فى كل الاجسام الحية من حيوانات ونباتات لاشك فيه البتة . واذا راجعنا احصائيات العالم كله وجدنا أن عدد الذكور والاناث فيه يكاد يكون واحدا أو بفرق قليل جدا . وهذا دليل على أن الله خلق رجلا لكل امرأة . هذا بقطع النظر عن الحروب وغيرها مما قد يخل بهذا التوازن الطبيعى الدقيق . اذن فمحاولة الاعتزال بين الرجال والنساء مستحيلة وعليه فلا فائدة من هذه الغارات القلمية الشعواء بيننا وبينهم . والاوفق أن نسعى للوفاق جهدنا ونزيل سوء التفاهم والتحزب لنحل بدلها الثقة والانصاف ولنبحث أولا فى نقط الخلاف

يقولون اننا بتعلمنا نزاحمهم فى أشغالهم ونترك أعمالنا التى خلقنا الله لها فليت شعرى ألم يكونوا هم البادئين بمزاحمتنا ؟ ؟ كانت المرأة فى العهد السابق تغزل الخيط وتنسج ثيابا لها ولأولادها فاخترعوا آلة الغزل والنسج فأبطلوا عملها من هذا القبيل . وكانت المرأة المتقدمة تغربل القمح وتهرسه وتطحنه على الرحا بيديها ثم تنخله وتعجنه فتهيء منه خبزا فاستنبطوا مايسمونه (الطابونة)

واستخدموا فيها الرجال فأراحونا من ذلك العمل الكثير ولكنهم عطلوا لنا عملا ، وكانت كل امرأة من السالفات تخيط لنفسها ولافراد بيتها فابتكروا لنا آلة للخياطة يشتغل فى استخراج حديدها وصناعتها الرجال ثم جعلوا منهم خياطين يخيطون لرجالنا ولأولادنا . وكنا نكنس حجرنا أو تكنسها الخادمات بمكانس من القش فاستنبطوا آلة الكنس التى يكفى أن يلاحظها خادم صغير فتنظف الرياش والاثاث . وكانت الفقيرات والخادمات يجلبن الماء لبيوتهن أو لبيوت سادتهن فاخترع الرجال القصب (المواسير) والحنفيات تجلب الماء بلا تعب . فهل ترى عاقلة الماء يجرى عند جارتها فى أعلى طبقات منزلها وأسفله وتذهب لتملأ من النهر وقد يكون بعيداً ؟؟ أو هل يعقل ان متمدينة ترى خبز (الطابونة) نظيفا طريا لا تتكلف له سوى ثمنه تتركه لتغربل وتعجن وقد تكون ضعيفة البنية لا تتحمل تعب تجهيز القمح وعجنه أو فقيرة لا تستطيع تأجير خدم له أو وحيدة لامساعدة لها عليه . أظن الرجال لو كانوا محلنا لما فعلوا سوى مافعلناه وما من امرأة تقوم بهذه الاعمال كلها الا القرويات اللاتى لم يدخل قراهن التمدين . بل انهن يستعضن عن الرحا بوابور الطحين وبعضهن عن الملء من البحر (بطلومبات) يضعنها داخل دورهن

ولست أريد من قولى هذا أن أذم الاختراعات المفيدة التى اخترعها الرجال كثيراً من أعمالنا أو أقول أنها زائدة عن حاجتنا وانما كان هذا الشرح ضروريا لبيان أن الرجال هم البادئون بالمزاحمة فاذا مازاحمناهم اليوم فى بعض أشغالهم فان الجزاء الحق من جنس العمل

على أن مسألة المزاحمة هذه ترجع للحرية الشخصية . فزيد راقه أن يكون طبيبا . وعمرو رأى أن يكون تاجراً . فهل يصح ان نذهب للطبيب ونقول له لا تحترف هذه الصناعة بل كن تاجرا ؟؟ وهل يمكننا أن نجبر التاجر على أن يصير طبيبا ؟ كلا ، . فكل له حريته يفعل مايشاء ولا ضرر ولا ضرار . وهل

يجوز ان يمنع مهندس قديم من يحترفون هذه المهنة لانه كان يكتسب ربح بلد بأكمله فجاءه هؤلاء المهندسون الجدد يقتسمون ارباحه ؟ على ان ذلك لو جاز قوة لما صح أن يجوز شرعا وحرية ولما قامت من أجله الشحناء بين الرئيس روزفلت وشركات الاحتكار فاذا كان المخترعون والصناع ابطلوا جزءاً كبيراً من اعمالنا فهل نقتل الوقت فى الكسل أم نبحث عن عمل يشغلنا ؟ لاغرو واننا نفعل الثانى. ولما كانت اشغال منزلنا قليلة لاتشغل اكثر من نصف النهار فقد تحتم ان نشغل النصف الآخر بما تميل اليه نفوسنا من طلب العلم وهو ما يريد ان يمنعنا عنه الرجال بحجة اننا نشاركهم فى اعمالهم . لا اريد بقولى هذا ان أحث السيدات على ترك الاشتغال بتدبير المنازل وتربية الاولاد الى الانصراف لتعلم المحاماة والقضاء وادارة القاطرات ! كلا ولكن اذا وجدت منا من تريد الاشتغال باحدى هذه المهن فان الحرية الشخصية تقضى بان لايعارضها المعارضون . قد يقولون ان الحمل والولادة مما يجبرنا على ترك الشغل وقد يجعلون ذلك حجة علينا . ولكن من النساء من لم تتزوج قط ومنهن العقيمات اللاتى لاينتابهن حمل ولا ولادة. ومنهن من مات زوجها او طلقها ولم تجد عائلا يقوم بأودها . ومنهن من يحتاج زوجها لمعونتها . وقد لايليق بهؤلاء ان يحترفن الحرف الدنيئة . بل ربما يملن الى ان يكن معلمات او طبيبات حائزات لما يحوزه الرجال من الشهادات . فهل من العدل ان يمنع مثل هؤلاء من القيام بما يرينه صالحا لانفسهن قائما بمعاشهن ؟ ؟ على ان الحمل والولادة اذا كان معطلين لنا عن العمل الخارجى فهما معطلان لنا عن الاعمال البيتية أيضاً . واى رجل قوى لم يمرض ولم ينقطع عن عمله وقتا ما ؟

يقول لنا الرجال ويجزمون انكن خلقتن للبيت ونحن خلقنا لجلب المعاش فليت شعرى أى فرمان صدر بذلك من عند الله ومن أين لهم معرفة ذلك والجزم به ولم يصدر به كتاب ؟ نعم ان الاقتصاد السياسى ليأمر بتوزيع الاعمال . ولكن اشتغال بعضنا بالعلوم لايخل بذلك التوزيع . وما أظن أصل تقسيم العمل

بين الرجال والنساء الا اختياريا . بمعنى ان آدم لو كان اختار الطبخ والغسل وحواء السعى وراء القوت لكان ذلك نظاما متبعاً الآن ولما أمكن ان يحاجنا الرجال بأنا خلقنا لاعمال البيت فقط . وهانحن أولاء لانزال نرى بعض الاقوام كالبرابرة مثلا يخيط رجالهم الثياب لانفسهم ولافراد بيتهم ويتجشم نساؤهم مشقة الزرع والقلع حتى أنهن ليتسلقن النخل لجنى ثمارها . وهانحن نساء الفلاحين والصعايدة يساعدن رجالهن فى حرث الارض وزرعها وبعضهن يقمن بأكثر أشغال الفلاحة كالتسميد والدراس وحمل المحاصيل ودق السنابل والبراعم (الكيزان) وسوق المواشى ورفع المياه بما يسمونه بالقطوة وغير ذلك من الاعمال التى ربما شاهدها منكن من ذهبت الى الضياع (العزب) ورأت انهن يقدرن عليه تمام القدرة كأشد الرجال ونرى مع ذلك أولادهن أشداء أصحاء

فمسألة اختصاص كل فريق بشغل مسألة اصطلاحية لااجبار فيها . وماضعفنا الآن عن مزاولة الاعمال الشاقة الا نتيجة قلة الممارسة لتلك الاعمال . والا فان المرأة الاولى كانت تصارع الرجل شدة وبأسا . أليست المرأة القروية كأختها المدنية ؟ فلماذا تفوق الاولى الثانية فى الصحة والقوة ؟ هل ترتبن فى ان امرأة من المنوفية تصرع أعظم رجل من رجال الغورية لو صارعته ؟ فاذا قال لنا الرجال اننا خلقنا ضعيفات قلنا لاوانما أنتم أضعفتمونا بالمنهج الذى اخترتم أن نسير فيه حدثتنى سيدة عالمة أنها فى سياحتها بأمريكا رأت بعينها هنودها الحمر تتحرك آذانهم من تلقاء نفسها اتجاه الصوت الذى يترقبونه كآذان الخيل والحمير . ذلك نتيجة استعمالهم لها وقد توارثوه أيضا وهم فى حاجة اليه لتستمع زئير السباع وعواء الوحوش التى ربما تهاجمهم فى فلواتهم . كذلك نجد حواس الوحشيين أقوى من حواسنا بكثير . فهم يشمون رائحة الوحوش من بعيد أما نحن فلا . ولم يكذب من قال ان الوظيفة تكون العضو . هؤلاء العميان يعتمدون كثيراً على حاسة السمع فتتقوى فيهم بالتدريج تلك الحاسة الى ان تبلغ غاية قد تعد من

الخوارق عندنا . فهل بعد ان استعبدنا الرجال قرونا طوالاحتى خيم على عقولنا الصدأ وعلى أجسامنا الضعف يصح ان يتهمونا بأنا خلقنا أضعف منهم أجساما وعقولا ؟ انهم لو أنصفوا ولم يتحزبوا لما عيرونا بأننا قليلات النبوغ وانه لم يسمع باحدانا غيرت قاعدة فى الحساب والهندسة مثلا . وليتفضل أحدهم باخبارنا عما استنبطه من تلك القواعد . أو ليست قواعد الحساب هى بعينها من زمن اليونان الاول الى الآن ونظريات الهندسة لم تزل تلك التى كان يعرفها قدماء المصريين والرومان ؟ نحن نعترف لرجال الاختراع والاكتشاف بعظيم أعمالهم ولكنى لو كنت ركبت المركب مع خريستوف كلومب لما تعذر على أنا أيضا ان أكتشف اميركا . وحقيقة ان النساء لم يخترعن اختراعات عظيمة . ولكن كان منهن النابغات فى العلوم والسياسة والفنون الجميلة اى فيما سمح لهن بممارسته . وبعضهن فقن الرجال فى الفروسية والشجاعة كخولة بنت الازور الكندى فقد عجب منها عمر بن الخطاب واعجب باستقتالها فى فتوح الشام حينما ارادت تخليص اخيها من اسر الروم . وجان دارك التى قادت جيش الفرنسيس بعد هزيمته امام الانكليز فشجعتهم على استمرار القتال وأصات محاربى وطنها حربا عوانا . ولن اضرب مثلا بالنساء اللاتى تولين الملك فأحسن سياسته ككاترينا ملكة الروسيا وايزابيلا ملكة اسبانيا واليزابيت ملكة انكلترا وكيلوباتره وشجرة الدر امراة الملك الصالح وام طوران شاه التى حكمت مصر . فقد يقول معارضونا انه دبره لهن الوزراء وهم رجال ! ! على انه لوصح هذا القول فى عهد الدستوريين كالملكة فكتوريا مثلا اوولهلمينا ملكة هولانده الحالية فلا يصح تطبيقه على ايام الحكم المطلق

اننا الآن فى ابتداء القيام بتعليم البنات . فقول بعضهم بالاقتصار على هذا وذاك مثبط للهمة ورجوع الى الوراء . فى حين انه لا خوف من مزاحمتنا لهم الآن لاننا لا نزال فى الدور الاول من التعليم ولا تزال عاداتنا الشرقية تثنينا

عن الاستمرار على الدرس الكثير . فليهنأوا بوظائفهم وما داموا يرون مقاعد مدرسة الحقوق والمهندسخانة والطب والجامعة خالية منا فليقروا عيونا ولينعموا بالافان مايتخوفون منه بعيد . واذا فرض ان اشتاقت احدانا لتكملة معلوماتها فى احدى تلك المدارس فانا واثقة انها لن تقلد وظيفة او تشتغل خارجا وانما تفعله لاطفاء شوق النفس للعلم او الشهرة ولما تفعله . فاذا كنا لم نشتغل بالمحاماة ولا بتقلد الوظائف الحكومية افلا تشغلنا عن تربية النشء الا قراءة كتاب او خط جواب ؟ اظن ذلك مستحيلا . على ان الام مهما تعلمت وبأى حرفة اشتغلت فلن ينسيها ذلك اطفالها أو يفقدها عاطفة الشفقة والامومة بل بالعكس انها كلما تنورت أدركت مسؤوليتها . ألم ترين الفلاحات والجاهلات يظل يبكى طفل الواحدة منهن ساعات وهى تسمعه ولا تتحرك ؟؟ فهل ياترى كان شغل هؤلاء أيضاً تحضير القضايا أو الاشتغال بالتحرير والقراءة ؟

ولا يغيظنى أكثر من أن يزعم الرجال انهم يشفقون علينا . اننا لسنا محلا لاشفاقهم وانما نحن أهل لاحترامهم فليستبدلوا هذا بذاك والاشفاق لا يتأتى إلا من سليم لعليل أو من جليل لحقير فأى الصنفين يعتبروننا ؟ تالله انا لنأنف ان نكون أحد هذين

قال قائلهم لا تعلموا البنات من الحساب إلا القواعد الاربع لأنهن لن يحتجن الى أكثر منها . فمن أين له اننا نودع نقودنا فى مصرف أو نبيع وثيقة (كمبيالة) أو يغالطنا وكيل فى قياس قطعة أرض ؟ انه اذا ادعى بذلك تفضيل الرجال على النساء فى علم التكهن والرجم بالغيب أيضاً قلنا لم تصح هذه الفراسة فقد أظهر الواقع غير ذلك . أما ما يذهب اليه من تفضيل لغة على لغة فى التعلم فذلك مالا أفهمه لأنى أعتبر اللغات كلها نافعة . ولو وجدت من يعلمنى البربرية أو الصينية لتعلمتها . اذا كان لآداب اللغة فان الفارسية والالمانية والانكليزية وغيرها ملأى بذلك أما تعليم تدبير المنزل وتربية الاطفال فيجب أن نشكر

للدكتور عبد العزيز نظمى بك اهتمامه بهما وحثه عليهما

أيتها السيدات : العلم منور للعقل على أى حال سواء عمل به أو لم يعمل ، فماذا يضرنا أننا لا نشتغل بمسح الكرة الأرضية ولا بالسباحة ولكن نعلم مواقع البلاد وأبعادها ؟ ان الطبيب يتعلم الجبر فى تلمذته ولكنه لا يشتغل به فى صناعته . كلنا نسمع بأخبار السياسة والرجال يشتغلون بها . ولكنهم لا يحدثون أنفسهم بأن يولوا مكان ذلك الملك المقتول أو السلطان المعزول . فهل نقول لهم اذا كنتم لن تتملكوا فى تلك الامم فلا يجوز لكم أن تعرفوا سياستها وأخبارها ؟ نسمع فى هذه الايام أن جيش الدستور فى تركيا زحف من سلانيك الى الاستانة وأن حصن اسكودار تأخر فى التسليم ؟ ألا يحسن بنا أن نعرف من (الجغرافيا) ما يهيئنا لفهم تلك الاخبار بعد ما لاكتها أفواه الكبار والصغار . لو لم يكن للعلم لذة فى ذاته لما اشتغل بتحصيله الملوك وهم واثقون انهم لن يكونوا مهندسين ولا بحارة ولا سائقى قاطرات . وهل تفضل السيدة التى تعرف أن تطبخ البطاطس وتنسق الازهار فقط أم التى تعرفهما أيضاً ولكنها تعلم متى يؤكل البطاطس وهل يوافق زوجها المريض بالسكر أو جسمها السمين الذى تريد تضميره وهل وجود أصص (قصارى) الزرع فى حجرتها ليلا صالح لرئتيها الضعيفتين أم مضر بهما ؟ فهذه تعرف تدبير المنزل وتلك تعرفه ولكن تعلم واحدة علم النبات تحفظ لها صحتها وصحة عيالها من التلف فضلا عما تشعر به من السرور الناشئ عن العلم . نحن نعلم أن نقص تربيتنا الأولى وتربية أخواننا الشبان لاشك نتيجة جهل أمهاتنا . فهل نعرف الداء ولا نداويه وقد قال الحديث الشريف لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين ؟؟ أن المدارس مهما اجتهدت فى تثقيف عقول النشء وتهذيبها فان المنزل له تأثير خاص فى الاطفال . واذا شعر تلميذ أن أمه عالمة أو لها نصيب من علم فانه يسعى جهده ليريها انه أهل لحبها وتقديرها اياه فيجتهد ليحفظ سلسلة العلم لتكون الصلة شديدة بينه وبينها

فتعلمنا الحالى ناقص يجب أن يزاد عليه لا أن ينقص منه

أما ما أشكل على الرجال من علة فسادنا فهو ما ينسبونه خطأ للتعلم وحقهم أن ينسبوه للتربية . يرى كثيرون أن العلم يهذب ولكنى لا أعتقد ذلك بل اصرح ان العلم والتربية منفصلان تمام الانفصال إلا فى علوم الدين فقط . ودليلى على ذلك ان كثيرين من المبرزين والمبرزات فى العلوم لاخلاق لهم . وان الكتاب الواحد قد يدرسه معلمان مختلفان فى فرقتين كل على حدة فتتعلم الفرقتان الكتاب ولكن نجد اثر الهمة وعلو النفس فى واحدة ولا نراه فى الثانية . فهذا ناشئ من تأثير روح المعلم فى تلاميذه لامن العلم . والا فلو كان من العلم لتساوت الفرقتان لان الكتاب واحد والعلم لايختلف . يظن بعض الناس ان حسن التربية معناه تقبيل ايدى الزائرات وتكتيف اليدين خضوعا . ولكن ما ابعد هذا عن الحقيقة . التربية الحسنة هى التى تؤهل الشخص لان يدرك نفسه من سواه . وما أحزم من قال ما هلك امرؤ عرف قدر نفسه . التربية الحسنة هى التى تعود الانسان من صغره احترام الغير اذا استحق الاحترام حتى ولو كان عدواً . فالتعلم لم يفسد اخلاق الفتيات وانما هى التربية الناقصة . تلك التربية فى الحقيقة يجب أن تكون من اعمال البيت لا المدرسة . ولما كانت بيوتنا لم تبلغ الدرجة التى تؤهلها لاحسان تربية الاطفال فقد وجب علينا ان نضاعف مجهوداتنا لاصلاح شأن انفسنا ثم اصلاح النشء . ولا يتم ذلك فى لحظة كما قد يتوهم . ومن الظلم ان نلقى مسئولية الفساد كلها على المدارس فان المدارس لها تأثير فى التربية ولكن ليس عليها كل الذنب بل العيب فى الاسر

من عيوبنا نحن النساء اننا لانكترث كثيراً بالنصح . فاذا قامت سيدة تريد تقرير مبدأ او اظهار حقيقة قال اكثرنا مالها ولهذا او ان كانت تغار فلتعمل مثلنا ومن غير ذلك من الالفاظ !!

ومن عيوبنا السخرية والتهكم . فكثير منا تنتقد من تصادفه وتعيب عليه

لاعبياً حقيقيا يستدعى الانتقاد ولكن لولوع بالانتقاد فى ذاته . فربما انتقدت فى ساعة واحدة اثنين على خصلتين متضادتين. ولا يمكن ان يكون الشئ ونقيضه منتقداً . فاذا رأت امرأة سمينة قالت انها (كالبرميل) وكيف تستطيع الحركة ؟ وان بصرت بأخرى رفيعة قالت انها كعود الحديد تكسر يدها على ساقيها ؟ واذا وجدت سيدة قليلة الكلام قالت انها متكبرة . وان سمعت اخرى تتكلم كثيراً عابت عليها وقالت انها تتصنع الخفة ! !

ومن عيوبنا الصلف والاعتزاز . كنت وانا طفلة احفظ قصيدة سمعتها ولكنى كنت أخلط فيها وألحن كثيراً غير عالمة بالطبع ما كنت واقعة فيه من الخطأ . وكانت زميلاتى الصغيرات لا يعرفن القصائد ولم يسمعن بها فكنت اذا قلتها امامهن عددنها غريبة عليهن ووسمننى بالذكاء ! فما لبثت ان اغتررت بقصيدتى وصرت أفتخر بها حتى اذا ألقيتها ذات يوم أمام والدى أرانى خطئى وبين لى انها كانت مجموعة نتف من هنا ومن هناك لا ارتباط لاجزائها ولا قافية لها واعطانى كتابا فيه شعر .فأدهشنى أكثر لاننى كنت أحسب ان لا شعر فى الدنيا الا تلك النتف التى كنت استظهرتها . فلو كان تركنى ولم يبين لى خطئى فربما كنت استرسلت فى الغرور . والانسان مهما بلغ من العلم لا يزال يقبل الزيادة فيه ومهما كبر فيما يعرف فانه لا يزال طفلا ازاء ما يجهل كالبحر تستعظم منه ما رأيت وما لم تره أعظم . وكيف اصلح خطئى اذا كنت لا أشعر به ولا اقبل نصيحة من يراه ؟

يشكو الرجال من تبرجنا فى الطرقات وحق لهم لاننا خرجنا فيه عن المألوف والجائز . نحن نزعم اننا نحتجب ولكننا ما بلغنا حجابا ولا بلغنا سفورا . لا أريد ان نرجع لحجاب جداتنا ذلك الذى يصح أن يسمى وأدا لا حجابا فقد كانت السيدة تقضى عمرها بين حوائط منزلها لا تسير فى الطريق الا وهى محمولة على الاعناق . ولا أريد سفور الاوربيات واختلاطهن بالرجال فانه مضر بنا . ان نصف

ازارنا الدخلى اليوم مرط (جونيله) لايتفق مع كلمة حجاب ولا مع معناها ولا مع الحكمة منه . أما نصفه العلوى فهو كالعمر كلما تقدم قصر . كان الحجاب الاول قطعة واحدة تلتف بها المرأة فلا يظهر من هيئتها شئ . ثم طرأ عليه تكمش بسيط ولكنه كان واسعا يكفى لستر الجسم . ثم تفننا فيه فصرنا نضيق وسطه ونقصر رأسه . وأخيراً فصل له كمان وصار يلتصق بالظهور ولا يلبس الا مع المشد ويربط من اطرافه الى الوراء حتى تظهر منه الآذان ونصف الرأس او أكثره فتبين الورود والرياحين والا شرطة المزين بها الرأس . اما البرقع فأشف من قلب الطفل . ما الغرض من الازار ؟ الغرض منه ستر الجسم والملابس والزينة اجتناب الزينة التى نهى الله عنها . فهل يتفق هذا مع المئزر الحالى وقد اصبح (فستانا) يظهر النهدين والخصر والاعجاز فضلا عن ان بعض السيدات ابتدأن يلبسنه ازرق وبنياً وأحمر ؟ الأولى ان لانسميه مئزرا بل (فستانا بطرطور) فانه فى الحقيقة كذلك . وعندى ان الخروج بدونه أدل على الحشمة لأنه على الاقل لايسترعى النظر . على ان مسألة الحجاب قد اختلف فيها الأئمة فاذا كان تفنن بعضنا هذا يراد به الاحتيال على الخروج بلا ازار فليس عليهن فيه من حرج اذا كشفن وجوههن بشرط ستر الشعر والجسم . وأرى ان اوفق لباس للخارج هو تغطية الرأس بخمار وسدل رداء أشبه (بالبالطو) المسمى (CACHE POUSSIERE) عند الفرنجة على الجسم الى الكعب ويكون طويل الكمين الى المعصمين وهذا اللباس مستعمل فى الاستانة كما روت لى احدى السيدات للخروج الى المحلات القريبة . ولكن من يضمن لنا اننا لانقصره ونضيقه حتى نمسخه (فستانا) آخر ؟ وحينئذ تضيق بنا حيل الاصلاح

لو اننا متربيات من صغرنا على السفور ولو ان رجالنا مستعدون له لاقررت بالسفور لمن تهواه . ولكن مجموع الامة غير مستعد له للآن . وان كان بعض نسائنا العاقلات لايخشى من اختلاطهن بالرجال الا اننا يجب أن نتحفظ على غير

العاقلات أيضاً لاننا سرعان ما نقلد وقل أن نبحث عن حقيقتنا فيه . ألا ترين ان تيجان الماس أصلها للملكات والاميرات فاصبحت الآن يلبسها المغنيات والراقصات؟ ولعل الشعراء يعدلون عن كنايتهم الملكات بياربة التاج فقد أصبحت تلك الكناية شاملة لسواهن ! !

على أن تفنننا هذا فى المئزر الحالى هو فى ذاته تقليد للاوربيات . ولكننا فقناهن فى التبرج فان المرأة منهن تلبس أبسط ما عندها عند ما تكون فى الطريق وتلبس ما شاءت فى البيت او فى السهرات . ولكنهن بخلاف ذلك يظللن أمام أزواجهن بجلباب بسيط جداً ثم اذا خرجت احداهن عمدت الى أحسن ثيابها فلبسته وأثقلت نفسها بالمصوغات وافرغت عليها زجاجات العطر والطيب . وياليتها تقتصر على ذلك بل تجعل من وجهها حائطا تنقشه بالدهان وتصبغه بمختلف الالوان وتتكسر فى مشيتها كأنها الخيزران . فتفتن المارة او على الاقل يتظاهرون لها بأنها فتنتهم . انى واثقة ان اغلب هؤلاء المتبرجات يفعلن ما يفعلن وهن خاليات الذهن من سوء القصد . ولكن من أين للرائى ان يتبين حسن نيتهن ومظهرهن لايدل عليه ؟

حجابنا يجب أن لايحرمنا من استنشاق الهواء النقى ولا من شراء ما يلزمنا اذا لم يقدر آخر على شرائه لنا . ويجب ان لايمنعنا عن تلقى العلم ولا ان يكون مساعداً على فساد صحتنا او سببا فى تلفها . فاذا لم أجد فى بيتى حديقة واسعة او رحبة طلقة الهواء وكنت فرغت من العمل واحسست من نفسى بملل او كسل فلم لا آخذ نصيبى من هواء الضواحى المنعش الذى خلقه الله للكل ولم يحبسه فى صناديق مكتوب عليها « خصوصى للرجال » وانما يجب ان نختار الاعتدال وان لانخرج للنزهة وحدنا اجتنابا للقيل والقال وألا نمشى الهوينا والا نلتفت يمنة ويسرة . واذا لم يكن أبى او زوجى يحسن اختيار ما أشتهيه من الملابس غير الموجود لها عينة ولا يمكنه جلبها للمنزل فلم لايأخذنى معه لاختيار ما يلزمنى أو

يدعني اشترى ما أريد ؟ واذا لم أجد من يحسن تعليمى الا رجلا فهل اختار الجهل أم السفور أمام ذلك الرجل مع أخواتى من المتعلمات ؟ على انه ليس هناك ما يجبرنى على السفور بل انه يمكننى التقنع والاستفادة منه وهل نحن فى اسلامنا اعرق أصلا من السيدة نفيسة والسيدة سكينة رضى الله عنهما وقد كانتا تجتمعان بالعلماء والشعراء ؟ واذا اضطرنى المرض لاستشارة طبيب لا يمكن احدى النساء القيام بعمله فهل أترك نفسى والمرض وقد يكون خفيفا فيعضل بالاهمال أم أستشفيه فيشفينى ؟

ان حبس المصرية السالفة تفريط . وحرية الغربيين الآن افراط . ولا أجد أصلح مانقتبس منه الا حالة المرأة التركية الحاضرة فانها وسط بين الطرفين ولم تخرج عما يجيزه الاسلام وهى مع ذلك مثال الجد والاحتشام

بلغنى أن بعض كبرائنا (أريد كبراء الوظائف) يعلمون بناتهم الرقص الافرنجى والتمثيل وهما أمران أحلاهما مر وأعدهما تطرفا ممقوتا واستماتة فى تقليد الغربيين . لان العادة يجب أن لاتغير إلا اذا كانت مضرة والانماط الغربية لايقبلها قوم بينهم إلا اذا رأوا ضرورتها وصلاحيتها . فأى صلاح لنا من مخاصرة الرجال والنساء ورقصهم معا ؟ أو ظهور بناتنا أمام الرائين (المتفرجين) بصدور عارية يمثلن أدوار الحب والخلاعة على (المرسح) ؟ ان ذلك مناف للدين الاسلامى هادم للفضيلة مدخل لضار العادات بيننا . فعلينا أن نحاربه مااستطعنا ونظهر احتقارنا لمن تفعله من المسلمات القليلات اللاتى اذ شجعناهن بسكوتنا فانهن لايلبثن أن يعدين الغير منه

وعلى ذكر العادات والحجاب أذكركن بمسألة تئن منها السعادة وتكاد تندثر فى بيوتنا . تلك هى مسألة الخطبة والزواج . يرى أكثر عقلاء الامة أن لابد للخطيبين من الاجتماع والتكلم قبل الزواج وهو رأى سديد لم يكن النبى صلى الله عليه وسلم والصحابة يفعلون غيره وهو متبع عند جميع الامم بأسرها والامة

المصرية أيضاً إلا فى طبقة واحدة هى طبقة اهل المدن . اذا ائتلف العروسان عندنا فهو من محاسن الاتفاق (الصدف) . وكيف يمكن الجمع بين شخصين لم ير أحدهما الآخر ولم يختبره على أن يقضيا العمر معا ؟ ان احدانا إذا اتفق ان رأت عرضاً فى احدى زياراتها سيدة استثقلت ريحها فانها لا تصبر على مجالستها فضلا عن النظر اليها وتسرع بالتملص منها فكيف تصبر على مضض الحياة اذا استثقلت أيضا بعلها وهى لم يمكنها التصبر على ثقل الغريبة لحظة واحدة فى غير بيتها؟ يشير قوم باتباع خطة الغربيين من وجوب معاشرة الخطيبين زمنا ليتمكن كلاهما من استطلاع طلع صاحبه . ولكنى أصرح باستهجان هذه العادة وأعتقد أنها مبنية على وهم لا على اساس متين . اذ من نتائج معاشرة المتشابهين الألفة ومن الألفة الحب . واذا أحب الانسان شخصاً لم ير عيوبه ولم يمكنه فحص أخلاقه فيتزوج العروسان حينذاك على حب باطل وعلى غير هدى فلا يلبثان أن يتنازعا وتذهب ريحهما . أما الطريقة التى أود عرضها على مسامعكن هى أن يتراءى العروسان ويتكلما بعد خطبة النساء المتبعة وقبل العقد ويجب أن لا تظهر العروس الا مع أحد محارمها وتكون فى ابسط لباسها . قد يعترض على هذا الاقتراح بان اجتماعا واحداً أو اثنين أو اكثر قليلا لا يكفى لان يقف الواحد على اخلاق الآخر ولكنها على أى حال كافية لان يشعر الواحد باجتذاب دم الآخر له أولا . على أن من صدقت فراسته يمكنه تبين الاخلاق من العينين ومن الحركات والسكنات فيبين أن كان صاحبه متصنعاً أو طائشاً وغير ذلك . أما معرفة ماضى العروسين وبقية أحوالهما فيجب أن يسأل عنها المعارف والجيران والخدم وغيرهم . وخوفا من أن يتخذ الشبان فاسدوا الاخلاق تلك الطريقة ذريعة لرؤية بنات الناس من غير قصد الزواج يجب على الولى أن يتحرى سلوك الخاطب ويتبين الجد من كلامه قبل السماح له برؤية ابنته أو موكلته . ربما تستصعبن قبول هذه الفكرة والعمل بها ولكن كل شىء يخيل لنا صعبا عند الابتداء فيه واذا مارسناه سهل

وهان . على اننا اذا كنا نعتقد فساد طريقتنا القديمة ونتألم منها ونحجم عن الاقدام على ماتراه مفيداً لنا مقللا لحوادث الشقاء فى زواجنا فما اشبه يومنا بالأمس وما أشد أثمنا وما ابعدنا عن قول الشاعر :

تأخرت استبقى الحياة فلم اجد حياة لنفسى مثل أن اتقدما

وما الفائدة من تعلمنا اذا كنا لانستطيع تغيير عادة مضرة لاهى من الدين ولا من الحكمة وقد رأينا رأى العين سعادتنا العائلية مزعزعة تكاد تقتلعها صرصر تلك العادة العائلية وما مثلنا فى ذلك الا كمثل رجل غرق أو اشرف على التلف فلما بصر بقطعة خشب يمكنه النجاة بالتعلق بها أبى لئلا يكون بها مسمار فيجرح اصبعه فابتلعته اللجة . وقد كان يمكنه النجاة لولم يقدر الخوف من المسمار . وما أدراه أن ظنه وتخوفه فى محلها ولماذا نأبى أن يرانا خاطب بحجة اننا ربما لانعجبه ؟ أو ليست مضرة رغبتنا عنه أو رغبته عنا اخف بكثير من تعاقدنا على الزواج قبل الرؤية والانسان لايفعله فى شراء دابة فكيف يفعله فى اختيار قرين ؟ ؟

ان امتناعنا عن أن يرانا الخاطبون صرف كثير منهم إلى الاوربيات فيتحمل احدهم أن يتزوج من خادمة أو عاملة يعتقد انه سيهنأ معها على أن يقترن ببنت الباشا أو البك المخبأة فى (علبة البخث) وليعذرنى صديقاتى الغربيات على هذا القول فانى لاأريد به اهانة لهن . فانهن يعرفن قبلنا أن امرأة ذات حسب مرغوبة فى شبان قومها لاتتركهم إلى فتى من غير دينها وجنسها . فضلا عن أن كل بلاد لها مدنيتها الخاصة بها وتقرير احوال مدنيتنا لايقتضى أننا نعيب مدنية الآخرين قسما بالله لو جاء البارون رتشيلد او المستر كارينجى إلى ابنة كاتب عندنا مرتبه اربعة جنيهات شهريا لما رد بغير الخيبة فاذا لم نعمل على تدارك هذا الخلل فى مجتمعنا لاتلبث أن يحتلنا نساء الغرب ايضاً فنقع فى احتلالين احتلال الرجال واحتلال النساء وثانيهما شر من أولهما . لان الاول اذا كان حصل على غير رضانا فان الثانى جلبناه بأيدينا والنساء شديدات التعلق بالاقارب فلا يبعد أن

تلم كل زوجة منهن أخاها وأباها وابن خالتها وصاحبها حولها فيسدون مابقى لرجالنا من موارد الرزق فنخرج وإياهم من بلدنا بخفى حنين . وان يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد

بعض رجالنا يفضلون عنا الاوربيات لتدبيرهن . حقيقة ان الفقيرة منهن ترتدى بلباس نظيف مرتب وترى بيتها على قلة أثاثه نظيفا مرتبا . وطعامها لذيذا متنوعا وأولادها مؤدبين أصحاء ومع ذلك نفقاتها قليلة . نرى كل يوم نساء ضباط الانكليز ماشيات فى الطرق بلباسهن التيل الابيض البسيط وأولادهن لابسين القبعات الجميلة والاحذية البيضاء ومنظرهم يأخذ بالالباب لايقاربهم فى شكلهم عندنا الا أولاد (الذوات) الذين تخدمهم المربيات و (الدادوات) أما سائر أطفالنا فهم فى حالة يرثى لها من الاهمال . ولكن هل تدبر من تتزوج منهن مصريا أمر زوجها كما كانت تفعل لو كان زوجها أوربيا ؟ كلا . والحس يؤيد ما أقول . فان أغلب رجالنا الذين تزوجوا منهن يئنون ويصرخون من تبذيرهن واتباعهن اهواءهن . فالمرأة الغربية تعتقد انها من جنس أرقى من المصرى فاذا تزوجته ظلت رئيسة له يعمل باشارتها وحسبت انه ملزم بالانفاق على ما تشتهى وجلبه لها حتى ولو كان فى الصين . فهى مدبرة مع الغربى مسرفة مع المصرى . واذن ضاعت أفضليتها من هذا القبيل . وبعضهم يدعى انه يفضلها لانه يمكنها الخروج معه فى نزهه وروحاته وغدواته . ولا أظن الرجل يحب ان ترافقه زوجته وتلزمه لزوم الظل فانه داعية للملل . على انه لو كان هذا الرأى صحيحا لما تأخر أكثرنا عن تنفيذه وأنا أول من تفعله . ولا أجد للمرأة الغربية التى تقبل الزواج من مصرى ما يفوقها علينا الا أمراً واحداً لا أرانا نحسنه لاننا لم نمارسه ولا أريد ان نمارسه ذلك انها ماهرة فى اجتذاب القلوب وفى نصب الشباك للرجال . فاذا صادت بحركاتها وغنة صوتها مصريا فليعلم أنها دربت على ذلك فى عشرين غربيا قبله . فهل يقبل وفيه غيرة الشرقيين وأنفتهم ان تطعمه طبيخا حقيقة لذيذا ولكنها

أنضجته على نار غيره ثم انتبذه من قبله خلق كثير ؟

وبفرض ان الزوجة الشرقية الراقية نقصت قليلا عن أختها الغربية فلماذا لا يرشدها بعلها الى مواضع خطئها بالرفق ويريها مايحب ومالا يحب لا سيما وان أحب شيء الى الزوجين المتحدين ان يبذل أحدهما وسعه ليرضى الآخر . فانصراف شباننا لتلقى العلوم الحديثة فى اوربا يجب ان يكون لخير البلاد لا لشرها . فكما يتعلمون لنفع انفسهم يجب ان يقرنوا ذلك النفع بنفع مواطنيهم ايضا . والا فلو اتبع كل واحد يرى عيبا فى صاحبه طريقة هؤلاء الشبان لما كان لاحد من أهل بلده خليل « ومن ذا الذى ترضى سجاياه كلها » ؟ فواجبهم الوطنى يقضى عليهم بأن يدخلوا كل ما يرونه صالحا فى بلادهم مع الاستغناء عن الاجنبى على قدر الامكان . فصانع الحرير الوطنى اذا رأى معامل أوربا وسرعتها وجب ان يشترى لبلاده الآلات اللازمة لسرعة انجاز العمل لا ان يدخل تلك الصناعة بعينها ويقضى على صناعته الجميلة فيكون قد اقتبس شكلا وأبطل آخر . فنحن اذا اتبعنا كل شيء غربى قضينا على مدنيتنا . والامة التى لا مدنية لها ضعيفة هالكة لامحالة . فشباننا يدعون انهم يأتون بنساء أوربا لانهم رأوهن أرق من نساء مصر . اذن يجب ان يحضروا لنا تلاميذ اوربا لانهم أرق من تلاميذ مصر وعمال اوربا لانهم أرق من عمال مصر لان النظرية واحدة فماذا تكون الحال لو تم ذلك ؟ وهل اذا سافرت زوجة مصرية لاوربا ورأت الاطفال هناك أجمل بشرة وأحلى منظراً من مثلهم فى مصر ايصح ان تترك اولادها وتأتى بغيرهم من الغربيين ام تجتهد فى تجميلهم وتقريبهم من الشكل الذى اعجبت به . واذا كانت احط فتاة غربية تتزوج مصريا يتبرأ منها اهلها افنرضى نحن عنها وقد شغلت محل اشرف فتاة منا وصار زوجها مثالا لغيره من الشبان ؟ انا اول من يعجب بنشاط المرأة الغربية واقدامها واول من يحترم من تستحق الاحترام منهن . ولكن يجب ان لا ينسينا احترام الغير منفعة الوطن . والمصلحة العامة فوق

الاعجاب . واننا فى كثير من امورنا نسير وفق مايراه الرجال فليرونا ما يحبون وكلنا مستعدات للسير بمقتضاه بشرط ان لا يكون ظلما لنا ولا اجحافا بحقوقنا

يؤلمنى ان درجة احترام الرجال لنا ليست بالدرجة التى نحب. واذا بحثنا وجدنا اننا نحن اللاتى وضعنا انفسنا فى هـذا الموضع غير المرضى . ذلك ان الانسان ينزله الناس فى المنزلة التى يختارها هو لنفسه ويسير عليها كما قال زهير « ومن لم يكرم نفسه لا يكرم » لا يكرم المرء نفسه بأن يقول سعادتى وحضرتى أو البك والباشا فى نفسه كبعض الجهلاء الذين ينالون رتباً جديدة ولكن لا يستهين بذاته فيهينها ويشعر من نفسه بالضعة فيهينه الغير أيضاً . فهل نضع نحن أنفسنا عادة فى الموضع اللائق بها ؟ كلا . يحكى أن أحد الخلفاء بينما كان يروض نفسه فى الطريق اذ سمع صوتا فى خربة فاتجه نحوه فوجد فيها زبالا يقول .

وأكرم نفسى أننى أن اهنتها وحقك لم تكرم على أحد بعدى

فقال له وأى اكرام لنفسك وأنت تحمل التراب والأقذار ؟ قال نعم أفعل ذلك لأكفى نفسى مهانة السؤال من مثلك . أن معتقداتنا وأفعالنا كانت سبباً عظيما فى قلة احترام الرجل ايانا . أيعتبر رجل عاقل امرأة تعتقد فى السحر والشعوذة وكرامة الأموات وتجعل من الدلالات والبلانات بل ومن الشياطين عليها سلطانا ؟ أيحترم المرأة ولا حديث لها إلا (فساتين) جارتها ومصوغات صاحبتها وجهاز فلانة وأخبار علانة ؟ هذا فضلا عما انطبع فى ذهنه من أن المرأة أضعف منه وأقل ذكاء . أن تهاوننا فى هذه النقطة اعتراف بأن حالتنا مرضية فهل هى كذلك ؟ واذا لم تكن فماذا يرقينا فى أعين الرجال ؟ يرقينا حسن التربية والتعلم الصحيح . فاذا حسنت تربيتنا وتعلمنا علماً حقا لا قشورة بعض اللغات الاجنبية و (دورى مى فاسول) والعلم يشمل أيضاً تدبير المنزل والصحة والأطفال . واذا تركنا الخلاعة فى الطريق جانباً واذا اثبتنا لأزواجنا بحسن سلوكنا وقيامنا بواجباتنا حق القيام أننا آدميات نشعر وأن لنا نفوساً

لا تقل عن نفوسهم فلا نسمح لهم بمجال من الاحوال بأيلام شعورنا أو بالاستهانة بنا . إذا فعلنا كل ذلك فمن أين يجد الرجل العادل طريقا لاحتقارنا ؟ أما غير العادل فكان حريا بنا أن لا نقبل الزواج منه

يرقينا أن نطرح الكسل أرضاً . فان عمل أكثرنا فى المنزل هو القعود على (الشلتة) كل النهار . أو الخروج للزيارات كأن رد فعل القعود أدار لولب أرجلنا ونفخ فى شراع حبرنا فلم نقو على ضبط جماحنا . والتى تعرف القراءة منا ففيم تقضى أوقات فراغها ؟ فى قراءة الروايات فقط . فهلا قرأت قانون الصحة أو بعض الكتب المفيدة فتنتفع وتنفع ؟ أن انغماسنا فى الكسل أو الترف أدى الى ضعف أجسامنا وشحوبنا فيجب أن نبحث لنا عن عمل نزاوله فى منازلنا . والمتأمل يرى لأول نظرة أن الطبقات العاملة هى الأسلم صحة والأكثر نشاطاً والأنجب نسلا . ألا تنظرن الى أولاد الطبقة الوسطى والسفلى فانهم كلهم تقريباً أصحاء الجسم أقوياء البنية ؟ أما أولاد (الذوات) فأكثرهم مرضى أو نحفاء يتأثرون بأقل العوارض مع ما يبذله آباؤهم من الاعتناء بهم بعكس أولاد الطبقة الدنيا مثلا فانهم فى اهمال شديد من والديهم . العمل يخرج الفضلات الزائدة فى الدم ويقوى العضل ويبعث على النشاط . والطبقة أو الأمة العاملة يزداد نسلها فتعتز بأبنائها وأن الامة الالمانية لشاهد حسى على ما أقول . فان التعداد يظهر أن النسل هناك يزداد بسرعة هائلة حتى ضاق رحب المانيا بأهلها فأخذوا يبحثون عن أراض يستعمرونها ليصرفوا فيها الزائد من السكان . والذين زاروا اوروبا اخبروا ان اهل ذلك البلد مجدون نشيطون رجالا ونساء بعكس المرأة الفرنسية فان ترفها الزائد كان سبباً فى قلة نسلها فضلا عن انصراف كثير من تلك الامة عن الزواج . وقد بح صوت الاقتصاديين والاجتماعيين فى نصح مواطنيهم بالاعتدال واتباع الطريق القويم فلم يفلحوا . لاحظت وانا فى البادية ان بين نساء البدو ورجالهم كثيراً من العجائز ممن بلغوا الثمانين والمائة . وقد

رأى معظمهم اربعة اعقاب من ذريته مع انى لم ار فى القاهرة ولا فى المدن الاخرى مايشبه ذلك . ولا شك ان هذا نتيجة عيشتهم الطبيعية واعتدالهم . فانهم كلهم مبكرون فى كل شىء . مبكرون فى الاستيقاظ وفى النوم وفى تناول الاغذية وفى الاخذ بأول كل شئ وكلهم عاملون ولم ار بينهم امرأة واحدة حتى من نساء اغنيائهم تقضى النهار فى الكسل كما نقضيه نحن . فاذا كان الفلاسفة والأطباء يبحثون عن اكسير الحياة فهأنذا قد اكتشفته . ذلك هو العمل والاعتدال فى المعيشة او العيش الطبيعى . ولعل فى هذا القدر عن المرأة كفاية اليوم

بقى علينا ان نبين الطريق العملى الذى يجب ان نسير عليه ولو كان لى حق التشريع لاصدرت اللائحة الآتية .

(المادة الاولى) تعليم البنات الدين الصحيح اى تعاليم القرآن والسنة الصحيحة

(المادة الثانية) تعليم البنات التعليم الابتدائى والثانوى وجعل التعليم الاولى اجباريا فى كل الطبقات

(المادة الثالثة) تعليمهن التدبير المنزلى علما وعملا وقانون الصحة وتربية الاطفال والاسعافات الوقتية فى الطب

(المادة الرابعة) تخصيص عدد من البنات لتعلم الطب بأكمله وفن التعليم حتى يقمن بكفاية النساء فى مصر

(المادة الخامسة) اطلاق الحرية فى تعلم غير ذلك من العلوم الراقية لمن تريد

(المادة السادسة) تعويد البنات من صغرهن الصدق والجد فى العمل والصبر وغير ذلك من الفضائل

(المادة السابعة) اتباع الطريقة الشرعية فى الخطبة فلا يتزوج اثنان قبل أن يجتمعا بحضور محرم

(المادة الثامنة) اتباع عادة نساء الاتراك فى الاستانة فى الحجاب والخروج

(المادة التاسعة) المحافظة على مصلحة الوطن والاستغناء عن الغريب من الاشياء والناس بقدر الامكان

(المادة العاشرة) على اخواننا الرجال تنفيذ مشروعنا هذا

* * *

خطبة

فى المقارنة بين المرأة المصرية والمرأة الغربيه

وعاداتهما واستخلاص زبدة المقارنة لنعمل بها

المولودة — دور الطفولة — المراهقة (الملابس والازياء) — الخطبة والزواج الاقتصاد المالى والمنزلى — العمل البيتى — الاخلاق والعادات — دور الامومة

(بسم الله الرحمن الرحيم)

أيتها السيدات :

اذا كان لفئة ما أن تجتمع وتبحث فى شؤونها فلا احق بذلك منا نساء مصر وفتياتها . فاننا على درجة من التأخر تؤلم نفس المتفكر فيها وترجع بالوطن خطوات واسعات عن سبيل التقدم . ان من دلائل تأخرنا أن اكثرنا أخذ يقلد المرأة الغربية بغير نظر الى موافقة عاداتها للشرع الاسلامى والآداب الشرقية . وبعضنا الآخر ظل على تقاليده القديمة سواء كانت صحيحة أو فاسدة فما هذا الجمود بمستحسن ولا ذاك الاندفاع بممدوح . وانى شارحة الآن عادات المرأتين فى كل ادوار حياتهما مقارنة احداهما بالاخرى مستخلصة من زبدة ذلك ما عسى ان ينفعنا فى مستقبل حياتنا

(١) الدور الاول المولودة

ان حالنا الآن عند تبشير احدانا بالأنثى شديد المشابهة جداً لحال الجاهلية الاولى . ولم ارنا خالفناهم فى شئ مما كانوا يفعلون فى ذلك الاالوأد . قال الله تعالى (واذا بشر احدهم بالأنثى ظل وجهه مسوداً وهو كظيم . يتوارى من القوم من سوء مابشر به ايمسكه على هون أم يدسه فى التراب ألا ساء مايحكمون)

ان الانقباض الذى نظهره عند مستهل الأنثى يحدث فى الطفلة اذعانا الى الذلة ورؤماً الى الضعة . فتشب الفتاة آلفة الفرق العظيم بينها وبين أخيها . فتعتقد فى نفسها أنها أحط شأنا وأدنى مرتبة . فلا تطلب من المعالى مايطلبه أخوها ولا تنبسط نفسها إلى مايرفع من شأنها وشأن جنسها وتضع نفسها حيث يضعها الظالمون من اهلها . وليت شعرى لم نكره ولادة الانثى وهى نصف الانسان وأمه وزوجه وابنته . الا يصح ان تكون الفتاة نافعة كالفتى ؟ الا يرجع الفضل فى تدبير عيش الرجل لها ؟ الم تكن فى كثير من الاحيان سبب سعادته وموضع امله ؟ وكيف نهمل تعاليم ديننا الحنيف فى هذه المسألة ويتبعها اكثر الغربيين ؟ فان اممهم خصوصاً الشمالية منها يتساوى عندها الذكر والانثى . وقد يملكون عليهم فتاة فيهم من يفضلها علماً وتجربة وحذقا . يبرر الظالمون للانثى جورهم هذا بان الذكر يحفظ اسم (العائلة) ويرث مالها ولقبها . ولكن كم من والد مات ذكره بموته . وكيف لا والعمل وحده عليه حياة الذكر او فناؤه . هل رفع الله الانبياء عليهم السلام درجات على الناس بأعمالهم ام بأبنائهم ومنهم من لم يتزوج قط ومنهم من عقه ابناؤه ؟ ام كان أبو العلاء المعرى أبا ذرية أحيت اسمه وهو الذى يعد الزواج والذرية جناية . وهل يغنى الولد عن الأبوين شيئاً اذا كان لايخفف حشرجة الموت ؟ فالبنت والصبى سيان قرة عين الوالد فى حياته ولا يدرى ماذا يفعلان بعد مماته . وهل اذا ورث الفتى ثروة وبددها يعد حافظا غنى أسرته . أم اذا ولد لأحدهم ذكور ضمن لهم الحياة الخالدة ؟

(٢) الدور الثانى دور الطفولة

فى هذا الدور نفضل الصبى عن البنت فى أمور شتى مع أن الغربيين لايفرقون البتة بينهما فضلا عن انهم يوفونهما حقهما من التربية والعناية . ونحن اذا فضلنا المذكر قليلا فلا نزال مقصرين فى العناية به فما بالكن بالانثى ؟ ترضى المرأة الغربية طفلها وتنظفه بنفسها . اللهم الا فئة العاملات اللاتى يضطرهن الفقر الى الاشتغال فى المصانع والحوانيت وترك اطفالهن فى أيدى الاجراء من مربيات الاطفال ومراضعهم أما نحن فنعد ارضاع أطفالنا عيبا لايغتفره لنا ادعاء الغنى او الغنى نفسه ! و نفوض أمر نظافتهم للخدم ونكل ترويضهم وتربيتهم اليهم وهم من تعلمن من فساد الذوق والجهل القبيح فيشب أطفالنا أشد حباً لهم وأشبه أخلاقا بهم بينا نجد بيننا وبينهم جفاء وتقاطعا . وكيف تعرف الأم طباع طفلها واذا هى لاتتعرفها بنفسها . ولو مرت الأمهات يوماً بالمراضع جالسات على حافة الطرق ليراقبن حالتهن الاخلاقية لما تأخرن لحظة عن حماية أطفالهن من جيش المراضع الهازم لمكارم الاخلاق

أما عنايتنا بصحة أطفالنا فلم تكن بأكثر من عنايتنا بأخلاقهم . فبينا المرأة الغربية تغذو طفلها غذاء خفيفاً سريع الهضم وتحتفظ به من هجمات البرد والحر تريننا نطعمه أثقل الغذاء و نبادر باعطائه اللحم وما يتعسر هضمه . فتختل معدة الطفل ويصاب بالاسهال والنزلات المعوية . وقد يفضى به سوء الحالة الى الموت أخيراً وكذلك لانكترث بنظافته لئلا يحسد . ونتركه يلعب به النقيضان القر والحر فلا يلبث أن يمرض ولا علاج له عندنا الا الرقى والتمائم نثقل بها حمائله . واذا بكى متوجعا نظن بكاءه جوعا فنلقمه الغذاء فوق الغذاء الى ان يلقى حتفه . هنالك تتهم أمه صاحبتها او قريبتها بأنها حسدته وانفذت فيه سهما من عينيها فتبغضها وتتشاءم من رؤيتها . واذا ابتدأ الطفل يتكلم ويمشى فأول ماينطق به عندنا لعنة الآباء والاجداد ومن الغريب اننا نجعل ذلك منه موضوع ضحك

واستحسان فيظن انه مصيب فى قوله فيتمادى فى الاكثار منه . واذا مشى فاننا نحجر عليه أن يمشى الا وسط الحجر المزدحمة بالاثاث والاوانى. فاذالم يكسرمنها شيئاً فانه يتهشم بصدمة أو بوقوع . واذا تأخر فى الخطو قليلا نساعده عليه بالممشاة (المشاية) وهى علة تشويه كبيرة لانشعر بها . ذلك ان عظام الطفل اللينة باجهادها فى المشى قبل قوتها تلتوى فيشب الطفل أعوج الساقين منحنى السلسلة الفقرية او الصدر . كذلك لانلتفت لموضع سرير الطفل وتأثير النور فى عينيه . فيكثر فينا الحول والعمى. ما أعظم الفرق بين طفلنا الشاحب اللون البذئ اللسان وبين الطفل الغربى الصحيح البدن فالاعتناء المهذب بالتربية . ما اجمله حين يذهب فى الصباح والمساء ليقبل والديه وحين يستغفر غيره أياكان لاقل هفوة أو يشكر له جميلا اسداه اياه . ذلك الطفل الذى اذا حرم تلك القبلة الوالدية لهفوة أتاها فلا تسل عن حزنه وبكائه الى ان يتوب. بمثل هذا تعلم المرأة الغربية طفلها ان رضاء الوالدين اعظم نعمة للاولاد وتربى فيه الضمير الحى والاعتراف بالشكر لمن وجب له فلا تصغر نفسه بالضرب كما نعود نحن اطفالنا .ما المراد من ضرب الطفل ؟ اذا المراد هو نهيه عن اتيان شيء لانستحسنه لا ايذاء جسمه بأنواع التعذيب البدنى . فهلا نجد من طرق التأديب النفسية ما يوصل الى تلك الغاية بغير الشتم والضرب اللذين يصغران همة الطفل ويخفضان من عزته صغيرا ويزيدان تحكمه واستبداده كبيرا

وبقدر ما نعطى الطفل حرية فى البذاءة والاتلاف نمنعها اياه فى الرياضة المفيدة لنموه . فنمنعه الجرى والفسحة ومشاهدة المناظر الطبيعية الجميلة مع ان الطفل الغربى يعد عضوا مهما فى البيت كسائر أعضائه من أب وأم . فيذهب به الى بلاد بعيدة لاستنشاق الهواء واجتلاء المناظر ويفرد له أدوات خاصة لنومه ولعبه وسائر لوازمه ويعامل بالاكرام ويعود الاستقلال من نعومة أظفاره الى ان يترعرع . واذا لحن فى كلامه بادرت أمه بتصحيح خطئه والنطق امامه

نطقا صحيحا حتى يحاكيها فيه . اما أطفالنا البائسون فاننا نلثغ لهم لترضيهم ونكلمهم بلغتهم المشوشة بدل تعليمهم لغتنا العاميه لا الفصحى !

نحن نبادر بارسال أولادنا للمدارس وهم صغار لا يدركون ماهية العلم ولا يألفون حجر حريتهم . فيضايقهم المعلمون بتدريسهم الممل غير الجذاب ويلزمون أعضاءهم المخلوقة للحركة بالسكون التام فيتربى فى الطفل نفور من المدرسة والدرس فتجبره أمه على الذهاب الى المدرسة فيزيده الاجبار نفورا وقد يكون خطؤنا فى ارسال أولادنا صغارا جدا للمدرسة ومضايقة المعلمين لهم باساليبهم العقيمة ما ينقص من استعداد الطفل لتلقى العلم ويفسد عليه ملكاته . أما الطفل الغربى فهو أسعد حظا اذ تعلمه أمه فى البيت طرق الملاحظة والمشاهدة وتلقنه فوائد الاشياء والاسرار القريبة الادراك لما يحيط به من نبات وحيوان ومطر وغيره . وتعلمه الاحسان والشفقة بما تفعله امامه من ضروبهما . وكذلك تعلمه القراءة والكتابة الاولية باسلوب شائق ولا ترسله للمدرسة الاوفيه ميل اليها واستعداد لما سيلقى عليه بها . وقد جربت ضرر ارسال الاولاد للمدرسة صغارا فى نفسى وفى اخوتى وفيمن شاهدته من التلميذات فانى ظللت حوالى ثلاث سنين لا أفقه معنى للمدرسة ولا أكاد أفهم الغرض من ارسالى اليها . وكذلك شاهدت أن النابغات من التلميذات هن اللاتى أرسلن للمدرسة فى سن الثامنة أو العاشرة أما المرسلات صغيرات فأكثرهن لم يستفدن شيئا غير ضعف البنية وخسارة ما أنفق عليهن . اذا لم يكن بد من ارسال الاطفال للمدرسة صغاراً فيجب أن تجعل لهم فرقة مخصوصة كفرقة بستان الاطفال (الكندرجارتن) التى تجعل فيها الدروس مزيجاً من التعلم والرياضة ويراعى فيها مدارك الطفل وتمرن حواسه وأعضاؤه بغير اجبار يخافه أو تكرار يمله . ولو كانت الامهات معتنيات بأطفالهن تمام العناية فان مثل تلك الفرقة كان يجب أن تكون فى كل بيت أنعم الله عليه بنعمة الاولاد

للتربية عندنا احدى طريقتين . أما القسوة أو التدليل وكلاهما مضر . فالقسوة ترهق الطفل وتعلمه الذل . والتدليل يطرح به فى مهواة الغرور . فمن دلائل القسوة تخويفنا الاطفال وتصوير صور مخيفة لهم من الظلمة وملء أذهانهم بترهات لا أصل لها (كالبعبع والمزيرة الخ) وضربهم عند مخالفتهم لنا ومن تدليلنا اياهم أن نعلمهم الانانية ونعطيهم ما يشتهون عند بكائهم بعد منعهم اياه قبل البكاء فيتعلمون من ذلك أن الصياح ميسر العسير ومقرب البعيد فلا يتأخرون عن البكاء عند أى شىء نمنعه عنهم . وقد رأيت كثيراً أن طفلا ينصح لأخيه أو اخته الاصغر منه سنا بأن يبكى حتى يأخذ كيت وكيت مما كان منع عنه . اما الافرنج فطريقتهم فى تربية الاطفال خير من طريقتنا أضعافاً فيعاقبون الطفل الذى يبكى لطلب شىء بالحرمان منه فيعلم ان البكاء لايجدى . ويطلبه بالطرق المشروعة وأن منع منه فلا يعود يتشبث به . ويستحضرون فى المنزل ما تمس اليه حاجة الاولاد من الحلوى واللعب خوفا عليهم من قذارة مافى الاسواق واقتصادا للمال والزمن

(٣) الدور الثالث دور المراهقة

هــذا هو الدور الذى تتجلى فيه صفات الفتاة حسنة كانت او سيئة وان كانت الاخيرة فمن الصعب تغييرها . فى هذا الدور يهتم الاهلون بارسال اولادهم الذكور للمدرسة وان كانوا يدخلونهم قبل ذلك الكتاتيب . ولايهتمون كثيراً بتثقيف عقل الفتاة . على انهم قد أخذوا يقلدون الغربيين أخيراً فى تعليم الفتاة ولكن لم يكن التقليد نافعاً لنا ولا محكما فى ذاته . فالفتاة الغربية تتعلم العلوم الى أن تحصل منها على درجة عالية أو درجة محمودة . أما فتاتنا المصرية فلا تكاد تقرأ وتتعلم قشورا بسيطة من العلم حتى تستغنى بها عن الاستمرار فى الاستفادة. فهى لاتقلد الغربية فى التعلم النافع وانما تقلدها باستماتة فى تعلم البيانو والرقص

ولا أدرى لماذا أخذت البيوت الشرقية تبطل العود والقانون وتتعلم (البيانو) مع ان الأولين فضلا عن كونهما شرقيين ألطف صوتاً وأشجى نغمة وأقل جلبة وارخص ثمناً وأخف حملا . ان (البيانو) لازم جداً فى الغرب لتحية الجموع فى المراقص والكنائس لانه بنغماته العالية يسمع الى مكان بعيد أما فى بيوت المسلمين حيث لا مراقص ولا كنائس فلا أجده من الضرورة بالدرجة التى يتهافت عليها فتياتنا . نعم ان تعلم الموسيقى من الكماليات الممدوحة ويقولون انها مهذبة للطبع مرققة للشعور ولكن ألم يكن الاولى تعلمها على الآلات الشرقية التى لاضوضاء لها اذ هى بذلك ادعى للحشمة فلا يتعدى صوتها البيت الذى هى به ؟

لو سلمنا بضرورة تقليد الغربية فى تعليم (البيانو) لوجب محاكاتها أيضاً فى تعلمه من حيث هو فن واتقانه لا ان تقتصر الفتاة على نقر لاتناسب بين نغماته حتى ان سليم الذوق مع عدم تلقيه دروسا فى (البيانو) يمكنه نقد ذلك الضرب الذى لاقانون له على صماخ الاذن لاعلى (البيانو) فان اذنه تنبو عنه لسماجته !

ماذا تقرأ الفتيات فى سن المراهقة ؟ لايقرأن الا الروايات الغرامية وهن فى ذلك الوقت موضع لسورة الانفعالات النفسية . فيتأثرن بحوادث العشق والهرب وتنطبع فى ذاكرتهن اشعار وجمل غرامية مما يقرأن وتمر امامهن صور تلك الحوادث كالصور المتحركة فلا تعدم ان تلقى أثراً فى عقولهن اللينة . ان الآباء ملومون فى هذه الحالة لعدم اختيارهم كتباً نافعة تقرأها فتياتهم . لماذا لايختارون لهن مثل كتاب التربية الاستقلالية وفيه أمور نافعة جداً فى تربية الاطفال ومعاملة الازواج ؟ او مثل كتاب كليلة ودمنة ؟ او كتب تراجم المشهورين من رجال ونساء ؟ فان فى قراءة سير المشاهير ما يبعث القارىء على ان يقتدى بهم . او مثل كتب آداب اللغة وغيرها مما يلذ ويفيد فى آن واحد . هذا اذا وجدت الفتاة من كتب الفلسفة والعلم ما يستعصى عليها فهمه أو تتضجر من الاستمرار على قراءته لجده الخالص وجفافه . ماذا تفعل الفتاة فى سن الرابعة عشرة او

السادسة عشرة وهى ممتلئة الذهن بحوادث « روميووجوليت » وألفاظ« فاتنتى وحبيبتى » الخ ؟ انها تتمنى أن تسمع مثلها وتكون مرموقة بنفس تلك العين لان سنها كما بينت أخصب مراعى ابليس . هذا من جهة القراءة . أما الحرية فان الفتاة المصرية الاولى كانت محجورا عليها لدرجة الحبس والفتاة الغربية لهامطلق الحرية أن تغدو وتروح وحدها وتسافر من بلد الى آخر قاص بغير رقابة أهلها . وهذا من الخرق فى الرأى وأخاف ان تغرنا زخارفه فنعمل به لان كثيرات من فتياتنا المتعلمات يحسبن ان الدرجة التى وصلن اليها تكفى لاعطائهن مطلق الحرية يغدون ويرحن وحيدات . وان حوادث الفتيات المحزنة كثيرة جداً فى أوروبا لان الفتيات الطائشات يصدقن لصفاء نيتهن كل مدع لهن بالغرام وتساعدهن حريتهن المطلقة على مسايرة الفتيان ثم لايلبث الرجال أن ينفضوا من حولهن ويتركوهن بين اليأس والعار وهما أمران أحلاهما مر

من رأيى ان تمنع الفتاة فى سن المراهقة هذه من الاختلاط بالشبان. وحاشا ان أمس بكلامى هذا شرف الفتيات . وانما أحب ان أنبه الى شئ طبيعى والعاقل من اتعظ بغيره . ويكفى تجنبنا لمثل هذا الاختلاط المعيب ان أهله أنفسهم هم اول العائبين له . والفتاة فى هـذه السن ككل انسان تطلب الحرية ويجب ان تتروض وتخرج وهذان لا أمنعهما عنها . وانما أنصح للأمهات ان يرافقنهن وللآباء ان يراقبوهن مراقبة لاتتمكن بها من الوجود مع غير ذى رحم محرم

ثم اذا ثبتت للوالدين مقدرتها على حسن السير وطهارة الذيل وقوة الارادة فلا بأس من اباحة الحرية لها فى زيارة صاحباتها . وأرى ان الحرية المطلقة والحجر المطلق كلاهما مضر فكما أن الاولى تسهل سبل الفساد لمن تريدها كذلك الثانى يخلق فى الفتاة ميلا لان ترى كل شئ ويعلمها طرق الغش والكذب فيكون قد جنى أهلها جنايتين

ان صلاح الفتاة مترتب دائماً على تربيتها الاولى . فان فسدت فقد يكون

قليل من الحرية أفضل من الحجر المطلق . لانه لاينفع ولا تعدم الفتاة منفذا لأغراضها فتتعلم بذلك السرقة والخداع وقد تكون بعيدة عنهما من قبل

أفضل طريقة لتربية البنات هي ان يرين قبل البلوغ كل شيء تصح مشاهدته. بمعنى ان البنت فى نحو العاشرة يجب أن يريها والدها الصور المتحركة والتمثيل والالعاب المختلفة والحوانيت الكبيرة والمتنزهات والآثار ويركبها السيارة ويريها الحفلات وغير ذلك حتى تلم على قدر الامكان بكل شيء حسن أو عجيب فتستنير من جهة ولا تظل بلهاء ككثير من فتياتنا من جهة أخرى وحتى تكون امتلأت نفسها من الصغر فلا تجد فيها فراغا فيما بعد لطلب المزيد من المشاهدات. فاذا عرضت لها الفسحة فى حياتها المستقبلة فلا بأس بها وان لم تعرض فلا تأسف كثيراً عليها

المدارس — تعجبنى جداً طريقة مدارس (الفرير) فى نقل الفتيات صباحا ومساء فى عرباتها الخصوصية حتى لايختلط بهن السابلة وحتى يأمن عليهن أهلهن من مراقبة الخدام الذين هم فى أكثر الاحوال وسائل الفساد ووسطاء الغواية والضلال وكذلك يوفرن وقت من سيعطل نفسه فيصحبهن الى المدرسة ذهابا وايابا . فحبذا لو اشترت نظارة المعارف او استأجرت مثل تلك العربات لنقل التلميذات الى مدارسها فى الغدو والرواح . ويكون لكل قسم من أقسام البلد واحدة أو اثنتان طبقا لحاجة التلميذات كثرة وقلة . فان التعليم فى مدارسها أرقى بكثير من التعليم فى المدارس الاخرى خصوصاً فى اللغة العربية التى هى لغتنا ويجب أن تتعلمها جيداً وكذلك تراعى فيها آداب البلد وعوائده ودينه افضل مما تراعى فى تلك المدارس الاجنبية التى لم تفتح الا لنشر مذهب من المذاهب الدينيه أو لكسب أصحابها فقط

بعض المستهجنين تعليم الفتيات يرون أن تظل الفتاة جاهلة خير لها من ان تتعلم لان التعلم يوسع عليها حيل الاختلاط الذى لاتبرره العادة ولا يسمح به

أولياؤها . وهى نظرية فاسدة لان التربية الحقيقية تحول دون ذلك . فالفتاة الكاملة تجد من عفتها وقدوة أهلها وآداب نفسها ما يخيفها من سوء الاحدوثة وتعلم ان سمعة الفتاة كالزجاج الصافى يتلوث من أقل الاشياء . واذا انكسر فلا يجبر . أما الفاسدة فتميل للمروق متى وجدت مسربا سواء كانت عالمة أو جاهلة . وغاية الامر ان الجاهلة أسرع شططا وأدنى الى ان تشهر بنفسها . وقلما تعرف نتيجة تصرفها السيء لا بعد وقوعها فى سوء مغبته

الملابس والازياء — الملابس الشرقية أخف مؤنة وأيسر كلفة وأشد ملاءمة لجونا الحار وصيفنا المحرق من الملابس الافرنجية . فهى جلباب يلبس مرة واحدة فوق الملابس الدنيا . وعند الخروج تلبس فوقه الملاءة . أما الملابس الافرنجية فانها متعددة القطع مضاعفة التركيب عسرة اللبس والنزع فمن مشد يخنق الخاصرة ويعتصر الكبد والطحال ويضغط على الاحشاء ويمنع الجلد من التنفس الطبيعى اللازم له . ومن بنيقة (ياقة) منشاء كالورق المقوى لاتستطيع المرأة فيها لفت رقبتها والا الانثناء لقضاء أى عمل فتظل مشرئبة العنق مشدودة لاعن وثاق ومن صدار (chemisette) لاصق بالابطين ضاغط على الكتفين أو مقور الفتحة (décolts) معرض القفا والنحر بل الصدر والظهر إلى الحر والقر واختلاف درجات الجو وجلب النزلات الصدرية ومن مرطه (JUPS) ضيق الاعلى غير محكم الازرار واسع الاسفل طويل الذيل كان لابسته من ذوات الاذناب تثير فى مشيتها الجراثيم وتضايق الرئتين والخياشيم . ومن قبعة مترامية الاطراف مدججة بالدبابيس مثقلة بالطيور وريشها والغصون وأزهارها وثمارها مدبجة بالاربطة الحريرية . ومن أناشيط (ينابيع) فى اجزاء (الفستان) يضيع فى ربطها وحلها الزمن سدى . فضلا عن تعدد الملابس لتعدد الاغراض فحلة للصباح وأخرى للمساء وثالثة للخروج وأخرى للرقص وغيرها للاستقبال وهلم جرا . ان الزمن الذى يضيع كل يوم فى اللبس والخلع لو صرف فى عمل نافع لأتى بالفائدة

وأراح من العناء . على أن لنساء الافرنج حسنة واحدة فى ملابسهن مفقودة عندنا وهى البساطة عند الخروج للنزهة أو لقضاء شغل فتلبس المرأة ثوبا قصيراً كى لايعوقها عن المشى . أما نحن فنرتدى أحسن طرفنا فى الخارج ونطيل فى الذيول نجرها . على أن الاوربيات احق منا بالافتتان فى الازياء وشدة التأنق فيها لانهن بارزات . أما نحن فأكثر مايرانا جدران المنازل وان خرجنا فتحت الازار أو فى العربات واذن فلا لزوم لاتباع (الموده) بشغف زائد لانها تفقر وتضايق . وان كان للغنيات حق التمتع بصرف مالهن ولو فيما لا يجدى الانسانية كالازياء فليس للمتوسطات حق افقار بعولتهن أو آبائهن جريا وراء المودة المتقلبة

تخرج بعض نسائنا عن حدود الادب والشرع متفانيات فى اتباع (المودة) ولكن هناك فرقا كبيراً بين (المودة) والخلاعة فان لبست المرأة آخر الازياء فى بيتها فما عليها فى ذلك من حرج . ولكن اذا أظهرت زينتها للمارة وظلت تتلكأ وتتسكع وتداعب وتضحك فتلك هى الخلاعة الشائنة ولم تجىء فى مجلات الازياء (كالبرنتان واللوفر) وغيرهما ففى أى كتاب قرأتها ؟؟

لاحظت شيئاً غريباً فى الفتيات وهو أن الفتاة التى تتبرج وتتأنق مغالية فى اظهار محاسنها وغناها تريد بذلك أن يعجب بها الخاطبون والخاطبات هى التى تتأخر دائما فى الزواج وان تزوجت فبرجل أقل مما كان ينتظر لمثلها . وهو عقاب طبيعى للمتبرجات . لان الرجل مهما اعجبه شكل الخليعة وكلامها فهو لايود أن يقتنيها لنفسه اعتقاداً ان ماأعجبه منها ظاهر لغيره أيضاً . ولو فطنت الفتيات إلى أن أول شرط يشترطه الرجل فى امرأته خاصة هو الحشمة والترفع عن التبرج لما تأخرن لحظة عن الاقلاع عما زعمنه يقربهن فى اعين الراغبين فى الزواج وهو فى الحقيقة يبعدهن وينفر الرجال منهن . لست بذلك أدعو النساء الى التقشف أو البعد عن الزينة فليس لى أن أحرم ماحلل الله ولان فى الزينة للمرأة بعض

السعادة ولزوجها كذلك . ولكن غرضى الاعتدال فى الزينة إلى عدم الخروج عن المعروف

(٤) الدور الرابع الخطبة والزواج

تتعجل الفتيات كثيراً فى انتظار هذا الدور ولو علمن مصاعبه ومتاعبه لما تعجلنه . وأظن ما يشوقهن اليه هو الزخارف والحلى الجديدة وما يقام للعروس من معالم الزينة وما يتقاطر عليها من التهانىء والهدايا . ولكنهن لايدرين التبعة العظيمة التى تتحملها المرأة بزواجها وما قد يصيبها من الآلام النفسية فى عيشتها الجديدة . وشتان بين الفتاة تنام ملء عينيها ولا تسأل إلا عن نفسها ويسعى أبوها وأهلها فى ارضائها وجلب ماتشتهيه من ملابس وغيرها وبين الزوجة تنتظر بعلها إلى مابعد نصف الليل وتبكر قبل بزوغ الشمس لتجهيز طعامه وتنظيم ملابسه وتظل يومها تشتغل فى بيتها أو تلاحظ الخدم وعليها أن ترضيه وترضيهم وتخطب ود أهله وتقوم بتربية أولاده وهى بين كثرة العمل وتنوع التبعة تحاسب حسابا عسيراً على اقل هفوة وربما وجدت منه سكيرا فظاً أحمق . وأدهى من ذلك أن يتحنها بضرة شرعية أو غير شرعية تأتى على مابقى من رونق جمالها وسعادتها

لاوسيلة للزواج عندنا الا الخطبة ولكن بأعين الاهل والجيران والخاطبات اللاتى قد تحسن فى أعينهن من لاتحسن فى عين الخاطب لاختلاف الاذواق والمشارب . فيتزوج الرجل على مجرد أوصاف رويت له فيصور منها شكلا فى مخيلته قد لايطابق العروس الحقيقية اصلا لسوء تعبير الخاطبات وتحريفهن المقصود لغايات . وكذلك الفتاة لاتكاد تعلم عن خطيبها شيئاً إلا اسمه وماله المبالغ فى تقديره لترغيبها هى وأهلها . فاذا حان وقت المقابلة يكاد العروسان يصابان بالبكم والغشيان لفرط دهشة احدهما من الآخر . وبعد المعاشرة قليلا قد يتفقان وقد لا يتفقان . وهل هذه المخاطرة فى الحقيقة الا نتيجة اعتقادنا

المغلوب فى القضاء والقدر . نعم ان القضاء والقدر لاتجدى مغالبتهما ولكن لا يصح اتخاذهما وسيلة للاهمال فى جلب المنفعة أو درء الضرر . فان هذه المسألة مسألة اختيار محض للعقل أن يحكم فيها وحده فاذا احسن الاختيار حسنت عاقبته وان قصر أو اهمل ساءت العقبى . على ان اسفار النساء عن وجوههن لم تجمع الأئمة على تحريمه فضلا عن انهم كلهم يجوزونه عند الخطبة تحاشيا من وقوع الاختلاف ودعوى الغش فيما بعد

أما الافرنج فخشية ان يصابوا بما أصيب به أغلب أهل الشرق من الخطبة العمياء ومايترتب عليها من الشقاء المستمر أجمعوا على وجوب ان يتراءى العروسان قبل الخطبة مرارا ويتقابلا تكرارا . ولكنهم افرطوا فى الامر كما فرطنا نحن فيه و « كلا طرفى كل الامور ذميم » . لم يكتفوا بان يرى الخطيب خطيبته عدة مرات بل شرطوا ان يكون الزواج بعد الرضى أو الميل المتبادل بينهما . ولاجل ان يملكوا قلب الخاطب قبل ان يعرف من هو !! يحرضون بناتهم على غشيان المنتزهات والمراقص ومجتمعات الفتيان لعل الواحدة منهن تخلب فتى من الذين هناك بالاتفاق . وقد تذهب المقابلة بعد المقابلة سدى فتتعرض لغيره ويتعرض لغيرها الى ان تجد بعد طول مدة التخير فتى يكاشفها بعزم الاقتران فتظن انها وجدت ضالتها المنشودة فتعلن أهلها ويتردد الخطيب عليها فى البيت وغير البيت وربما تمضى على ذلك الشهور أو السنون ثم يغض الفتى عن الفتاة بدعوى ان الاختبار لم يؤد الى المرام وان القلوب لم تأتلف . واذا كان أصل الفكرة وجوب الاختبار الطويل فيما يتعلق بالاخلاق والتأكد من الحالة الصحية كان العدول بعد الاختبار أمرا غير مستقبح . وانما يكون الاستقباح بعد الاعلان النطمى وهو لبس الخاتم عندهم . ولاشك ان التساهل الى هذا الحد فيه ما فيه من العيوب القبيحة مما لا يخفى على الناقد البصير

والحق ان هذه المسألة من المعضلات الاجتماعية . فلا الاسترسال فى الاختبار

بمأمون العواقب ولا الاحتجاب المطلق عن الخاطب بمفيد . بل ربما كان مؤخرا للفتاة عن الزواج فى الاوان المناسب . وربما كان فى الحى الواحد فتيان وفتيات كل منهم يبغى الزواج ولا يعلم الفتيان بوجود الفتيات لاحتجابهن الاحتجاب الشديد ولعدم التعارف بين البيوت . ولا خلاص من هذه العقدة الا باتباع سنة السلف من العرب فى صدر الاسلام من مباشرة الفتاة خدمة الضيوف ومقابلة زائرى أهلها لاستطلاع قصدهم والخروج فى القرى ان كانت بها للمساعدة فى بعض الاعمال . ويجب على الفتيان فى مثل هذه الحال ان لا يظهروا غرضهم أمام الفتيات أو يتعرضوا لهن بالخطبة فان ذلك مغاير للذوق والادب ومؤد لخجل الفتيات وانزوائهن وراء الحجب . وينبغى ان تعود الفتيات هذا الامر من صغرهن حتى لا يستغربنه عند الكبر ويحسن بشذوذه . وهذه الطريقة متبعة فى القرى والبوادى المصرية . فحبذا لو اقتدى بهم غيرهم متى أمنت الفتنة وسلمت الاعراض وصلحت مقاصد الرجال فى رؤية النساء . اما فى المصور والاماكن التى خبثت فيها مقاصد الرجال وانحطت اغراضهم وشاهت آدابهم فان الحجاب للمرأة ليس الا حصنا يصونها من عدوان الخبثاء المفسدين

وفى الحالة التى لا بأس من الخروج فيها يشترط ان يكون خروج الفتاة مع أبيها أو أخيها أو أحد محارمها . وعلى كل حال فالشيء الذى لا بد من منعه هو انفراد الفتى بالفتاة الحادثة فى غير ضرورة لما فى ذلك من مخالفة الشرع واثارة التهم .

هذا مايقال فى الخطبة . أما الزواج فطريقتنا فيه مختلفة أيضا فالمرأة الغربية فى بعض البلاد تدفع الصداق (الدوت) وقد يكون من جراء ذلك بعض الظروف أن تصير الزوجة سيدة الرجل الآمرة الناهية . والمرأة الشرقية كانت لاتدفع شيئا ولكن يدفع الرجل الصداق فيأخذه أهلها لأنفسهم ولا يشترون لها منه شيئا . وبذلك يعتبر الرجل سيدها لا حق لها فى معارضته . وهاتان الطريقتان

بغير نظر الى صلاحيتهما أو تفضيل احداهما على الاخرى واضحتان فى أن دافع الصداق هو المنفرد بالسيادة فى البيت . أما طريقتنا الآن فهى معتلة . ولذلك فالسيادة متنازع عليها بين الزوجين المصريين . يدفع الرجل الصداق فتأتى المرأة بما يساوى ضعفه أو ضعفيه أو اكثر تعنت بذلك أباها أو أخاها واذا كانت موسرة وتزوجها الرجل لمالها كان التنازع بينهما على الرياسة أمراً مقضياً لامحيص عنه فهى بما لها من الثراء ترى نفسها سيدة المنزل وهو بما منحه الله من الدرجة فى الفضل وبما أنفقه من ماله عليها يرى نفسه سيد المنزل وهنا لك يقع التنازع

مالنا ولهذا التكليف الثقيل والبيت باسم الرجل لا باسم زوجه فان أعجبه أن يفرش فى بيته حصيراً فليكن . وأن راقه أن يموه سقوفه وجدرانه بماء الذهب فليفعل . وأن أحب الا يجعله جنات عدن تجرى من تحتها الانهار فحبذا رأيه . وليس للزوج وأهله أن ينتظروا شيئاً من العروس فهى وشأنها فى مالها . أن حوادث الطلاق فيها عظات كثيرة لو انتبهنا لها . فكثير ما يتنازع الزوجان على الاثاث كل يدعى أنه له . واذا كان فى الرجل مروءة وتركه لمطلقته فانها تزحم به بيت اهلها ويظل مكدساً يرتع فيه العث والجرذان فتجد مرعى خصيباً . فاذا تزوجت المرأة ثانية وجدت اكثره تالفا أو طال عليه القدم مع ما يستلزمه نقل الاثاث وترتيبه كل مرة من النفقات والتعب

واذا لمت الغنية مرة على هذا التبذير فانى ألوم الفقيرة المدعية مراراً . فكم من بيوت خربت وأرض بيعت أو رهنت لا لسبب سوى تجهيز عروس لا يلبث فرشها البهى أن يحول لونه أو يتمزق بعد سنين قلائل فتكلف زوجها بتجديده أو يبقى خرقا . سمعت عن أب له ثلاث بنات جهزهن واحده بعد أخرى جهازاً كان موضوع الحديث عند معارفهم وكان له مائة فدان من أجود الأطيان يعيش بريعها عيش الرخاء . فباع ثلاثين لتجهيز الفتاة الاولى ورهن ثلاثين للثانية والباقى للاخيرة . ولما حان ميعاد السداد لم يف واذا بالدائنين أتوا على ما ورثه

وهو كل ما يمتلك وحجزوا على بيته أيضاً . فبالله ألا يعد هذا الرجل قصير النظر أخرق ؟ وهل أغناه اثاث بناته وقد أصبح معدماً ذليلا . انه لمن الجنون بل ومن القساوة أن تجتهد الفتاة فى تخريب بيت والديها لتزيين بيت زوجها . ولماذا تقلد كل سيدة من هى أغنى منها ؟ وهل يعد التوسط فى الغنى أو الفقر عيباً ؟

أن المرأة الاوربية لاترمى مالها كما نفعل فى اوان لا تستعملها وفى خرق تبلى بعد زمن قصير . بل تستثمر ذلك المال فتنميه وتحفظه للعوز أو تدخره لاولادها من بعدها أو تنفق منه على الجمعيات الخيرية والمدارس فيجىء البائسين وتحيا بحسناتها فهى ابرع منا بمراحل فى طرق الاقتصاد

الاقتصاد المالى والمنزلى

لاتكتفى المرأة الغربية بتنمية مالها بل تضع (موازنة ميزانية) مضبوطة لايراد بيتها ومصروفه فلا تخرج عن حد الاعتدال فى النفقات ولا تنفق درهما فى غير موضعه وتفحص مشتراها بنفسها كى تتأكد من جودتها واستحقاقها لما تباع به وتعنى برفو الثياب وتصليحها وتعمل من كل قديم جديداً وقد تغير شكل الثوب الواحد وزينته مراراً فيبين جديداً . نعم ان فينا تلقاء ذلك كرماً ولكن يجب أن لايكون الكرم اهمالا . فقد تقع بقعة صغيرة على جلباب من الحرير الغالى فاذا أهملناه لم يصلح للبس واذا أعطيناه خادمة أو امرأة فقيرة فقد ينفعها ثوب من النسيج (القماش) البسيط (الشيت) أكثر من ذلك الثوب الجميل . وفى هذه الحالة يكون كرمنا غير مجد . فلو اجتهدنا فى ازالة تلك البقعة أو مداراتها بشىء من الزينة (الكلفة) وجدنا على تلك الفقيرة بثوب بسيط لكان أنفع لنا ولها

ان تربية الغربية مؤسسة على العناية والملاحظة . اما نحن فقلما تنتبه اليهما تقتصد المرأة الغربية من مالها بما تظهره من براعتها وعملها فهى تخيط لنفسها ولزوجها ولاولادها وتكوى ثيابهم . امافنحن فالبيوت المتوسطة كلها تكوى

فى السوق وتخيط كل شيء حتى التافه عند الخياطات . بعشرين قرشا يمكن المرأة الغربية ان تحضر طعاما لبيتها وتجعله لذيذا شهيا بكثرة الجوارش (السلطة) والحلوى . اما العشرون قرشا عندنا فتهيء بها المرأة طعاما ولكن غير كاف ولا شهى .

ان الافرنج رجالا ونساء يعرفون كيف يجتذبون الانظار ويجعلون الشيء المتوسط فى الحسن جميلا . قد رأيت من بضاعتهم ما هو أقل متانة من بضاعتنا الشرقية ولكنهم يضعونها فى حوانيت واسعة منارة بالكهرباء ويرصونها داخل ألواح من الزجاج فتجتذب المارة ثم هم يختارون لتجارتهم محلا من المدينة يكثر عليه الغادون والرائحون . أما تجارنا فهم بمعزل عن ذلك التفنن اذ قد تكون حوانيتهم فى نقطة غير مطروقة كثيرا أو يهملون فى عرض بضاعتهم واعلانها عنها فتبور . ومثل تجارنا فى حوانيتهم كمثلنا فى بيوتنا ففينا من الذكاء والمقدرة ما يمكننا من جعل بيوتنا جنة ولكن قلة العناية هى التى تخل نظامها وتفسد ترتيبها

العمل — أما العمل البيتى أو الخارجى فاننا يجب ان نعترف للمرأة الغربية بسبقها ايانا فيهما وان كانت غنياتنا وأغلب غنياتهم لا يكترثن الا بالملاهى والازياء ولكن المتوسطات هناك لا يأنفن مزاولة الطبخ والكى وترتيب أثاث البيت كما تأنفه متوسطاتنا . وفقيراتهن يعملن ما يقوم بحاجاتهن وحاجات من يعلنهم (عائلاتهن) اما فقيراتنا فاما ان يسألن واما ان يشتغلن بعمل قليل الكسب . والشواهد كثيرة على ذلك واقربها وهو ما نعرفه كلنا ان الخياطات المصريات لا نكاد نجد بينهن واحدة يمكنها تفصيل الثياب وخياطتها جيدا . وهن لعدم اتقانهن العمل يكتفين بأجرة قليلة مع ما يتكبدنه من التعب وانفاق العافية . فتأخذ الواحدة خمسة قروش أو عشرة أجرة الثوب فى حين ان الافرنجية تطلب جنيهين على الاقل مقابل تعبها فقط . وكذلك الطبيبات منا يكتفين بدروس

قليلة من التمريض ولا ينظرن لمثيلاتهن الاجنبيات اللاتى برعن فى الطب ونلن نفس شهادات الرجال . كذلك المربيات والخدم المصريون لا يفقهون معنى التربية وأغلب الخادمات لا يصلحن لمزاولة مهنتهن فنضطر ان نجلب هؤلاء من الافرنج .

يقولون الحاجة أم العمل . فما بالنا نكسل و نقصر ونحن فى شديد الحاجة لأمثال هؤلاء الخياطات والطبيبات والمتعلمات وغيرهن ؟ ان من فروض الكفاية ان يكون كل هؤلاء مصريات فى مصر حتى يمتنع بعض مالها من التسرب الى جيوب الاجانب وهن ساكنات ينظرن . لقد اصبحت كلمة « مصرية » فى أفواه الاجانب عنوانا على الكسل وعدم المقدرة . فهلا يبعث فينا ذلك التعيير روح النشاط وحب العمل ؟ هلا حاكيناهن فيما تفوقن فيه علينا من العلم والعمل ؟ أم هل تكفى محاكاتنا لهن فى الزى والتصنع لان نصبح مثلهن ؟ انهن اسسن الجمعيات وادرن المستشفيات والملاجىء وقمن يشتغلن بكل فن حتى انهن يطلبن مشاركة الرجال فى الانتخاب لحكم بلادهن وما ذلك إلا نتيجة العلم والتربية على حب العمل

من حب العمل عندهن الرياضة فى ساعة الفراغ فترين انهن يشتغلن حتى وهن يطلبن الراحة . اما نحن فنكسل ونطلب الراحة فى ساعات العمل . ألم تسمعن بجمعية (الصليب الاحمر) وكيف تخاطر النساء فيها بحياتهن لمداواة الجرحى والتقاطهم ونار الحرب تستعر وامطار القنابل تتساقط ؟ وهل ينفى الهم ويضمد الجراح كالمرأة الآسية ؟ ان النساء المنخرطات فى سلك تلك الجمعية يعرضن انفسهن للهلاك وتكبد مشاق السفر وتحمل البرد القارس بين مهول مثل منشوريا وحزونها والحر اللافح فى الاقاليم الاستوائية التى يذيب حرها رأس الضب . وقد كانت نساء العرب يفعلن نفس هذا الفعل الشريف فى الحرب ويزدن عليه تشجيع المجاهدين وتغذية الجياد قال عمرو بن كلثوم من معلقته .

يقتن جيادنا ويقلن لستم   بعولتنا اذا لم تمنعونا

وقد كانت مخاطرتهن هذه تثير الشجاعة فى الرجال وتحملهم على الاقدام بدليل قوله .

إذا لم نحمهن فلا بقينا   بخير بعدهن ولا حيينا

وقوله فى موضع آخر من القصيدة .

وما منع الظعائن مثل ضرب   ترى منه السواعد كالقلينا

الاخلاق — لا ادرى اتفضل المرأة الغربية فى معرض الاخلاق أم تفضلنا فهى اشجع منا فى اقتحام الخطوب وان كانت لا تقل عنا جزعا عند المصائب . ونحن لا ينقصنا ذكاء كذكائها وانما ينقصنا عزم وثبات كعزمها وثباتها . هى تعمل لتعيش ونحن نتكل اما على آبائنا أو ازواجنا فلا نعمل شيئاً . وهذا الاتكال معيب فى نفسه فضلا عما تخلقه تقلبات الايام فلو تعلمت كل فتاة شريفة مستقلة لما رأينا البائسات تموج بهن الطرقات والمهيضات بعد سابغ عز وسابق نعمة ينتظرن احسان الأخ او احد الاقارب . وقد تكون المرأة سيئة الخلق فتمل عشرتها او يكون لها من الاولاد ما تنوء تربيتهم بذلك الاخ او القريب . والمرأة الغربية تعتنى بكل شئ حتى التافه ونحن بما ركب فى طبعنا من المسالمة نميل الى الاهمال والكسل . وأرانا أسلم منها قلبا وأقل خداعاً لعدم الاختلاط بالرجال أيضاً . فانها لتجوالها فى الخارج تتعلم كيف ترضى هذا وذاك لتظهر فاتنة جذابة وتعيش خداعة محتالة اذ الحاجة تعلمها الاحتيال على العيش فهى تطلبه بكل الوسائل الممكنة . وهى ولا شك أنشط منا واثبت على العمل الا اننا أكثر قناعة وأشد رضا بالقليل

بقية العادات — للخرافات سلطان كبير على المرأة الغربية وان كان بعضنا يظن انها معصومة من الخطأ فنحن وهى سيان فى التفاول والتشاؤم وتصديق العرافات والمنجمين والمشعوذين والاعتقاد بطلوع العفاريت فى الظلمة . وعندنا

الزار وهو أبو الخرافات ومفسد البيوت وهى لاتعتقد به وان كانت تصاب بأعراضه العصبية. فلماذا اختارتنا العفاريت (ياترى) مسكنا الهادون أختنا الغربية واذا فرضنا المستحيل وصدقنا القائلين بتقمص الارواح فلماذا لا تلجأ الينا روح أرسطو وابن رشد وأبى العلاء وغيرهم من الفلاسفة والمصلحين ؟ أم قضى علينا حتى فى الكذب والترهات ان نكون دائما متأخرات فلا يلبسنا الا (الشيخة رمانة وسفينة ويوسف مدلع ونحوهم ممن لايطلبون الا الخلاخيل والمصوغات والسيوف المذهبة) ؟ الا اننا لم نبرع فى حيلة الا هذه . تخاف المرأة ان تطلب ملابس وحليا فيرفض زوجها الطلب فتعمد الى ادعاء العفاريت والجن لتهديده. اعرف كثيرات ادعين (الزار) فرفض طلبهن وبعضهن ضربن بسببه فلم يعدن اليه . وليت شعرى اذا كانت العفاريت جبناء الى هـذا الحد فلماذا لايستعمل الرجال العصى وهى كثيرات وان كنت لاأوافق على ضرب الرجل المرأة بحال من الاحوال ؟ انها لتصر على دعوى ان العفريت هو الذى يتكلم بلسانها ويشعر باعضائها وانها اعارته ظاهرها ولا اعلم الى اين ذهبت هى ! اذن فليضرب العفريت فهو الذى فى ظاهر زعمها يتألم دون ان يصيبها شئ من آثار الضرب!! ولعل المتحضرات الحديثات يدعين قريبا أن الملائكة تقمصت اجسامهن لانهن احكم تصرفا واحسن اختيارا كانما عفاريت الارض نفدت لكثرة الطلب فانصرفت هممهن الى السماء كما فعل مخترعو الطيارات لما ضاقت بهم فجاج الارض. وحينذاك يأنفن ركوب الضأن والابل المستعملين حتى الآن فى الزار فيمتطين المخترعات الحديثة وان كانت لاتزال خطرة الاستعمال . فلا تتيهن علينا البارونة دى لارو فربما نبغ عندنا كثيرات مثلها وان كان باعثهن (مودة الزار) لا العلم . لا اعلم عند الافرنجية عادة تساوى الزار فى القبح الا مخاصرة الرجال فى الرقص وما يتبع تلك العادة من التهتك والتصنع والميل عن جادة الصواب وما ينشأ عن اباحتها المطلقة بلا قيـد ولا وازع من الضرر البليغ والاخلال بالشرف . وأدهى من ذلك أن

ينتشر بينهن مذهب حرية الاعتقاد وهو مذهب من لايصدق بالله ولا باليوم الآخر . فيزعمن انهن يجتنبن الرذائل بمحض ارادتهن وتربيتهن ولكن هل اذا منعت الفضيلة امرأة عن اتيان مالايرضى فهل يصح أن تطبق هذه النظرية على كل امرأة ؟ ألم يكن الايمان بالله وترقب ثوابه وعقابه هما المانعان لكثير من الناس عن الانتحار والكفر واتيان المناكير والفحشاء والخيانة ؟ الا ساء مايحكمون

ان النفس لامارة بالسوء . ولقد تقدم على كثير من الموبقات لولا الضمير الحى وهو ثمرة الوازع الدينى . افلا يعقلون ؟أرانا لانتمسك شديدا بديننا الحنيف وهذا بدعة وعدوى أتتنا من المغرب . فهلا تفكرنا قليلا فيما ينفعنا وما يضرنا قبل الاقدام على التقليد ؟ أو كلما رأينا انسانا يفعل شيئاً حاكيناه وان كان فى ذلك هلاكنا وخسارة ديننا ودنيانا معا ؟

المأتم — بينا الافرنجية ورجالنا أيضاً يجتهدون فى التلهى والتعزى عن المصيبة تجدنا بالعكس نعقد الاجتماعات لنبكى ونستأجر النائحات (المعددات) ليزيدن نار الاسى تأججا فى قلوبنا ؟ وماذا يجدى الحزن وهو لايرد ميتا ولا يعيد مفقودا ؟ قال ابو العلاء :

غير مجد فى ملتى واعتقادى   نوح باك ولا ترنم شاد

وان من تعاليم الاسلام ان يصبر المرء عند الملمات ويترك ما فات لما هو آت والعاقل من يصرف همه اذ لا معنى للعيش مع البؤس . وان العمر الا ايام تنقضى فلماذا لا تجعلها سعيدة بقدر مانستطيع ؟

المسرات — اننا فى جلب المسرات لمقصرات حيال أنفسنا ومن هم فى ذمتنا من الاهل والاولاد حبذا لو اتبعنا طريقة المرأة الغربية فى ذلك . فانها تعقد الاجتماعات وتوالى السمر وتدعو اعضاء الاسرة الواحدة وأصدقاءها لتناول الشاى أوالطعام أوالفسحة معا . فيتجاذبون أطراف الحديث وهنالك يبدى كل

منهم رأيا او حكاية لا تخلو من فائدة او فكاهة وقد يصرفون الوقت فى العاب مختلفة لتنشيط اذهانهم وابدانهم ويتبادل المجتمعون الدعوة كل فى نوبته فيتراءى اعضاء الاسرة الواحدة واصدقاؤها كل يوم تقريبا فينفون بذلك همهم ويأنسون بعضهم ببعض وبذلك يعيشون فى وئام ووفاق

الخدم — المرأة المصرية لاتقدر نفسها قدرها . وطالما رأيت سيدة تضاحك الخادمات وتكاشفهن بأسرارها فلا يتأخرن عن اذاعتها فى البيوت الاخرى وهذا من الخطل فى الرأى . يجب أن يعامل الخدم بالرأفة ولكن لاتتعدى تلك الرأفة حدودها . ألم تستغرين مرة من ان خدمنا لايشتغلون عندنا نصف ما يشتغلون فى البيوت الافرنجية ومع ذلك نراهم هناك أنشط واهدأ خلقا مما اذا كانوا فى بيوتنا ؟ ان السبب لسهل الادراك وهو ان المرأة الافرنجية تحفظ هيبتها فيخشاها الخدم وهى لاتخالطهم الا عند الامر والنهى ولا تحط من شأنها بمسايرتهم ومضاحكتهم وتفرض عليهم شغلهم وتريهم إياه لاول مرة ثم تتركهم وشأنهم فيشعرون بمسئوليتهم

(٥) الدور الخامس دور الأمومة

هذا الدور مرتبط بدور الطفولة ارتباطاً تاما حتى يكاد يندمج أحدهما فى الآخر . وعليه فكل ما قلته هناك أقوله هنا

النتيجة — والنتيجة أن المرأة الغربية سبقتنا بمراحل فى العلم والعمل مع اننا لانقل عنها ذكاء . وكل مالا يستحيل طبعا فهو ممكن بالمعالجة واتخاذ الجد مطية اليه مهما صعب الطريق واستعصى . فاذا تدرعنا بثبات العزم وقوة الارادة فاننا نصل الى ما وصلت اليه من نور العلم ورفعة المقام . ولا يثبطنا قول القائلين « ان الشرق شرق والغرب غرب » . فان التاريخ اعدل حكم وهو حافل بذكر

الشرقيات اللاتى نلن من بعد الصيت ووفرة العلم منالا كبيرا أيام كانت الغربيات لاذكر لهن فاقرأن تواريخ نساء العرب فى الشرق والغرب تجدن نادر الذكاء وجزل الشعر ومتين الاسلوب وما يشهد لهن بعلو الكعب فى العلم والعمل

ان الضعيف اذا لم يرزق قوة التمييز خيل له ان كل ما يأتيه القوى حسن ذلك مثلنا امام المرأة الغربية . فهل تردن ان نثبت للملأ خمولنا وخلونا من التمييز أم تردن ان نعمل على حفظ قوميتنا وتقوية روح الاستقلال فينا وفى الاجيال القادمة من أولادنا ؟ اذا أردنا ان نكون أمة بالمعنى الصحيح تحتم علينا ان لانقتبس من المدنية الاوربية الا الضرورى النافع بعد تمصيره حتى يكون ملائما لعاداتنا وطبيعة بلادنا . نقتبس منها العلم والنشاط والثبات وحب العمل. نقتبس منها أساليب التعليم والتربية وما يرقينا حتى نبدل من ضعفنا قوة . وانما لايجوز فى عرف الشرف والاستقلال ان نندمج فى الغرب فنقضى على مابقى لنا من القوة الضعيفة امام قوته المكتسحة الهائلة

وفى الختام لايسعنى أيها السيدات الا أن اشكر لكن حسن اصغائكن ومؤازرتكن إياى بالحضور . وآمل أن نسمع ونعى . ولا اخالكن الا عازمات على محاربة جمودنا القديم وعلى العمل معا لرفع شأننا وشأن هذا الوطن المفدى والله اسأل أن يوفقنا ويهدينا سواء السبيل



قصيدة نسائية

لباحثة البادية

وسبب انشائها أن شاعر النيل احمد شوقى بك أدرج فى الجريدة قصيدة

مطلعها صداح ياملك الكنا روياأمير البلبل

ومنها بارغم منى ما تعالج فى النحاس المقفل

والقيد لو كان الجمان منظما لم يحمل

صبراً لما تشقى به أو ما بدالك فافعل

أبداً مروع بالاسار ر مهدر بالمقتل

انطرت عن كتفى وقعـ ت على النسور الجهل

وقد أهدى قصيدته هذه للباحثة فظن بعضهم انه ينعى حالة المرأة ويتأسف لاقامتها فى البيت ويعتذر عن الرجال بالخوف عليها من تطاول السفهاء فلم يقبل هذا العذر وكتب فى الجريدة الى شوقى بك على لسان الباحثة قصيدة منها

سميتنى ملك الكنار وأنت رب المنزل

وجعلتنى رهنا لاقـ فاص الحديد المقفل

غللتنى وسجنتنى خوف اصطياد الاجدل

ان لم تكن لى حارسا من كل عاد مقبل

فالحصن والبيداء يستويان عند الاعزل

لو كان حبك صادقا لفككتنى من معقلى

وذهب بعض آخر لتأويل غير هذا فرأت الباحثة أن هذه التأويلات كلها بعيدة عن الصواب وان قصيدة شوقى بك يجب أن تفسر بتفسير آخر وهو ما ذكرته فى قصيدتها وهى

يا هـذه لاتعـذلى واذا أبيت فقللى
أفرطت فى لومى ولو انصفتنى لم تفعلى
لاخير فى نجوى بغـ ـير روية وتعقل
ماذا فهمت من الكنار ومن حديث البلبل
حتى سخطت على المعيـ ـشة فى ظلال المنزل
وودت ان تجدى مقا ما بالعراء فتنزلى
أو دمنة عند اللوى بين الدخول فحومل
رب الـكنار أظنـه عما زعمت بمعزل
خال الـكنانة طائرا والشعر حسن تخيل
فحنا على مثواه فى قفص النحاس المقفل
ونعى زمان مراحه بين الربى والجدول
والقيد ذل لو يكو ن خلاخل فى الارجل
وغـدا يعزيه ويأ مره بحسن تجمل
ويقول ان الحبس حر ز من تقضى الاجدل
أهدى القصيدة فى الجريـ ـدة لى هدية مفضل
كمؤلف يهدى الـكتا ب الى سرى أمثل
يرمى الى تشريفه ويخصـه بتطـول
هى عادة مألوفـة فى الناس منذ الاول
فشكرت مهديها وقد قابلتها بتقبـل
هذى الحقيقة يافتا ة تلوح للمتأمل
لـكن جهلت الامر والـ ـمعهود ان لاتجهلى
مجـد الفتاة مقامها فى البيت لافى المعمل
والمرء يعمل فى الحقول وعرسـه فى المنزل

كم خدمة يقضى نظام البيت ان لم تعمل
من للوليد يعينه فى لبسه والمأكل
ويميط عنه أذى الهوى بتلطف وتحيل
من للرضاعة والحضا نة والفطانة وما يلى
من للمريض يحوطه أبدا بدون تململ
يجرى على وصف الطبيب على الطريق الافضل
من للاثاث يصونه من للذخائر والحلى
من يطعم الغرثان من متزود ومحوصل
ان الدواجن والطيور تموت ان لم تأكل
من يقسم المذخور بين الحال والمستقبل
من ذا يعلم خادما ت البيت فعل الا كمل
لكن اذا دعت الضرو رة للخروج فجهل
سيرى كسير السحب لا تأنى ولا تتعجلى
وتنكبى نهج الزحام وفضلى النهج الخلى
لا تخضعى بالقول أو تتبرجى أو ترفلى
لا تكنسى أرض الشوا رع بالازار المسبل
أما السفور فحكمه فى الشرع ليس بمعضل
ذهب الأئمة فيه بين محرم ومحلل
ويجوز بالاجماع منهم عند قصد تأهل
ليس النقاب هو الحجا ب فقصرى أو طولى
فاذا جهلت الفرق بينهما فدونك فاسألى
من بعد أقوال الأئمة لا مجال لمقولى
فعلام أكثرت الملامة وانضممت لعذلى

وسقيتني من مرقو لك مثل نقع الحنظل
ونسبتني حينا لمذ هب قاسم وأبي علي
تعنين ويلك انني أمارة بتبـدل
ادعو النساء للعب يا ريس ولهو بروكسل
ونسبتني حينا الى تحميل مالم يحمل
جعل الحرائر كالاما ء خوادما للنزل
ليس الكلام بمبهم فتفسري وتؤولي
لاينفع التشكيك والتـ أويل في الامر الجلي
قلت النقاب سكت عنـ ـه نعم بدأت فكملي
ولأي شيء يا ر ين بغيره لم تحفلي
كم مبحث ماجلت فيـ ـه وجل من لم يغفل
من ذا الذي جاءت مقا لته بكل مؤمل
لا أبتغي غير الفضيـ ـلة للنساء فاجملي
ان لم ترى رأيي فيا «ويل الشجي من الخلي»

باب التقاريظ

مرتبة بترتب ورودها

جاء من صاحب الفضيلة الشيخ عبد الكريم سلمان رئيس تفتيش المحاكم الشرعية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله حق الحمد والصلاة والسلام على سيدنا محمد فوق العدو على آله وصحبه رجالا ونساء يتجددان كل يوم صباحا ومساء

اما بعد فان كان لمذهب دارون وجه من الصحة فليكن فى ترقى العقول واستنباط المجهول من المعقول وفى تولد المعلومات بعضها عن البعض اما فى نوع العالم وهو بنو آدم فلا نراه مصيباً اذ الآدمى آدمى اينما كان وشكله شكله فى كل زمان ومكان

اصدق الادلة على ترقى المعلومات وتوالدها وتنوعها الذهاب إلى مايقرب من الطوفان والمشى معه الى هذا الزمان فقد نرى فى زمان نوح شكل الانسان على ماهو عليه الآن ولكننا نراه فى معلوماته قد تغير تغييراً تاما بحيث يمكننا أن نحكم بانقطاع النسبة أو تبدل النوع بين معلومات هذا الزمان وزمان الطوفان

نحن فى غناء عن مرد حالة هذا الهيكل الانسانى فى معلوماته القديمة والحديثة فما من نفس الا وقد تتصور الفرق بين العهدين وأن هذا الجديد كالخلق جديد يمكننى أن أذكر شيئاً سمعته من أسن رجل لقيته فى حياتى وكانت سنه اذ ذاك تتجاوز مائة عام وسنى سبع عشرة على التقريب قال مامعناه (اننى واناشاب ذهبت الى احدى الاسواق الريفية ثم رجعت منها حائراً فى أمرى فحدثت أبى بما عاينت وقلت يا أبتاه رأيت اليوم فى السوق عجبا فاعتدل وسأل ماهو فقلت رأيت امرأة فى السوق وما عهدتها قبل هذا النهار الاقعيدة البيت فقال له أبوه ياولدى لاتعجب فاننا قربنا من آخر الزمان الذى تقول فيه الملاحم وتعلو « الحجول على الخيول » فالهم نجنا ولا تبلغ بنا فى حياتنا الى ذلك الزمان اه هذا الحديث

فأين المرأة التى حدث عنها محدثى هذا وزمانها لايتجاوز المائة والعشرين سنة وقد كان مقرها كسر بيتها تخرج منه الى قبرها وأين المرأة فى هذا الزمان فقد تراها على وشك الاسفار حاملة قمطرها ذاهبة الى مجتمع فيه كثير من النساء يعددن بالمئات وفيهن كثير من المتعلمات فتصعد بينهن على منبر الخطابة ثم تقول وتعيد ذاكرة حال النساء ولزوم تربيتهن ووجوب تعليمهن مبينة فوائد تعليمها منددة بالمواضى فى جهلهن حاضة على تسوية النساء بالرجال فى الاستفادة من

العلوم فيقابل المجتمعات قولها بالرضى والقبول والاذعان للحجج والبينات التى اقامتها على وجوب تربية البنات

يظهر اننى أسرعت فى الانتقال الى المقصود من كلماتى هذه كما اسرع الزمان فى تبديل حال النساء فى بلادنا من تلك الجهالة العمياء الى هـذه المعرفة العلياء وان كانت هذه المعرفة تعد بالنسبة للآتى شيئاً قليلا أو لا يكاد يذكر فى جانب ماهو منتظر الحصول

بالطبع قد عرف اننى اقصد التنويه بالسيدة الفاضلة الباحثة فى البادية (ملك حفنى ناصف) فقد رأيت مجموعتها التى ادرجت فى الجريدة منذ زمان وطالعت معظمها بامعان ولم أطالع البقية اقرب عهدى بها منشورة فى الجريدة فاذا فيها من المباحث العلمية والفوائد الاجتماعية مايعظم نفعه ويكون اساسا فى المستقبل لبناء جديد نضيد يخرج المرأة المصرية الى عالم المشاركة الحقيقية للرجل فى التربية والمعيشة وبهذا يكون لهذه السيدة فضل المؤسسين

انى رأيت فى كتابة هذه السيدة حدة فى بعض الموضوعات وكأنها معذورة فى حدتها لامتلاك الموضوع نفسها وحواسها فكتبت فيه وهى ممتلئة حنقا ولو ملكت نفسها لخفضت من حدتها وأتت بالخاص مكان العام أو بالبعض مكان الكل وبهـذا كانت تسلم من الاعتراض وتغنى نفسها عن تدارك ماوقع فى مقال ثان وليس هـذا بالشىء الا من جهة صناعة الكتابة والعذر فيـه هو ماذكرناه

رأيتها فى موضوع الحجاب تضرب البحر بعصا موسى ولـكنه لم يطعها بل بقى غريقاً عميقاً على أن فى صفاء مائه مايغنى عن انفلاقه وستظهر الايام أن رأيها فى الحجاب رأى لم تقدر على تخميره ولم تملك حرية القول فيه واننى لست معها فى امره وأرى غير ماتراه فيـه

ايتها السيدة الفاضلة لاتبالى بما يعترضك فى طريقك من قول اللائى لم يشمن

نور العلم (ماللسيدات وللخطابة وماهن وللكتابة وان رضى ابوها فكيف رضى زوجها وان رضى زوجها فكيف رضيت عشيرتها) فان العلم دائما محسود اهله ولن يغلبه الجهل مهما كثر مشايعوه

اى بنية أخى انى اراك قد نبغت بين قريناتك واتخذت لك طريقا لم يسلكه قبلك منهن ولا واحدة فكنت لهن قدوة صالحة نكثر بوجودك بينهن عدد الكاتبات القارئات المتعلمات الى الدرجة الابتدائية ثم تدرج منهن بعضهن إلى التعليم الثانوى والعالى فثابرى بلا مبالاة على خطتك هذه وأصمى أذنيك عن لوم اللائمات فما هى الا مائة وعشرون سنة يكون الفرق بين نسائها وبين نساء اليوم ماكان بين نساء اليوم ونساء تلك المائة والعشرين عاما

أيتها الفاضلة ناشدتك الله أن تكونى لبنات زمانك هذا قدوة فى عملك بما تقررينه فى أقوالك وخطاباتك حتى يكون نصحك مقرونا بالاجابة مصحوبا بالقبول وانى لاعلم منك ذلك ولكن لابد من أن انصحك به لانه اذا ظهر على الناصح عمله أولا بنصائحه قبله المنصوح ورسخ فى نفسه العمل به وبهذا تكونين قدوة صالحة لاخواتك فى الاعمال والاقوال

ايتها السيدة اذا كتبت بعد هذا الذى رأيته فامامك ضرب المثل بالبعض واياك والحكم على الجميع فان فى هـذا اغراء بالمخالفة وليس هـذا مما يقصده المؤسسون وبعد هذا فلله أنت ولله أبوك ولله بعلك وفى سبيل الله ماتقاسين من عنـاء وما تكابدين من محاولة هداية وارشاد حقق الله آمالك وأقر عينك بنيل ماتطلبين لاخواتك من الخير العاجل والسلام

عبد الكريم سلمان



جاءنا من صاحب السعادة اسماعيل صبرى باشا وكيل نظارة الحقانيه سابقا بنت أخى العزيز حفنى بك ناصف

نشرت كتابك دواء لعلة من علل الوطن ذلك المريض العزيز فى وقت اجتمعت حول وساده الاطباء والرقاة هذا يصيح وهذا يولول وذاك يكتب وذلك يخطب وذياك ينادى بالصمت ويشير بترك العليل للطبيعة تعمل فيه عملها فيه ان خيرا وان شرا

وكل يدعى حبا لليلى   وليلى لاتقر لهم بذاكا

فنظرت انت ببصيرتك الوقادة وفكرك الصائب فى جسم المريض وفتشت فى مظان العلل فعثرت على اشدها فعلا فيه ودونت مقالاتك فى كتاب جمع من الآراء النافعة والافكار الناجعة مالو عولج به ذلك المريض لذهب بأصل امراضه وقرب للاطباء والرقاة يوم شفائه

أجل يابنت حفنى ان تربية بنات مصر لهو العلاج الاكبر الذى غاب عن اكثر الباحثين فى اسباب انحطاطنا وثقل خطانا فى طريق التقدم

اجل ان الفتاة اذا اصبحت أما وكانت متعلمة متهذبة آخذة من اسباب التربية بما تشيرين به كانت لولدها فى مهده ملكا حافظا فاذا حملته رجلاه سددت خطاه فاذا انطلق لسانه هذبت كلماته فاذا سلم لمعلم كانت رقابتها نافعة فى حث الصغير على الاستفادة وحمل المعلم على الافادة

اذا أما دامت والعياذ بالله على ماتراه من الجهل كانت الحال على عكس ما قدمت ولولم يكن فى تعليم البنات وتهذيبهن الا ماننشده من الوفاق والوئام بين الزوجين وتقليل الطلاق والاكتفاء بزوجة واحدة تقربا من العدل الذى أمرنا به كتابنا الحكيم لكفى كل ذلك مقرظا لكتابك النفيس وآرائك الصائبة والخلاصة أن ماجاء فى كتابك متعلقا بتعليم البنات وتأديبهن وتهذيبهن يعدمن

اجل الخدمات للوطن فى زمن تشكلت فيه الوطنية اشكالا شتى لايلائم أحدها حالتنا الحاضرة والظروف التى غيرت وجوه الحكمة بيننا

ان رقى مصر ابوابا عديدة أراك قد فتحت أوسع باب منها فكانت بك ربات الجمال سابقة أرباب السيف والطيلسان الى أجل خدمة تؤدى لمصر ولا اخال شباننا وكهولنا الا فاتحين الابواب الاخرى ابواب العلم والعمل والصناعة والتجارة والزراعة وغيرها من ابواب الخير والسعادة المؤدية الى استقلال الوطن والتى يعد كل منها موديا الى استقلال نوعى تسعد به البلاد الى أن يأتى يوم الاستقلال الاكبر

أما من جهة الحجاب وما ادراك ما الحجاب شئ يظنه البعض أسرا واسترقاقا ويعتقد البعض انه سعادة وسيادة فالذى أراه فيه هو اننا رأينا المرأة متأخرة فى حجابها فاستنكرنا تأخرها والحجاب معه ولو كنا عاقلين لانتظرنا اليوم الذى نراها فيه متعلمة مرباة فربما حكمنا غدا بان الحجاب انفس حلى المرأة الراقية بارك الله فيك وفى كتابك وجعله مرجعا نافعا لطلاب رقى نصيف أهل مصر أعنى نساءها بل كل اهل مصر بفضل تهذيب نسائها اعنى نساءها ورجالها آمين

اسماعيل صبرى

جاء من فضيلة الاستاذ الجليل الشيخ عبد العزيز جاويش

(بسم الله الرحمن الرحيم)

الحمد لله وحده وبعد فاذا أنا قلت كلمة فى النسائيات التى وضعتها السيدة الجليلة « ملك حفنى » فما أنا بمقتفٍ أثر المقرظين ولا متساهل تساهلهم (على عادتى قبلا) فانى تصفحت هذه العجالات الثمينة واستوعيتها درساً وبحثا فوجدت بين دفتيها من النصائح الادبية والمسائل الاجتماعية مالو بنيت عليه تربية البنت فى بلادنا لسلمت منازلنا من كثير من ضروب الشقاء الذى ابتلى

به الشرقيون منذ تركوا تعاليم دينهم وانحرفوا عن الصراط السوى فى معاملاتهم لقد وصفت السيدة الفاضلة اكثر عللنا الاجتماعية ومبلغ آثارها فى حياتنا المنزلية وشؤوننا المدنية فكانت فياوصفت خيرمن يعتمد عليه فى تعرف شؤوننا ثم جعلت تصف لكل علة من طرق العلاج مالو أخذت به النابتة منذ النشوء لصلح حال الأمة فى جميع أطوارها ولنبلت مبادئها وغايتها . ولقد رأيتنى أزاء كل باب من أبواب هذه المجموعة أقلب بصرى فى حقائق بيد انها كما يقال فى المثل حقائق مرة لا يجمل بالمصرى الصبر عليها ولا يمكنه التبجح بانكارها . على انها قد هونتها العادة على النفوس حتى مرت الايام تتابع والاجيال تتعاقب دون أن ينتبه لرذائها وسوءاتها الرجال فضلا عن النساء الى أن وفق الله لهذه الأمة سيدة كاتبات هذا العصر وأستاذة المربيات فى مصر فوضعت هذه العجالات التى ستكون فاتحة تاريخ جديد للتربية الصحيحة القويمة التى أساسها اصلاح المرأة والرجل اللذين عماد كل شئ فى الحياة الدنيا

ولقد كاد قلم قاسم أمين يجلب البلاء على المسلمين والمسلمات بما وضعه من الكتب فى موضوع المرأة لولا أن تنبهت لما يريده النابتة الاسلامية فجعلت تطارد تعاليمه وتحارب ارشاداته واذا شئنا أن نضرب مثلا للمجاهدات والمصالحات اللاتى تقضن بآياتهن البينة ماأودعه كتبه من النصائح البعيدة عن روح الاسلام فاننا لا نجد أحسن من تلك السيدة الفاضلة التى بنت نصائحها على الاسلام وحرصت على تقاليد المسلمين

على أننى وأن عجبت بكثير مما جاء فى مجموعتها هذه من الآراء السديدة فاننى لا أحب أن أزايل موقفى هذا دون أن ألاحظ على السيدة الفاضلة هفوة عرضت لها فى باب مساوئ الرجال (الازدراء بالمرأة) طالباً منها بما ورد لها فى باب النقد أن تتقبل كلمة لم يملها على إلا الاخلاص لها والميل الى المصلحة العامة فلقد صورت فى ذلك الباب المرأة فى نظر الرجل اليوم على نحو ماكانت عليه فى

الجاهلية الأولى وهذا أمر قلما طابق الواقع وهل كان من حرج على السيدة أن توسع المسألة بحثا وأن ترقب اليوم الذى تترجم فيه مقالاتها الى اللغات الاجنبية فتنشر احكامها على هذه الامة فى العالم الاوربى الذى يجهل معنى الغلو البديعى وانه من المحسنات فى اللغة العربية حيث يعتقد الاوربيون لاسيما نساؤهم أننا اليوم على ماكانت عليه جاهليتنا منذ أربعة عشر قرنا وناهيك بما يحدث هذا القول فى العالم المتحضر من الآراء وما يجلبه علينا بعد ذلك من البلاء

تقول السيدة الفاضلة فى ذلك الفصل أن الجاهلية ماحبب اليها الذكور وبغض الى نفوسها البنات إلا حاجتها الى الحرب والطعان فى سبيل حماية ذمارها فكان لها من هذا عذر مقبول وأما هذا الزمن فزمن السياسة والصناعة الى آخر ماقالت فى هذا الباب وانى أستميحها عفواً أن أصرح هنا بأننى لا أكاد أطابقها على شئ مما جاءلها فى هذا الباب من الاحكام وما التمسته من العلل واستخلصته من النتائج والاراء

وانى لعلى يقين أن السيدة الفاضلة لو زادت هذا الباب عناية وبحثا لما وجد منتقد سبيلا الى كلمة يقولها فى اكثر موضوعات هذه المجموعة الثمينة لحسب الأمة المصرية الاسلامية مادون ذلك من الابواب الاجتماعية الادبية التى طرقتها فان فيها من الحكم الغالية والنصائح العالية ماهو كفيل لسعادتها ان شاء الله تعالى ؟

عبد العزيز جاويش

هذا ماكتبه سعادة العالم احمد بك زكى سكرتير ثانى مجلس النظار

لست بعيال لاطراء بنات الافكار ، اذا تضمنتها بطون الدفاتر والاسفار . ذلك لأن الثمرة التى تتولد عن القرائح والاذهان ، اذا جاء معها لقاح المدارك والافهام ، هى التى تنادى بنفسها على نفسها ، وتدعو الرأى العام الى الحكم عليها أو لها . بل هى التى تقتضى الرواج والاقبال ، بطبيعة الحال ، سواء

تبرع بمدحها قطب من أقطاب الآداب،أو تطوع لتقريظها علم من أعلام الكتاب

كنت ولا أزال أعتقد أن التقريظ جناية على العلم الصحيح ، وعلى ارتقاء الامة فى معارج العرفان . وها هى كتب المتقدمين خلو بالمرة ، من هذه البدعة حتى اذا تصوحت زهرة الآداب ، ظهر التقريظ ، فاعتمد حملة الاقلام على مجاملة الاصدقاء والخلان . حينئذ تهافت الناس عليه تهافتاً اختلط فيه الحابل بالنابل ، والغث بالسمين ، والتافه بالثمين . هذا التهافت هو الذى أفسد الاذواق ، فتبدل النفاق بالنفاق وكسدت أسواق الاوراق.

انما يكون التقدم بهجر التقريظ ومقاطعته ، وبالتعويل على النقد الحقيقى الذى قرره العلماء فى ايام تقدم الاسلاميين . وهو الذى عول عليه جهابذة أوروبا فى هذا العصر . وذلك أن يتوخى الكاتب اظهار ما فى الكتاب المعروض عليه من الحسنات وآيات البراعة ، مع الاشارة الى ما فيه من العيوب بغير تحامل ومن الواجب فى هذا السبيل التماس المعذرة فى بعض الاحايين ، والدلالة على طرق التوسع وشفاء الغليل

لو عاد قومنا الى منهاج السلف الصالح والصدر الأول ، لكان سعيهم محمود المغبة ، مشكور العاقبة . لاجرم اذن أن تعود المعارف فى ربوعنا الى بهجتها الاولى ، ونبنى على ما كانت أوائلنا

تلك الخواطر ، لو اشترك فيها النساء مع الرجال ، لكانت مقدماتها صحيحة القياس . وهذه المبانى ، لو تعاون الصنفان على اقامتها ، لكانت وطيدة الآساس

ولقد شمت اليوم بارقة الامل ، فأمسكت اليراع ، وأجريته على القرطاس ، لاشكر الثلاث : صاحبين من خيار الرجال ، تعززهما ثالثة يعتز بها كل منهما ، ولا فخر ، لانها فخر الاناث .

أمعنت النظر فى السلسلة الاولى من « النسائيات » التى صاغت حلقاتها يد لصاحبتها كما لأبيها ، ومن كمال بعلها ، أياد على الآداب والفضيلة . فلم أعجب من

صلاح ذلك الغرس الطيب ، وايناع هذا الثمر الشهى ، وقد تعهد تلك البذرة الصالحة المباركة ، الباسل « حفنى » فى أبان الصبا ، والمنصف « الباسل » فى ريعان الفتوة !

فيارعى الله ذاك القناع ، وذياك اليراع ! فقد برزت بهما تلك الفتاة فى مضمار الحياة . فأثبتت أن فى السوداء اناثاً يضارعن الرجال ، اذا هن أخذن بالعلم الصحيح والعمل النافع ، وتهيأت لهن الاسباب ، مع التمسك بأذيال الحشمة والكمال .

مرحى مرحى ! بـ « بملكة » ظهرت فى عالم الانس بين النساء ، فأكبرها الرجال . لانها أعادت لنا ذلك العصر الذهبى الذى كانت فيه ذوات العصائب يناضلن أرباب العمائم : فى ميدانى الكتابة والخطابة !

لو لم يكن للسيدة « ملكة الباسل » سوى انها أول من برزت فى هذه الايام بحجابها وآدابها ، لالقاء الخطب على اترابها ، لكفاها فخراً فى الا واخر أن اسمها سيخلد فى « كتب الاوائل » . إذ يقال انها من المجتهدات المجددات لأنها أول من أعادت الخطابة الى فريق من النساء ، بعد أن انطمست معالم هذه السنة ، منذ ست مئين من السنين . سنة أخذها الغرب عن العرب فارتقى ، وأهملها الشرق فانزوى ، وقعد بهن وبنا .

احياء هذه السنة على يد هذه الفضلى ، هو الذى حدانى الى كتابة هذين السطرين : لاطراء النساء ، لا لاطراء « النسائيات » . فهو كتاب ينطق بنفسه لصاحبته ، بل هو غنى عن التقريظ لرقة عبارته ، ولطف أسلوبه ، ولبسالة صاحبته بنوع أخص .

نسأله تعالى أن يكثر بين ظهرانينا من امثال أولئك الثلاث . فكل منهم فرد فى بابه ان شاء الله !

رمل الاسكندرية فى ٣١ أغسطس سنة ١٩١٠ — احمد زكى

السكرتير الثانى لمجلس النظار

جاءنا من حضرة الفاضل الشيخ حسين والى الاستاذ فى الازهر ومدرسة القضاء الشرعى

أباحثة البادية شكرانك فى البدو والحضر . فقد أرانى كتابك علم عائشة بنت الصديق وأدب سكينة بنت الحسين . واذكرنى عهد الحضارة الاسلامية وقد بدا كوكبها فى أفق المشرق . ذلك العهد المتقادم الذى تسابقت نساؤه ورجاله فى المعرفة فكان الفضل للسابق . كفضل هاتين السيدتين على غيرهما من نساء ورجال . لعمرك ماكان نبوغهما مقتضبا اقتضاباً . اذ كان من دونهما مراتب للرجال وللنساء مراتب متفاوتة بحكم الترقى والاستعداد ومستباحة بحق الاسلام فالزمان يومئذ زمان العدل والنصفة . والعلم يومئذ علم اليقين والتهذيب

(روى البخارى) عن أبى هريرة رضى الله عنه انه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول نساء قريش خير نساء ركبن الابل أحناه على طفل وأرعاه على زوج فى ذات يده

لقد بين النبى صلى الله عليه وسلم تاريخ المرأة العربية التى كانت تركب البعير فى البادية (فقال) انها كانت تحنو على طفلها وتحفظ مال زوجها . والحنو الصحيح هو التربية الصحيحة . وحفظ مال الزوج هو الاقتصاد فيه ولا يكون ذلك الا بعد العلم بوجوه صرفه ووضع الشىء فى موضعه . والحكمة كل الحكمة فى تربية الطفل وحفظ المال فان فى هذين الامرين عمران الكون وبهجته — المال والبنون زينة الحياة الدنيا

(وقال) ان المرأة القرشية أحنى على طفلها واحفظ على مال زوجها من العربية الاخرى . فالقرشية أفضل من غيرها لهذه المزية لا لشىء آخر . فالفضل انما هو بالعلم والعمل

أثنى النبى صلى الله عليه وسلم على نساء العرب بما أحرزن من فضيلة توافق زمانهن وغير زمانهن ورفع القرشيات عليهن درجة كما هو شأن البيوت العالية

فى كل جيل . فان أهلها يفوقون غيرهم فى كثير من الامور

فالنبى صلى الله عليه وسلم يأمر أمته أن تجرى على هذا السنن سنن العمران والسعادة

ففى الحديث اشارة الى بيان أساس البيت الذى تتألف منه القرية والبلد والمصر والقطر والمملكة

وفى الحديث اشارة الى بيان نصيب المرأة فى الحياة الدنيا وان قسمتها ليست قسمة ضيزى

وعلى ذلك درج الناس فى القرون الاولى من الاسلام . ثم خلف من بعدهم خلف أزلوا المرأة من مكانتها وبخسوها حقها . والله يقول ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولا تعثوا فى الارض مفسدين

ولما قهروها وضموا حقها الى حقهم ضعفوا أن يؤدوا الحقين فوقعوا فى الحرج . فلما استحكمت حلقات الازمة أخذوا يفكرون فى الخروج من هذا المأزق فكان كل امرىء منهم يرى رأيا حتى كثرت الآراء واختلطت الامور واظلمت الآفاق وطمست الطرق

رويدكم أيها الناس فهذا (كتاب النسائيات) يبين لكم الجادة من مكان قريب ويقول ان الله يأمركم أن تؤدوا الامانات الى أهلها واذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل ان الله نعما يعظكم به

أباحثة البادية قرأت كتابك فأنبأنى ان الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والارض فأخذ الناس يهتدون بهدى الفطرة وأنسانى أسفى على عبث الرجال بنصف الامة . واخبرنى أن التاريخ يعيد نفسه فتستوى المرأة والرجل رغم انف الجاهلين

اباحثة البادية قرأت كتابك فأنشدت قول ابن هانىء

ولو جاز حكمى فى الغابرين وعدلت أقسام هذا الورى

لسميت بعض النساء الرجال وسميت بعض الرجال النسا

أباحثة البادية قرأت كتابك فألقى فى روعى ان أكون مستقل الرأى كما أعرف من نفسى . واذن لى ان أدخل باب الكلام متأدبا كما تعودت. والا تعرض الا الى العظيم من الامور . فان ائتلف الرأيان فالخير فى الائتلاف وكفى الله المؤمنين القتال . وان اختلفا فهذه عادة الناس فيما هو من عندغيرالله ولا يزالون مختلفين الا من رحم ربك . وربما كان الاختلاف مبدأ الائتلاف . وعند ذلك لايشين السبب المسبب (كما لايشين الكلف البدر)

رأيت فى المقالة (١) ان المرأة الحاضرة تفهم معنى الحياة أكثر من الغابرة لان ذلك مقتضى سنة الله فى رقى الزمان

ولكن المرء اذا زاد علمه عرف وجوها كثيرة من النفع . ووجوها كثيرة من الضرر . فاذا كان العلم غير صحيح لم تهذب النفوس فلا تكون المعاملة بالحسنى وقد يكون الضرر أكثر من النفع . فالجهل البسيط خير من الجهل المركب

ورأيت فى المقالة (٢) انه لايجوز أن تلبس نساؤنا كلباس الراهبات المسيحيات لانه وان أباحه الدين بضرب من التأويل يضيع تاريخ نسائنا ويذهب مميزاتهن وذلك يمنعه الدين بضرب من التأويل . واذا دار الامر بين الاباحة والمنع فدرء المفسدة مقدم على جلب المصلحة والاحتياط فى الامور أولى فينبغى ان تبقى النساء على لباسهن لباس الجو والعشيرة ويقتصدن فيه اقتصاداً لائقا واذا زادت نفقته فالزيادة يسيرة ومثلها يمكن تحمله بلا ضرر

ورأيت أن خروج نسائنا سافرات مضر عند عدم التهذيب ومبدأ ضرر عند كمال التهذيب

ورأيت ان خلاف أئمة الدين فى مسألة السفور لايكون الا عند أمن الفتنة حالا ومآلا . فان خيفت الفتنة فلا خلاف فى أن الواجب عدم السفور

يزعم الناس أن علم أوروبا كامل ولست ازعم ذلك لانه لم يمنع الفساد المترتب على السفور والمخالطة فهو فى الحقيقة علم ناقص

ورأيت فى المقالة (٣) ان المتعلمين من اهل مصر أكفاء للمتعلمات من أهلها لان الدرجات متقاربة . ولا يضر التفاوت اليسير . والكلام فى كفاءة التربية

ورأيت ان اقتباس الادب من دار الخلافة ضرورى فيلزم ان يجاء بطائفة من المعلمات للتربية كما جئ بمعلمين ومعلمات من جهات أوروبا الاخرى لنأخذ من كل جهة ما نحن فى حاجة اليه . واذا أمكن ارسال طائفة من النشء الى هناك فلا بأس ولكن على شريطة ان يكون معها من يقوم بأمرها ويراقب أخلاقها التى تريدها وذلك لايذهب بنا الى عقدة النسب فانى لا أجيز النسب من عنصرين مختلفين يؤخذ على أحدهما شئ الا عند الحاجة الشديدة فان العرق دساس

ورأيت فى المقالة (٤) انه يجوز لبعض المتعلمين ان ينأى عن ناقصة العلم والتربية الا اذا استطاع أن يقوم من أودها بحكمته . وان كامل التهذيب يستطيع ذلك فاذا قصر فهو نصف رجل . ومن أراد سعادة قومه وكان ذا عزيمة امكنه أن يختار جاهلة لايصعب تعليمها فيتزوجها ثم ينشئها بالتعليم خلقا جديداً . فالمدرسة تعلم من ناحية والرجال فى بيوتهم يعلمون من نواح أخرى ما تمس اليه الحاجة فتكثر المتعلمات فى وقت قريب وان كان بعضهن أكمل تربية من بعض

ورأيت فى المقالة (٦) انه ينبغى أن يتراءى الرجل والمرأة قبل الزواج فى حضرة بعض المحارم فترى المرأة من الرجل هيكله العادى ويرى الرجل منها مثل ذلك ووجهها وكفيها ويحادثها وتحادثه حتى ينجلى الامر فان ذلك نموذجها وكثيراً ما يكون النموذج صادق المخبر — واذا جاز للرجل أن يرى وجهها وكفيها بلا داع عند بعض أئمة المسلمين فالاولى أن يرى ذلك عند خطبة الزواج مع الاحترام — هذه سنة اسلامية معقولة وفى العمل بها انقاذ الامة من وهدة الشقاء فان الطلاق قد ينشأ عن قبح الذات كما ينشأ عن قبح الخلق

وهناك صنف من الناس تدور عصم نسائهم على ألسنتهم فيحلفون بالطلاق كثيراً ويعلقون الطلاق على أمور منها اليسير والخطير وربما لم يكن لها ارتباط بالمرأة البتة وكم من نساء ذهبن فى سبيل هذه البدعة وأصبحن مطلقات بلا ذنب وبلا علم وأمسين مسهدات يندبن حظهن وهن يزعمن فيما يزعمن أن الشريعة تبيح ذلك الطلاق فيكتمن مافى أنفسهن ويتكلفن الصبر فيما بعد — حاش لله أن يأذن فى ذلك فما كان الله ليعبث بخلقه ويتركهم يجهلون ولا يقفون عند حد محدود

ذلك الطلاق ضلالة يتبرأ منها الدين ولم يحصل نظيره فى عهد النبوة والخلافة. فهو طريقة باطلة . وشريعة عاطلة فيجب على المسلمين الا يأخذوا به ويجب على ولى الامر ان يضع للناس حداً فى الطلاق كما وضع حداً فى بيع السلعة الحقيرة عملا بحديث (انما البيع عن تراض)

ورأيت انه يجوزان يكون أحد الزوجين غنياً والآخر فقيراً مع العفة والمعروف

ورأيت ان الاولى فى هذا الزمان ان يتعاون الناس على مقاومة الجهل من جميع النواحى ومن ذلك أن يتزوج العالم جاهلة وتتزوج العالمة جاهلا لان شأن العلم النفوذ فهو يسرى من المرأة الى الرجل كما يسرى من الرجل الى المرأة

وربما كانت هذه الطريقة عند المصلحين أولى من كون الزوجين عالمين ابتداء فان المتعلمات الآن أقل عددا من المتعلمين ولا سبيل الى تعليم الجاهلات عند الكبر الا زواجهن من المتعلمين والعلم فريضة على الامة كلها فهى متضامنة فى ذلك

ورأيت فى المقالة (٧) انه يجوز ان يجمع الرجل بين زوجين فأكثر عند الحاجة الشديدة وظهور المصلحة فى ذلك والقدرة على ارضائها أو ارضائهن جهد استطاعته على شرط أن يكون الجمع أخف من مفسدة تركه وان بعض الكبراء فى مصر يغش زوجه ويخدعها بعدم زواجه عليها ويريها انه لها ثم هو يأتى المنكر من حيث لاتدرى وربما رضيت ان يأتى المنكر ما دام ممتنعا من زواج غيرها — الغش ظلم والرضا بالمنكر ظلم وما هذان الا من الجهل وعدم المروءة . وذلك

ظلم . ظلمات بعضها فوق بعض اذا اخرج يده لم يكد يراها ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور

ان الله أباح للرجل زوجا فأ كثر ولـكنه حظر الظلم فقال فان خفتم ألا تعدلوا فواحدة . ومشى الناس فى صدر الاسلام على ذلك ثم أصبحوا فوضى فى أمر الزواج فترى الرجل يتزوج المرأة قادراً على حاجاتها وغير قادر ويتزوج أكثر من واحدة قادراً على العدل وغير قادر فوقع كثير من الامة فى البلاء والعذاب الاليم — كل هذا لان الامة لم تعمل بوصية الله ورسوله فى النساء .

ولو كان أمر النساء سهلا ما قصد اليه النبى صلى الله عليه وسلم فى أمهات المسائل التى ذكرها فى حجة الوداع ثم مات على ذلك

ان محمدا النبى العربى والرسول الأمى كان يحترم المرأة كثيراً . كان يحترمها أكثر من احترام الافرنج الآن

فياقضاة الاسلام اعملوا بتلك الوصية واضربوا على أيدى الرجال حتى لايتزوج الرجل واحدة الا باذن القاضى بعد علمه بالقدرة والمصلحة ولا يتزوج أكثر من واحدة الا باذن القاضى بعد علمه بالقدرة والمصلحة والعدل

ما بال الناس ينظرون الى المسألة من جهة الجواز ولا ينظرون اليها من جهات المنع . هذه مغالطة فى الدين أو جهل . وكلاهما لايجوز

ورأيت فى المقالة (٨) انه يجوز زواج البنت عند بلوغها اذا كان فى ذلك مصلحة ظاهرة يدوم أمرها وعلى مثل ذلك يحمل حديث تعجيل الزواج

وان الاوفق مراعاة اتحاد الزوجين فى السن أو تقاربهما خشية الضرر عند التباين الشديد

ورأيت فى المقالة (٩) ان أهل مصر الآن خليط من العرب والفراعنة وغيرهم. وليسوا خليطا من العرب والفراعنة فقط فالقشرة الطبعية موجودة كالقشرة الصناعية الحاصلة بسبب الجهل والغش

ورأيت ان كثرة التعرض للشمس تضيع حسن اللون وربما جعلته ضاربا الى السواد

ورأيت فى المقالة (١٣) ان تهديد الرجل امرأته بالطلاق او تهديد المرأة الرجل بالخروج من بيته

لايجوز ما دام هناك رجاء فى البقاء سواء أكانت الاسباب قوية أم ضعيفة فان مثل ذلك التهديد يلفت الذهن الى أمر الانفصال فيقربه وتلك بدعة فى الدين لم تكن من اخلاق الاولين

ورأيت فى المقالة (١٤) انه لايليق بالرجل ان يتزوج المرأة لمالها لانه لو تزوجها لمالها فقد تزوج مالها ولم يتزوجها فالمال عنده هو المقصود والمرأة غير مقصودة وليس ذلك سر عقد الزواج الذى يطلبه الدين

اذا تزوج الرجل المرأة لمالها فقد تنازعا فيه فيهزم الرجل لانه غير محق فان كان غنيا بالطمع رجع فقيراً بالهزيمة — أما اذا صادفته الغنية ولم يقصدها لمالها فهو عند حده ولا يعدم معروفا يناله من حيث لايحتسب

(روى البخارى) عن ابى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال تنكح المرأة لاربع لمالها ولحسبها وجمالها ولدينها فاظفر بذات الدين تربت يداك

ورأيت فى المقالة (١٥) ان عمران الكون لايحصل الا بالنسل وهو أمر طبعى يقهر الانسان وسائر الحيوان فالرجل معذور ان يتزوج على امرأته التى فقدت ولديها وربما قوى عذره انها عجوز فى الغابرين مثلا ولكنه غير معذور ان يفاجئها بالزواج فى حين المصيبة فلكل منهما حق والمخلص أن يتزوج بحيث لاتعلم امرأته الثكلى بالزواج

ورأيت أن للرجل أن يتزوج على زوجه لاجل انجاب الذكور فانهم اقوى عملا وأكثر نفعا من الاناث فلاجناح على الرجل أن يقصد الى ذلك وتمام مأربه بيد الله وحده

ورأيت فى المقالة (٢٠) ان من احط الاخلاق واكبر الآثام أن تسعى المرأة فى طلاق المرأة لتحل محلها أو يسعى الرجل فى طلاق امرأة غيره ليتزوجها مثلا فان ذلك من هدم المصالح الثابتة . ووقوع ذلك من بعض الاقربين منتهى الفظاعة ويكاد المرء يعتقد أن الله لايغفره . ولا شك أن الساعى فى الطلاق هو الذى اجترح السيئة اولا واليه ينسب الاثم وان شاركه غيره فى ذلك

(روى البخارى) عن ابى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال لايحل لامرأة أن تسأل طلاق اختها لتستفرغ صفحتها فانما لها ماقدر لها

ورأيت فى خطبة نادى حزب الامه أن مزاج الرجل اكمل من مزاج المرأة وكذلك المذكر والمؤنث من بقية الحيوان ومما يشهد على ذلك التشريح والاعمال الظاهرة فى كل جيل وقد تغلب الرجل على المرأة من سالف الزمان الى الآن وبذلك اخذت الطبيعة حقها واستوفت عملها . وقد حكم الله فى كتابه أن الرجل مسيطر على المرأة فقال الرجال قوامون على النساء

(وروى البخارى) عن انس رضى الله عنه انه قال كانت أم سليم فى الثقل وانجشة غلام النبى صلى الله عليه وسلم يسوق بهن فقال النبى صلى الله عليه وسلم يا أنجش رويدك سوقك بالقوارير

لاى شئ شبه النبى صلى الله عليه وسلم النساء بالقوارير ماذلك الا لضعفهن ولطافتهن فهن الجنس اللطيف وهن محل عناية الرجال فالرجال اقوى منهن ومسيطرون عليهن

ان الرجل يتعلم مع المرأة فى مدرسة واحدة فى أوروبا وينقطعان الى دروسهما ثم بعد اتمام سنى المدرسة يخرجان وقد يوفقان للفراغ والتفكير فترى الرجل يخترع الاشياء وترى المرأة لاتخترع

وقد تصل المرأة الى ماوصل اليه الرجل فى العلم والعمل ولكن بعد اللتيا

والتى وبعد أن تخرج عن طورها وسنتها الطبعية فهى فى ذلك الوقت رجل لا امرأة والطبيعة حاكمة بالقسمة فقسم رجال وقسم نساء (فلا يغيرن خلق الله)

ان مساواة المرأة الرجل فى بعض الاحيان أمر عارض لأمر جبلى (والفرق مثل الصبح ظاهر)

وعملا بمقتضى الطبيعة وحفظا للصحة يلزم ان تتعلم المرأة فى المدرسة والمنزل مايلائم درجتها لاغير

نحن لانجد فى تاريخ المرأة مايجعلها فى صف الرجل . فلا يجوز ان تسمو الى رتبته تماما الا اذا شذت عن فطرتها

وان آدم عليه السلام سيق بطبيعته الى جلب المعاش وحواء سيقت بطبيعتها الى سكنى البيت وتدبيره (وفرمان) الطبيعة فرمان من الله مقبول ومعقول

والمرأة القروية أقوى من الحضرية ولكنها دون درجة الرجل ولو نشأت مع سباع البادية

والمادة الثانية من المواد العشر التى فى آخر الخطبة تظلم السيدات فاناشاهدنا آثار الضعف فى كثيرات ممن يتعلمن التعلم الثانوى . فلا بد من معارضة هذه المادة حتى لاتكسر (القوارير)

ولا بأس أن تلزم طائفة من النساء هذا التعلم الثانوى ليقمن بفرض الكفاية فى تعليم البنات ويكون ذلك من قبيل (قتل الثلث لاصلاح الثلثين) اقول ذلك مازحا ولا اقول الا حقا

ورأيت فى خطبة المقارنة بين المرأة المصرية والمرأة الغربية ان بعض الامراض العصبية لايزول الا بضرب من الموسيقا فيجب على الطبيب أن يعرف ذلك كما قال ابن سينا وبعض نغمات الزار تصلح لذلك ولكن اصبح اثم الزار اكثر من نفعه فالواجب محاربة الزار وقيام الطبيب بما يلزم

ورأيت أن الرجل أخذ المرأة بامانة الله وان الخيانة فى الامانة حرام

ومفسدة خطيرة

(روى البخارى) عن ابى هريرة رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره (واستوصوا بالنساء خيرا) فانهن خلقن من ضلع . وان اعوج شئ فى الضلع أعلاه فأن ذهبت تقيمه كسرته وان تركته لم يزل اعوج (فاستوصوا بالنساء خيرا)

ورأيت فى الكتاب بعض مؤاخذات عربية تجرى على ألسنة كبار الكتاب عند التسرع لاعند التأنى واليقظة

مثل عبارة (يسبى ربات الحجال بما فيهن المحصنات) فى الصفحة (٤) والعربى يقول (وفيهن المحصنات)

ومثل عبارة (لاتتفق مع الدجاج) فى الصفحة (٦) والعربى يقول (لاتتفق هى والدجاج)

ومثل عبارة (فقد لايطابق الحقيقة) فى الصفحة (٨) والعربى لايدخل (قد) على فعل منفى

ومثل عبارة (لابد وأن ينتج) فى الصفحة (١٤) والعربى يقول (لابد أن ينتج)

ومثل عبارة (بسبب الوساخة) فى الصفحة (٢٠) والعربى يقول (بسبب لاتساخ) فليس فى اللغة العربية (وساخة)

ومثل عبارة (وحب القديم حتى ولو كان مضرا) فى الصفحة (٢٤) والعربى يقول (وحب القديم ولو كان مضرا)

ومثل عبارة (ويحسدون بعضهم البعض) فى الصفحة (٣٠) والعربى يقول (ويحسد بعضهم بعضا)

ومثل عبارة (ضمنى مجلس بصديقتين) فى الصفحة (٣٧) والعربى يقول (ضمنى مجلس وصديقتين)

ومثل عبارة (أو التنازع على السلطة) فى الصفحة (٤٣) والعربى يقول (أو التنازع فى السلطة)

ومثل عبارة (ويسنون النظام لصالح بنى البشر) فى الصفحة (٤٨) والعربى يقول (لمصلحة بنى البشر)

ومثل عبارة (تنغيص الآخر له) فى الصفحة (٥١) والعربى يقول (تنغيص الآخر عليه)

ومثل عبارة (اذا كان اساءها) فى الصفحة (٥٤) والعربى يقول (اساء اليها)

ومثل عبارة (فسيان ان يعتبره قوم للمنفعة وحدها أو للشهرة) فى الصفحة (٦٧) والعربى يقول (وان يعتبروه للشهرة)

ومثل عبارة (سواء كانت فى الاطفال أو الكبار) فى الصفحة (٨٧) والعربى يقول (سواء أكانت فى الاطفال أم الكبار)

ومثل عبارة (لعمار) فى الصفحة (٩٦) والعربى يقول (لعمران)

ومثل عبارة (لقلت) فى الصفحة (٩٧) والعربى يقول (قلت) لان اللام لا تدخل على جواب (اذا)

ومثل عبارة (الصدف) فى الصفحة (١١٠) والعربى يقول (المصادفات)

ومثل عبارة (واخبار علانة) فى الصفحة (١١٥) والعربى يقول (واخبار فلانة)

ورأيت فى الكتاب بعض مؤاخذات املائية لا تخفى على الكاتب . وربما كانت من المطبعة

ا باحثة البادية احسنت فكرا وكتابة كما يحسن الا كثرون بيد انك سابقة السيدات فى ميدان الاصلاح . وتلك مزية لو نالها رجل لكان له شأن فى هذا الزمان فليكن شأنك اعظم . وثناؤك أزم . ولا يصرفنك بعض ما جرى به قلمى فما أخذت عليك الا كما يأخذ استاذ الانشاء والشؤون الاجتماعية . لا كما يأخذ الناقد المثبط . وانى أرتقب يوما أرى فيه أثرك وقد دل على الكمال الذى

تحاولين ونحاول

واذا رأيت من الهلال نموه أيقنت انه سيصير بدرا كاملا

القاهرة فى ١٤ شعبان سنة ١٣٢٨ و ١٩ أغسطس سنة ١٩١٠

(حسين والى)

جاءنا من حضرة النطاسي الفاضل الدكتور شبلى شميل

سيدى الاستاذ الفاضل . حفنى بك ناصف المحترم .

أشكرك على النسخة التى تفضلت على بها من مقالات النسائيات لحضرة الفاضلة باحثة البادية . وقد طالعتها معجبا بعلم صاحبتها . ودقة نظرها . ولاسيما أقدامها فى مجتمع لا يزال يعد الخروج فيه عن المألوف مهما كان شأنه . بدعة مذمومة . مما دل على ان علمها الواسع لم يبق فى رأسها عقيما . كما هو الحال فى رءوس أكثر رجالنا حتى اليوم . ولم أقل نساءنا لئلا أبخسها حقها من الفضل المتقدم بين اترابها . وهن غالبا كما هن . شطر عاطل فى جسم اجتماعنا

فباحثة البادية بين النساء المصريات بل المسلمات بل الشرقيات عموما . لا يقل فضلها فى الضرب على مساوىء الاسرة عندنا والحض على وجوب تعليم المرأة لتحرير عقلها وتقويم اخلاقها بالعلم الصحيح . عن فضل قاسم أمين فى وجوب تحريرها . وان كانت لم تطلب لها هـذا التحرير الى الغاية القصوى مثله . لانها لم تطلب الغاء الحجاب بالكلية . وهو رأى فى نظر البعض وجيه . أولئك الذين يقولون أن الطفرة محال ويخشون الانتقاضات العنيفة فيطلبون الاصلاح بالتؤدة واللين خوفا من ان تصعيب المطلب يحول دون بلوغه . وان كان نظام الاجتماع لا يستغنى أحيانا عن الثورات العنيفة اذا اشتدت المقاومة فى الاحوال الراسية لطول العهد كنظام الطبيعة نفسه حذو القذة بالقذة . ومهما يكن من ذلك . فان رأيها هذا فى نظرى . لا ينافى رأى الطالبين اليوم السفور المطلق . وما هو الا حذر لفظى لان رفع الحجاب المعنوى عن العقل . لا بد ان يؤدى

الى رفع الحجاب الحسى عن الجسم . كما ان طلب رفع الحجاب الحسى دفعة واحدة لا يرضى به حتى المحجوب نفسه اذا لم يرفع حجاب الجهل عن عقله أيضا . وكأنها فى ذلك . سلكت مسلك دارون نفسه فى العلوم الطبيعية اذ حصر الخلق فى أصول قليلة تفرعت منها الانواع الكثيرة بعد ذلك بالنشوء والتحول حذرا من تصعيب المطلب على أصحاب الخلق أنفسهم . ولكن ذلك الحذر لم يمنع معتنق مذهبه المعتقدين صحته من اطلاق ناموس النشوء والتحول على الطبيعة كلها . لانه اذا صح النشوء للبعض . لا يفهم لماذا لا يصح للكل . فتحرير العقل الى الغاية القصوى لا يتم بدون تحرير الجسم الى الغاية القصوى أيضاً . فطالب تحرير المرأة لا يسعه ان يطلبه من جهة واحدة والا فكأنه لم يطلبه . ولذلك أعتبر نسائيات باحثة البادية . ككتاب تحرير المرأة لقاسم أمين . فى النتيجة المترتبة عليها ومقامها بالفضل المتقدم بين النساء . كمقامه بين الرجال فى الاسلام اليوم وفى يقينى ان الاسلام لم تحرك فيه حتى اليوم مسألة اجتماعية أهم من المسألة التى نحن بصددها والفضل فى ذلك لمصر وحدها ولابناء مصر .

* * *

ليس الغريب أن مسألة المرأة فى الاجتماع شغلت الناس فى كل العصور ولا تزال شغلهم الشاغل حتى اليوم فى كل المعمورة فهى من مقومات الاسرة التى هى أساس الاجتماع بل الغريب انها مع بساطتها لم يسهل الاتفاق فيها وذهب الناس فيها مذاهب وكتبوا فيها مالو جمع لضاق عنه الحصر . كأنها من المسائل اللاهوتية العويصة . لان أكثر الباحثين جعلوها كذلك مع انها من المسائل الطبيعية البسيطة التى لا يجوز أن يختلف فيها اثنان لولا ذلك . ولا نظن أن منشأ هذا الاختلاف خاص بقوم دون آخرين . وبصقع دون آخر . بل هو عام جميع المعمورة . وكائن من أول التاريخ الى اليوم فى أشد المجتمعات البشرية انحطاطا . وفى اكثرها ارتقاء على ضروب متنوعة . فلا بد أن يكون لذلك

سبب عام هو أصل كل الاختلافات التى رويت فى شأن المرأة والتى لا تزال موجودة حتى الآن.

فالمرأة منذ القديم مظلومة مهضومة الجانب من الرجل لانه أقوى منها وهى مظلومة فى كل الشرائع دون استثناء لأن واضعيها رجال . حتى أن بعض هذه الشرائع انكر عليها النفس . أو بالحرى حتى جاز لاتباعها فى عصر من العصور أن يتباحثوا فى ما اذا كان للمرأة نفس — وهكذا استبد الرجل القوى الخشن بالمرأة الضعيفة الجاهلة فحرص عليها الفقير حرص المالك على ملكه النافع له واستخدمها احيانا كما يستخدم الحيوان ولكنه لم يكن يضن بها كما كان يضن به . لان الحيوان بثمن وهى بلا ثمن غالباً ولم يستمسك كثيراً بالحجاب لأن الفقر كان يطفئ فيه آياته الشهوانية . وحرص الغنى عليها حرص غيرة فدفنها حية فى قبور من القصور وكفنها باكفان من الحجاب . حتى اذا برزت من خدرها مشت متثاقلة كالبرميل الموشح . وهى تهتز على محورها وتتعثر بظلها — ولم يعدم الشعراء من خيالهم تصوراً للتغنى بهذا الشبح — وغار عليها من النسيم لئلا ينقل الى سواه شذاها . وحتى من النور لئلا تمتد الابصار به الى مرآها فاذا مات وئدت معه حية . كأنها متاع له لا يجوز أن ينفصل عنها أو كانها جزء منه . ولكنه يجوز له أن ينفصل عنها واعتبرها بذلك أحط من الحيوان الذى كانوا اذا غالوا فى القسوة عليه ربطوه الى جانب القبر حتى يموت . وهى قبلت بذلك مرغمة بالقوة مستسلمة للجهل حتى حسبت كل ذلك واجباً عليها وحقا له

والمرء ان ما اعتاد متربة   فان تصنه فهو يمتهن

حتى قتل الترهل قواها الجسدية وقتل الجهل مواهبها العقلية والرجل يحسب انه بذلك صانها وصان نفسه بها وما صان فيها إلا جهله اذ المرأة مرآة الرجل جاهلة فجاهل وعالمة فعالم وما صان الجهل آدابا ولا أوصد ابواباً ولا أعز أمة وامنع حجاب توسيع العقل بالعلم الصحيح وتقويم الاخلاق بالتربية القويمة

واكفل كافل الاختبار بالنفس لصيانة المصلحة فالذى قياده بيده أمنع جداً اذا امتنع ممن قياده بيد سواه

فالحجاب بقية باقية من ضروب الظلم التى حاقت بالمرأة من أول عهد التاريخ الى اليوم والحجاب على المرأة المسلمة الى الحد المألوف اليوم من غير تخريج أو تأويل لا تقبله العقول الناضجة أيا كانت . وهو سبب عيوب الاسرة الشرقية عموماً . والمصرية خصوصاً التى قامت باحثة البادية تنبه اليها فى نسائياتها طلباً لاصلاحها . واى دليل أوضح على أن فساد الاسرة هذا انما هو من مقام المرأة فيها المنافى للطبع . إذ الحرية المتبادلة فى نظام الطبيعة حق طبيعى لا يجوز أن تسلبه حتى ذرات الجماد . والا كانت اعمال الطبيعة أدعى الى الخراب منها الى العمار . وهى فى الاجتماع البشرى حق واجب بل ضرورى أيضاً . لأن المرأة فيه شطر من شطرى جسمه . فاذا سلبت المرأة الحرية عرج الاجتماع ومشى على رجل واحدة . وفيها قيد أيضاً اذ تصبح المرأة حينئذ عالة عليه عوضاً عن ان تكون عونا له . ولا حاجة بنا الى اطالة البحث لوضع المقدمات المركبة لاستخراج النتائج البسيطة . فان علم المقابلة البسيط يغنينا اليوم عن كل ذلك . ولا اقل من ان نقابل بيننا وبين الامم الراقية لنقف على الفرق الجسيم بين مجتمع المرأة فيه مدرجة حية فى الاكفان مدفونة بين الجدران عقلها محجوب عن انوار علوم الاختبار كما حجبت حواسها عن نور الطبيعة وبين مجتمع ترى المرأة فيه على ضد ذلك ونقابل فقط بين اطفال الامرأتين فى مجتمعنا ومجتمعهم فاين قذارة اطفالنا من نظافة اطفالهم . وسقم اطفالنا من صحة أطفالهم ورعونة اطفالنا من رصانة اطفالهم حتى ان صبيانهم ليفوقون رجالنا فى العزائم . فيشبون على الجد والعمل ونشب نحن على السخافة والكسل فيستطيلون بايديهم الى كل عمل نافع ونستطيل نحن بالسنتنا الى كل دعوى فارغة واذا دمغتنا الحجة اخذنا نفتش على عيوبهم الجزئية لنستر بها عيوبنا الكلية . غير ناظرين من خلال ذلك الى

ارتقائهم وانحطاطنا وتقدمهم وتقهقرنا السحابيين . وما كان هذا الارتقاء لهم يوم كانت المرأة عندهم مسلوبة الحرية محجوبة عن نور العلم فقد كانت مظلومة كذلك عندهم وان لم تكن محجبة كما هي عندنا فان ضروب الظلم كثيرة

واغرب من كل ذلك ان مثل هذه الدعاوى الفارغة التي نطمئن اليها . تجوز على كثيرين ممن هم في مقام القادة أو أن البعض يجيزونها نفاقا يجعلونه طعاماً على رؤوس صنانير اغراضهم لاصطياد اغرارنا به والادهى محاولة البعض من هؤلاء واولئك اخراج البحث في الموضوع من وجهته الاجتماعية الى وجهة دينية بحسب اهوائهم وعلى قدر افهامهم . وما يقصدون بذلك الا ازالة التكافؤ من بين المتباحثين لينقلوا الكلام من ان يكون بين الناس بعضهم مع بعض الى ما بينهم وبين الله لعل المعارض يجبن ويكون صمته عونا على تأييد ما يدعون كما يفعل منتقدو الزهاوى وقد يظن بعض السياسيين انهم يأتون ذلك عن حكمة ليدفعوا عنهم شر الجهلاء كما فعلت الحكومة العثمانية الدستورية اليوم اذظنت انها تملك قيادة الجهلاء وهم لا يملكهم الا اقامة العدل الصحيح ومن ورائه السيف حتى يقره العلم ، فتزلفت اليهم بأنها منعت نشر أفضل كتاب في الاسلام لاعظم مصلح من المسلمين وهو كتاب تحرير المرأة لقاسم أمين وما أشبه سلوكهم في هذه المسألة بسلوك عرابي اذ قام يتبرك بالحجب . ويلبس المسابح ليتقرب الى العامة وهو يحسب ان النصر له من ورائهم وما كان له من ورائهم الا الفشل وهم بعلمهم هذا اليوم . أبعدوا غاية الدستور عنا أجيالا غافلين عن ان التنازع حولنا اليوم شديد

***

قد يقول بعض الذين ينظرون الى الاشياء مجردة ان الاسلام ارتقى في الماضي وما كان حجاب المرأة عقبة في سبيله . وهؤلاء لو نظروا الى الاجتماع كما ينبغي أن ينظر اليه أي بنظر المقابلة . لعلموا ان المرأة كانت في تلك العصور متناسبة

فى الظلم فى كل المعمورة ولم يكن بينها هذا التباين الشديد الذى نراه الآن
فالمرأة الغربية لم تكن أفضل من المرأة المسلمة فى تربيتها وفى علمها . وأما اليوم
فيستحيل ان يتم للمسلمين ماتم لهم فى الماضى مع سائر الامم بسبب هذا التباين
واذا طال جمودهم على حالهم هذه ولم يجاروا جيرانهم فى كل شئ كان مصيرهم الى
حيث تقضى سنة التنازع بين المتنازعين غير الاكفاء

على أن النهضة التى قام بها قاسم أمين مندسنين قليلة وتلته فيها باحثة البادية
والتى نراها تتجسم اكثر فأكثر كل يوم كما يدل تكاثر الباحثين فى الموضوع
وميل الاكثرين منهم الى شد ازرها ولا سيما فى هذه الآونة الاخيرة تبشرنا
بأن مساعى المصلحين وان لم تظهر نتائجها العملية فى المسلمين اليوم فسوف
لايمضى زمن قصير حتى تجنى منها الاجيال القريبة كل الفوائد المطلوبة اذ تكون
الرؤوس البالية بما فيها من الافكار المتعفنة قد انقضت — والعادات دين
ثان — فتشب الرؤوس الجديدة على المبادئ الجديدة الموافقة لمصلحة الانسان
المشتركة فى العمران والمتغيرة بحسب روح كل عصر طبقاً لاحتياجات كل زمان عملا
بسنة الارتقاء وغلبة الاصلح . والعلم الصحيح أى العلم الاختبارى دين أيضاً

واقبل أيها الاستاذ الفاضل فائق احترامى ؟

الدكتور
شبلى شميل


انتهى





مجموعة مقالات نشرت في الجريدة فى موضوع

المراة المصرية

بقلم

باحثة البادية

﴿ الجزء الثانى ﴾

يطلب من المكتبة التجاريه الكبرى باول شارع محمد على بمصر

لصاحبها مصطفى محمد

مطبعة التقدم بشارع محمد على بمصر

بين كاتبتين (١)

(١) نشرت في الجريدة والمحروسة

باحثة البادية والآنسة مي

الى باحثة البادية

ترنمت باسمك قبل أن أعرفك ، واتخذت ذكرك عنواناً لنهضة المرأة المصرية قبل أن أطالع مقالاتك لأن أصوات الجمهور قد اتفقت فى الثناء على فضلك . غير انى عثرت بالامس على مجموعة كتاباتك النفيسة فانحنيت عليها ساعات طويلات فيها خيل لى انى اقلب صفحات نفسك المفكرة المتوجعة

ثلاث سنوات مضين ، وتلك المجموعة محفوظة بين دقات المكاتب أو مبعثرة بين الأوراق والاسفار المتراكمة يوماً بعد يوم . لكن سرها ما زال مترقباً يداً تلمسه مستعداً لمناجاة نفس تتلمسه

سنوات ثلاث فيها مشت البشرية خطواتها المعدودات متعثرة بالعظام والجماجم ، منشدة أهازيج النصر الكاذب وتهاليل الفخر الباطل ، وقواها الغالية تسيل على شفار السيوف ، ودماء حياتها تجرى أنهاراً فى سهول قد أخفت نجمها الجميل وثمراتها الممتعة خوفاً من وحشية الانسان

سنوات ثلاث فيها شعرنا بارتداد صدمات السياسة والاقتصاد والاطماع المتزايدة . فيها ارتفعت دويلات جادة مجتهدة وتهشمت أعضاء تركيا العظيمة بتاريخها الضعيفة باهمالها وتهاونها . وقد جاش لذلك كل مافى صدر الاسلام من النخوة القديمة وبكت له قلوب الغيورين على مصالح بنى عثمان

كل ذلك ومصر مصر بكآبتها وانعطافها واندفاعها . كل ذلك ونحن هائمون على وجهنا فى صحراء الفوضى . صخور التقاليد القديمة تدمى اقدامنا الجديدة ، واشواك الاصطلاحات تجرح أيدينا الممتدة للمس أشياء نظنها موصلة إلى حياة نريدها عظيمة . والسراب الجميل اللامع فى حدود المستقبل غير المحدود يستدعينا

آمراً كأنه نظرة عين فتاة ، فنجرى فى الصحراء ولا ندرى إلى أين المصير !

سنوات ثلاث مررن على يوم فيه ارتفع صوتك مرشداً عائلتنا لا تزال على ماكانت عليه ، وافكارنا لم تتغير إلا قليلا ، وعواطفنا ما برحت حائرة بين تيارات متعاكسة دائمة الاضطراب بين ما ندعى اننا نعلم وما نجهل اننا لا نعلم ! غير أن الاصداء الخفية ما زالت ترجع همس ذلك الصوت الرخيم

بالأمس لمست نفسك وقرأت أفكارك فعثرت على جراح بليغة وددت تقبيلها بشفتى روحى ، وما أطبقت الكتاب إلا وأنا ألثم بنانى على غير هدى. ولم يكن ذلك إلا إجلالا لصفحات قلبها وحباً لنفس استجوبتها فعرفتها

فيامن « ارتفع قلبها إلى فكرها وانحنى فكرها على قلبها » أيتها الباحثة الحكيمة ، لماذا تصمتين ؟

تتوالى الايام ونحن فى ضلال مبين. الرجل يجاهد فى حرب الاقتصاد الدائمة. الرجل تائه فى مهامه أشغاله فاذا كتب بحث فى العموميات ، وإذا أجال قلمه فى الخصوصيات فهو لا يستطيع البلوغ إلى نور الوجدان النسائى لانه يكتب بفكره ، بأنانيته ، بقساوته . والمرأة تحيا بقلبها ، بعواطفها بحبها

علاتنا مستعصية لا يشفيها إلا طبيب يعرفها. والمرأة بعلة جنسها أدرى فهى تستطيع معالجته .ولا تطلب هذه الخدمة الشريفة من فتيات لا يعرفن من الحياة إلا ما يصوره لهن الخيال المخيم بطلانه على منابت العواطف المخصبة .هذا اعتراف ساذج صادق : الفتيات لا يداعبن القلم إلا لينثرن الدموع أو ليصورن الابتسامات . وما تجاوز ذلك علامات استفهام متتالية وإن لم ير فيها من الاستفهام شيئاً

لكن الزوجة والأم التى أعطيت ذكاء وفطنة وعلماً وشعوراً قوياً تدرك بواسطته كل ما فى الحياة من حلاوة ومرارة — تلك تستطيع وضع المرأة فى مركزها السامى ، وتلك تقدر أن تعمل فى مزج نصفى الشخصية المتألمة ،شخصية المرأة وشخصية الرجل

فياسيدتى ،

لدينا قلوب تحترق ولا ندرى أى نار تحرقها ، وتلتهب شغفاً بما لانعرف ما هيته ، فعلمينا أنت التى كنت فتاة قبل أن تكونى أماً كيف نرشدها والى أين نوجهها !

لدينا نفوس عزيزة تنمو فيها ميول مبهمة ورغبات حارة ، فارشدينا أى الاعشاب فاسد فنقتلعه وأيها الصالح فنسقيه ماء الرعاية والحنان !

قولى ياسيدتى تكلمى !

ضمى يدك البارة إلى الأيدى التى تحاول رفع هـذا الجيل من هوة الحيرة والتردد . ساعدى فى تحرير المرأة بتعليمها واجباتها . ان صوتاً خارجاً من أعماق القلب ، بل من أعماق الجراح كصوتك ، قد يفعل فى النفوس مالا تفعله أصوات الافكار

لايهمنا ان تختفى تلك اليد النحيفة وراء جدران خدرك وان تحجبى هيئتك الشرقية وراء نقابك الشعرى ، ما دمنا نسمع صوتك فى صرير قلمك ونعرف منك روحك العالية

فهنيئاً لوطن يضم بين بناته مثيلاتك ، وهنيئاً لصغار يستقون وعود الهناء من ابتسامتك ويسكبون حياتهم فى قالب حياتك !

« مى »

الى الآنسة مي (١)

تفضلت فكتبت الى كلمتك العذبة فى الجريدة وكنت اذ ذاك بين مخالب الموت فلم يكن فى وسعى أن أمسك القلم لأرد عليك وان كانت مخيلتى لم تبخل بالرد . كانت رسالتك عزاء جميلا لى فى مرضى الطويل المؤلم وبلسما ملطفاً لجراحى البالغة التى فات أنك عثرت عليها . آلامى أيتها السيدة شديدة ولكنى انقلها بتؤدة كأنى أجر احمال الحديد فهل تدرين ياسيدتى ماهولى . ليس لى بحمد الله ميت قريب أبكيه ولا عزيز غائب ارتجيه ولا أنا ممن تأسرهم زخارف هذه الحياة الدنيا ويستولى عليهم غرورها فاطمع فى اكثر مما أنا فيه وليس لى حال سيء أشتكيه ولكن لى قلباً يكاد يذوب عطفاً واشفاقاً على من يستحق الرحمة ومن لا يستحقها وهذا علة شقائى ومبعث آلامى . ان قلبى يتصدع من احوال هذا المجتمع الفاسد

ومالى احمل نفسى أعباء غيرها وليست بمسيطرة على هذا العالم ولكنى كنت عاهدت نفسى على الأخذ بيد المرأة المصرية ويعز على أن أتخلى عن هذا العهد وان كان تنفيذه شاقاً ومحفوفاً بالصعوبات ويكاد اليأس يسد طريقى اليه

كنت اعتزلت الكتابة لانضوب مادتها عندى ولا اكتفاء بالقليل الذى كتبت من قبل ولكنى كنت مللت المناداة باصلاح المرأة المصرية وثبط عزمى ماأراه من انصراف فئة المتعلمين والمتعلمات الجدد عن العمل لتكوين القومية المصرية المطلوبة وما حركتهم التى ملأوا بها القطر صراخاً إلا عنوان نهضة كاذبة

تسألينى ياسيدتى أن أدلك وسط هذه الاحوال المضاربة والآراء المتشعبة عن الطريق الذى يحسن بالفتاة نهجه وانها لحال توجب الحيرة ولا ندرى أى

(١) نشرت فى الجريدة والمحروسة

الطرق نسلك لنصل سريعاً إلى الغاية التى نقصد اليها . كلنا يرى إلى تقدم الفتاة وتنورها وأعدادها لان تكون زوجة صالحة وأما نافعة أبناءها ووطنها ولكن لكل مناد بالاصلاح وجهة هو موليها . فبعضهم لا يرى لهذا التأخر والجهل من سبب إلا كان راجعاً للحجاب وهؤلاء قرروا وجوب سفور المرأة المصرية حالا ونسوا حكمة التأنى والتحفظ عند ارادة الانتقال من طور مظلم مألوف إلى طور لم يعهد من قبل تكتنفه المدهشات واللوامع البراقة الجذابة التى تكاد تغشى الابصار

وفريق لا يرى للسفور فائدة ويقول ان الحجاب لا ينفى العلم وإن اطلاق الحرية للمرأة اخيراً كان سبباً لفسادها وان اطراد تعليم المرأة وتثقيفها سيكون مجلبة للشغب ولخروجها عن حد وظيفتها فى المستقبل كما خرجت اختها الغربية الآن . فأى الطريقين نسلك ومن نتبع ؟ اننا معشر النساء لا يزال ظلم الرجل ارهقنا واستبداده يأمر وينهى فينا حتى اصبحنا ولا رأى لنا فى انفسنا . فاذ قال لنا اختبئن حتى تدفن بالحياة صونا لكن وتدليلا كما يقول المتنبى فى رثاء اخت سيف الدولة

على المدفون قبل الترب صونا

وكقوله فى اخت ممدوحة الثانية من رثاء أيضاً

وما رأيت عيون الانس تدركها — فهل حسدت عليها أعين الشهب
وهل سمعت سلاماً لى ألم بها — فقد أطلت وما سلمت عن كثب

إذا أمرنا الرجل أن نحتجب احتجبنا واذا صاح الآن يطلب سفورنا اسفرنا ، وإذا أراد تعليمنا تعلمنا فهل هو حسن النية فى كل مايطلب منا ولأجلنا أم هو يريد بنا شراً : لاشك أنه أخطأ وأصاب فى تقرير حقنا من قبل ولا شك انه يخطىء ويصيب فى تقرير حقوقنا الآن .

نحن لا نأبى ان نتبع رأى العقلاء والمصلحين من الأمة ولـكننا لا يمكننا كذلك أن نعتقد أن كل من يتصدى للكتابة فى موضوع المرأة من العقلاء المصلحين . ليدعنا الرجل نمحص آراءه ونختار أرشدها ولا يستبد فى (تحريرنا) كما استبد فى (استعبادنا) . اننا سئمنا استبداده . اننا لانخاف من الهواء ولا من الشمس وانما نخاف عينيه ولسانه فان وعدنا أن يغض بصره كما يأمره دينه وان يكن لسانه كما يوصيه الأدب نظرنا فى أمرنا وأمره ، والا فكل منا حر يفعل مايشاء . والسلام عليك أيتها الفاضلة من المعجبة بك المثنية على ادبك الجم وعلمك الغزير

باحثة البادية



الى باحثة البادية (١)

ليس أعز لدينا من لطفك إلا حزمك وصراحتك ، وليس اجمل من صدى صوتك الا فعل معناك . وانى لأقبض على شجاعتى بيدى لاعترف بأنى أحب — استغفر الله واستغفرك ياسيدتى ! — آلامك النفسية الشديدة من جراء شقاء الانسانية وضلالها واتمنى من اعماق فؤادى أن تجد دواماً تلك الآلام منفذاً رحباً الى قلبك ، وأن يبقى ذلك القلب كريماً ليناً ينجرح لجرح الغريب ويبكى لبكاء المظلوم ، ويشفق على المتوجع أياكان . بالاختصار — عفوك ! عفوك ! — اتمنى لك العذاب المعنوى لانه النار المقدسة . أجل ، هو النار التى تطهر النار التى تحيي النار التى تلين النار التى ترفع النفس على أجنحة اللهيب إلى سماء المعانى السامية والميول الرفيعة والرغبات الكريمة ، والتحمس لاجراء الاصلاحات اللازمة وتنفيذ المبادئ الطيبة ، والنهوض بالاجتماع نهضة تهتز لها القلوب حمية وطرباً

أتمنى لك ذلك ، ولولاه لما وجدنا فى كتاباتك تلك الأنة العميقة التى تنبه الفكر وتلمس العاطفة فى آن واحد

لا أنكر ان أنانيتى تتكلم الآن . غير انى قلت ما قلت مسرعة هامسة . فابتسمى له ان شئت ، والا فلا تصغى ياسيدتى ولا تسمعى ، بل اسألينى عما أهمس به لأجيب انى أحمد الله على ابلالك وانى أسأله ان يديمك سالمة . وماأغلى سلامتك لدينا !

***

جئت امر اليك أمراً وقفت عليه عند ما شهدت صدى مقالتك لدى جمهور القراء . اسمعى ياسيدتى الباحثة ، وصونى سرى !

---

(١) نشرت فى المحروسة والجريدة

رأيت جميعهم يتقبل اقوالك بنظرة الفخر وابتسامة الاعجاب ، ولكنى رأيت كذلك اسيادنا الرجال ـ ... أقول « أسيادنا » مراعاة ... بل تحفظاً من أن ينقل حديثنا اليهم فيظنوا ان النساء يتآمرن عليهم ... فكلمة « أسيادنا » تخمد نار غضبهم ـ قلت انى رأيتهم يطربون لتصريحنا بانهم ظلمة مستبدون . نعم آنست ذلك فى ملامح كل من قرأ مقالك أمامى من أسيادنا الرجال

فذكرت اذ ذاك الا سرور فى العالم يضاهى سرور التفاهم . فاذا شعر المرء بان هناك من يفهمه كان سعيدا ، سواء لديه ان تعرف منه صفاته أو علاته لان معرفة العلات تتبعها حتما معرفة الصفات ، وان كان الخير أقل انتشاراً من الشر وما النقائص إلا فضائل مضخمة مكبرة تتسع وتستفيض دون ان تجد لها من الضمير مهذبا فتتجاوز الحدود المعنوية التى عينتها اصطلاحات الاجتماع ـ اذا كانت اجتماعية ـ أو رسمتها علوم النفس والاخلاق ، اذا كانت أخلاقية

فعملا برغبة التفاهم ، وطبقاً لنظام المباهاة ، وتوصلا للاستمتاع بنتيجةهذه المباهاة وذلك التفاهم كان وسيكون السارق دائم المفاخرة بوقوف الناس على براعته فى اختيار الطرق الجديدة واستنباط الحيل الغريبة . وكان وسيكون القاتل مسروراً باعلان آثامه للورى آملا ان يجدوا فيها أعمال بطل ـ من نوعه! وكان وسيكون السياسى جاداً فى اقناع الآخرين ان دهاءه اقتدار وسوء ظنه وروغانه فطنة وحكمة . كذلك الرجل يسر ، ويرجو ، ويريد ان تشعر المرأة باستبداده ظناً منه ان الاستبداد هو السيادة ، وان هـذه مقياس ذاتيته التى يريدها كبيرة . رضيت المرأة عن تلك السيادة أم تمردت عليها فى نظره سيان ، بل أظنه ـ سامحنى الله ان كنت مخطئة ـ يؤثر تمردها على إذعانها لانها كلما زاد تمردها زاد شعوره بالسيطرة . وأشد الملوك فرحاً بهز الصولجان ، وأرفعهم للرأس كبراً وتيهاً تحت ثقل التيجان هم ذوو العروش المتداعية للهبوط . والرجل ملك متداع عرشه لان ريح الفوضى تهب عليه من كل جانب ، وخطوات الارتقاء

النسائى تتوالى متكاثرة متمكنة مع مرور الايام

***

لكنه ملك عزيز

هو الاب والاخ والصديق والخطيب والزوج فاذاسقط سقطنا معه ، واذا ارتفع كنا بارتفاعه عظيمات . لذلك نريد له خيراً ونجتهد فى تأييد دولته بشرط أن ينصب عرشنا بقرب عرشه وان نقف الى جنبه وقفة المثيل بجوار المثيل . نريد ان نكون متساويين فى الحقوق الأدبية والعمرانية ما دمنا متساويين فى الواجبات والمسئولية . بل ان واجباتنا ومسئوليتنا يفوقان ما عليه من مسئولية وواجب !

فياترى متى يرضى الرجل بتقرير هذه الحقيقة ؟

ما أطيب قولك ، ياسيدتى الباحثة ، انك تشفقين على من يستحق الشفقة وعلى من لايستحقها . الرجل من الذين يستحقون الشفقة لانه لا يعرف انه يستحقها انه باستعبادنا لمنتحر . ولوصرفنا النظر عن مستقبل الذرية وبحثنا فى حياته الفردية لوجدنا ان ما من أحد يساعده على التخلص من الشوائب الشائنة ويحثه على انماء شخصيته الغنية المخصبة الا نحن . كما انه لا يهدينا الى واجباتنا ويضع فى ضعفنا قوة الاه .

الحجاب ؟ وما هو الحجاب ؟

مرحباً به مادمنا فى وسط لايعرف كيفية معاملة المرأة ولا يستطيع احترامها ولكن كيف نلوم الرجل على كلامه ونظراته مادام رجل اليوم صنع امرأة الامس؟ هكذا علمته أمه وان لم تعلمه ذلك فانها لم ترشده الى ما يفضله ، ولا ذنب لها لان قصورها فى جهلها لم يكن إلا نتيجة اتفاق أبيها وزوجها على جعلها عبدة لا لوم على ابناء تلك الأمهات . إلا ان مستقبلنا صالح لان حاضرنا مملوء بالآمال الطيبات . النشء تتنازعه طبائع الوراثة ومؤثرات العصر وعواصف الفوضى

المهاجمة قديم التقاليد من كل ناحية . ولكنه ينشد الصراط السوى ويصغى الى صوت الاصلاح . فارفعى صوتك ، ياسيدتى ، ولا تيأسى ! قولى بصراحتك ، واكتبى بشجاعتك ! جاهرى ولا تصمتى !

ان البذرة التى تزرعها اليوم يد الزارع تنبت سنبلة فى كيانها حياة الغد وما يتبعه من الايام . وعند ماتخضر المروج بنضرة الرجاء فتماوج فوق غلتها نسمات الحياة اذ ذاك سيسمع المستقبل صدى جميلا يردد ابيات الامير شوق :

صداح ياملك الكنا   رويا أمـير البلبـل

صبراً لما تشقى به   أو ما بدالك فافعل

فتجيب الاصداء الجديدة . لقد فعلت ! لقد فعلت !

مى



الساعة المفقودة (١)

جعلها أرباب التجارة حلية نسائية ،واتقن الجوهرى وضعها فى سوار ذهبي فكانت نصيبي فى الشرى

صورة مصغرة للكون ، كذلك كانت ساعتى . مساحتها رمز للفضاء ، دورتها مرسح اللانهاية ، حدودها حدود الامكان ، علاماتها مقاطع الوقت الذى رتبه الانسان ، ساعاتها مقياس الاعمال ، دقائقها خوف من هجوم الزايا وترقب لوفود الآمال ، ثوانيها دقات القلب . . . من الثوانى يتألف الزمان ومن نبضات القلب تنسج الحياة نسجاً

فياهول ثوانى الزمان ، وياهول نبضات قلب الانسان !

بين ثانية وثانية يلتقى العدوان فى احشاء الثرى الماء والنار ، فتميد الارض بمن عليها ، وتتفطر أساساتها فتقذف البراكين مقذوفاتها الجهنمية وسوائلها النارية وتزفر الطبيعة زفرتها القتالة فتلتهم صروح العمران وتفتح صدرها مرحبة بينها . تفتح صدرها مرحبة فيتدحرجون الى الهاوية التى ليس فيها من يعود على وجه البسيطة مخبراً

بين ثانية وثانية يتلاقى الجيشان فى ساحات الوغى فتدوى وعود المدافع فى الفضاء وتختطف بروق السيوف غالى الارواح.ولاجل كلمة غالب أو مغلوب تندك عروش وتنتصب عروش ، تدمر ممالك ويعمر سواها ، تخرب مدائن ويشاد غيرها ، تتجندل أفراد وتفنى مجامع فترتدى الاقوام سواد الألوان وفى نفوسهم لوعة الفقدان وسواد الاحزان

بين ثانية وثانية يموت أمل ويحيا يأس ، تبتسم شفة وتدمع عين ، يخون صديق ويخلص عدو ، بين الثانية والثانية !

---

(١) نشرت فى الجريدة والمحروسة

وبين نبضة ونبضة هناك سر الاسرار . دماء داخلة الى القلب ودماء منبعثة منه ، تتهافت عليه جراثيم الموت فتخرج مطهرة حيوية . بين النبضة والنبضة تأثيرات تهتز لها أعماق العمر وانفعالات تشخص لمرورها ذرات الكيان . اشتعال الفكر وخمود العاطفة ، ظفر البلاهة وتقهقر النبوغ ، لذعات الغرام والحسرات العظام . قنوط ورجاء ، سعادة وشقاء . هتاف الروح المسلمة ولهات الروح المودعة !

***

يا إبنة أبيك ! يغدرنا الزمان ساعة الرجاء ، ويخوننا يوم الصفاء ، ويهجرنا حين اللقاء . فانت غادرة خائنة هاجرة كالزمان ، يا إبنة الزمان !

كم من ساع طيبات وقعت مرورهن على دوران عقربيك وفكرى يناجيك بأحاديث هداه وضلاله ! ابسم لك عند السرور فتخيلك صامتة تبتسمين واتنهد حيالك يوم الأسى فاتوسمك تنهدين وتحزنين ، وكأن عقربيك ذراعان يمتدان نحو العلاء مستغيثين متوسلين

لما أفنت قلبى وحدة القلب ضغطت بك على ساعدى قائلة « أنت الصديقة التى لاتخون » . ولما مزقت سمعى أكاذيب الناس وأحاديثهم المؤذية خاطبتك قائلة « أنت لاتؤذين لانك لاتتكلمين » ولما أذابنى الجهل بدعواه والغرور بسخافته نظرت اليك قائلة « أنت عالمة لذلك تصمتين »

وكنت تعزيتى !

وكنت زمانى ، يا إبنة الزمان !

وعلى هذا ما كان أطول إعراضك عنى وأقل اهتمامك بى ! فى النهار كنت تطوقين ساعدى فيوجعه أُرسلتك وأجيب أنا على هذا العنف بلمسة المداعبة . وفى المساء كنت تستريحين بجوار وسادتى فأوقع على موسيقاك الساهية ألحان أحلامى وآمالى ، وفى الصباح كنت أول عين أشاهدها وأول روح استجوبها كل ذلك وأنت لاتنتبهين ولا تعلمين

وهاقد هجرتنى . فقدتك وفقدتنى فسيرى بحراسة الله وانسينى !

ولكن انتخبى اليد التى ستطوقينها !

فاذا وقعت فى يد شرير وقصد استعمالك ليؤذى أخاً له فانقلبى افعى لساعة ولا تبرحى مفرغة فيه سمك حتى تصرعيه قتيلا

... لكن لا ، لا ! ليس الاشرار الا ضحايا البشر وضحايا نفوسهم ، لوكنت تعلمين . وهم خليقون بالرحمة أكثر من الاخيار الصالحين . فلا تتحولى حية ولا تؤذى شريراً بل غادرى تلك اليد المسكينة واسقطى فى طريق أب فقير لتكونى من نصيب فتاة لم تلبس فى حياتها حلية . زينى يداً شوهت خشونة الخدمة جمالها ونامى على زند الفتاة الغريبة بدلال القبلة والتحبب ! نامى هناك واسعدى ، ولو ساعة ، قلباً بائساً يحسب السعادة فى الغنى !

نامى هناك وانسينى ، ولكن !

ان كان لديك ذاكرة تذكر ، ياساعتى الصغيرة المحبوبة ، اذكرى لحظة ما شهدته معى من المسرات واللهفات ، اذكرى واحفظى ما تعرفين !

ولكن . . . ألست ابنة الزمان الذى ننسب اليه فى ضعفنا كل شئ وهو فى قوته لايبالى بشئ ؟ ترى بأى حافظة تذكرين ، وبأى ذهن تتأملين ؟ انما علاماتك مداد قد تحجر ، وعقربك اصبع يشير إلى علامة يجهل منها المعنى وانت آلة ليس الا . وان كنت آلة الآلات المثلى

انت ابنة الزمان الناسى ،

وأنت مثله لاتذكرين !

« مى »

الى الآنسة مى (١)

عزيزتى مى

لاتستغربى ياسيدتى انى دعوتك « بياعزيزتى » وسأدعوك باسمك على غير معرفة شخصية سابقة . أقول شخصية وأحدها لانى عرفتك من كتاباتك الشعرية الجميلة من قبل وتعرفت منها بروحك العالية الهائمة فى الفضاء وكأنها تبحث عن مستقر لها فلا يكاد يعجبها مكان تستقر فيه

وتعرفت بك بالأمس بل وارتبطت بك من دعائك على بالعذاب المعنوى كأنى أنا المعنية بقول جميل :

وأول ما قاد المودة بيننا   بوادى بغيض يابثين سباب
وقلنا لها قولا فجاءت بمثله   لكل مقال يابثين جواب

وانما حاشا أن يكون دعاؤك على سباباً وحاشا أن يكون له جواب عندى من مثله فانى لم أقابله الا بالضحك والحلم الذى ركب فى غريزتى

لماذا يامى تدعين على بالعذاب المعنوى ؟ ألا انما العذاب البدنى أخف منه وطأة وأعفى أثراً . على أنى جربت كليهما وذقت الأمرين منهما معاً . تقولين « لانه النار المقدسة » . نعم لقد أعطانى من القداسة مقداراً أكثر مما يجب لمثلى حتى جعل البون بعيداً جداً بينى وبين هذا العالم غير القديس

تقولين « انه النار التى تطهر . حقيقة انه نقى وجدانى بالتطهير منذ أن كان لى وجدان حتى صيره شفافاً يظهر كل شئ ويتأثر لأقل شئ وهـذا فيه من الضنى والخطر ما فيه

تقررين « انه النار التى تحيي » . نعم يامى . أنه أحيا روحى حتى أحرقها لانه

(١) نشرت فى المحروسة

كان كمصباح سيال كهربائه شديد ولكن فتيلته ضعيفة لاتحتمل

هو « النار التى تلين » هذا ما أبديت . ولكن ألا تعتقدين ان اللين قد يؤذى ولا يفيد . خصوصاً فى هذه الدنيا التى كلها صدام وعراك وانه لايفل الحديد الا الحديد . انه ألانني حتى صيرنى ماء . وما أشد عبث الطبيعة والناس بالماء مع انه أصل الحياة ! !

يصبونه فينصب ويريقونه فيختفى فى الارض ويضعونه فى كل آنية معوجة وملونة فيأخذ كل شكل ويصطبغ بما يراد به من الألوان . تبخره الطبيعة زارية هازئة فتارة ترفعه الى السحاب وطوراً تقذف به الى الارض وآونة تماكسه بصعيقها فيتحول برداً وآونة تحمى عليها براكينها فيخرج ملتهباً وحيناً تخبث رائحته بكبريتها وزرنيخها فيلعنه الناس اذا أحسوا منه غير ما يريدون وهو برىء . ثم أليس هو رمز الطاعة والامتثال يضعون فيه سكراً فيحلو ويذيبون به الحنظل فيمر . وهم مع ذلك لايقيمون له وزناً ولا يعترفون له الجميل . وهو بلا ثمن فى أكثر بقاع الارض وأرخص الاشياء فى أقلها . انه مثلى يامى يذهب ضياعاً

وختمت حسن تعليلك لعذابى بقولك « انه النار التى ترفع النفس على أجنحة اللهيب الى سماء المعانى » الخ

نعم يامى انى الآن على أجنحة اللهيب ولكنى لم أصل بعد الى السماء واذا وصلتها فلن يعود العالم يرانى فهل يا ترى ستعجبنى السماء ؟ انى أشك فى ذلك .

انى أول ما حفظت من الشعر حفظت المراثى وأولها رثاء الأندلس وكنت فى حداثتى اقرأ كثيراً ديوان المتنبي واعجب بروحه العالية وبنفسه الكبيرة وأظنه هو الذى عدانى فى ذلك وسمم آرائى رحمه الله انى الذ كثيراً بهذه العدوى

وقد قال لى أخى مرة بعد حديث كنت اشتكى له فيه الدنيا وأهلها وأقول « لعل الله يجزينى على هذا فى آخرتى بالجنة »

قال متهكماً « أنا واثق ياشقيقتى ان الجنة أيضاً لن تعجبك لانه لا يكاد يسرك

شیء » . استغفر الله

انك يامى خالفت المألوف فى التمنيات والمجاملات الفارغة وهى كثيرة وشائعة جداً الآن (بمناسبة عيدى الميلاد ورأس السنة المسيحيين . قلت « ابتسمى له » أى لدعائك « ان شئت وإلا فلا تصغى ولا تسمعى واسأليني عما اهمس به لأجيبك انى احمد الله على ابلائك وانى اسأله أن يديمك سالمة » الخ

لاياعزيزتى انى اكره الكذب والمجاملات الفارغة ولذلك اصغيت وسمعت وابتسمت (حسب أمرك) وتسرنى جدا صراحتك فى الدعاء على

أتدرين يامى أن ذلك اليوم الذى تمنيت لى فيه العذاب كان فيه عيد ميلادى ايضاً وأنى تفاءلت خيراً بدعائك وافتتحت عامى الجديد بالضحك من تمنيك وبصداقتى لك تبعاً لذلك التمنى المعكوس . أشكر لك ياعزيزتى أمانيك لى ورغباتك الصادقة وأقر لك انى واقعة فيما رجوت لى والحمد لله ولكن يامى لا أتمنى المزيد. انه عذاب طاهر لايتعدى الميل الى السكون والشعور بشیء من الحزن الشعرى الجميل . ولكنه ولله المنة والشكر لاتخامره شائبة من الندم ولا من الاسف الأثيم وأخشى أن يزيد ضرام النار التى طلبتها لى فاحترق يامى أو اصل الى ذلك الذى لاأريده لنفسى ولا أظنك تريدينه لى

الساعة المفقودة

عجيب ياسيدتى انك تريدين عذابى وأنا أريد هناءك أتدرين ماذا سألقيه عليك فيفرحك ؟

انى وجدت ساعتك المفقودة والتقطتها . رأيتك ترثينها بحرقة فجئت لامسح دموعك لانى أحب دائماً أن امسح دمعة المحزون. تعالى الى لتأخذيها وتستغفريها من وصفك اياها بالغدر وبعدم الاحساس . فانها أحسب بشوق لرؤيتك فأتت تقدمة لمجيئك ولتعارفنا

انها بثت الى ما كنت تشكينه اليها من العواطف والآلام . عثرت على وعثرت عليها لنكفى قلبك شر الفناء من الوحدة ولنؤكد لك انك وجدت الصديقة التى لا تخون »



حكاية الرجل

والآن فلنعد الى حكاية الرجل

عجيب جداً ياسيدتى أمر هذا المخلوق الغريب الاطوار الذى يسمى «بارجل» انى اعتقد انه كريم شجاع وله قلب حساس ولكنى اظنه (وبعض الظن اثم) ثانياً قبل كل شئ ورأيى أن أنانيته وحدها هى أصل رذائله فهو يهضم حق المرأة ويستعبدها لا لأنه يبغضها أو يتمنى لها السوء ولكن ليلهو بها وهو يحبها . ويموت لاجلها لا لأنه يحبها ولكن ليلهو بها وهو فى كل ذلك واسع الحيلة قوى الحجة فيقنعها فتصدقه وهو كذوب

أما المرأة فهى دائماً تحترمه وتحبه لانها تحبه صادقة واذا كرهته علانية ولم يكن لذلك البغض من دواء . عرف ذلك ابو الطيب فقال :

وان حقدت لم يبق فى قلبها رضاً   وان رضيت لم يبق فى قلبها حقد

هى صادقة مخلصة دائماً حتى وهى خاطئة . هى تحب لتفنى فى الحب ولكن الرجل يحب ليعيش متمتعاً بالحب . هى تحزن وقت المصاب لتتفرغ للحزن ولكن الرجل لايحزن الا ليبحث عن تعزية وسلوان

المرأة كدودة القز تفرغ حريرها لتموت . انها تعلم أن حريرها الذى تقدمه للملأ زينة وحلية سيقتلها ولكنها لم تحاول قط الخلاص منه

أما الرجل فهو كالنحلة يتنقل من زهرة الى زهرة متروضاً وقد يطيل المكث على زهرة ناضرة وانما ليمتص منها نضارتها وماء حياتها . انها تحب الازهار حيناً ولكنها تلهو بها احياناً فتتركها هشيما . وهى تقدم للناس عسلا فيه شفاء لهم وشمعاً نافعاً ولكنها تعملها لغذائها وسكنها قبل كل شئ

ظلمنا الرجل حقوقنا لا لانه كان ينوى ظلمنا وإنما هو أخطأ كثيراً فى حسبانه وان مازيد فى قوتنا يضعف من قوته هو . لعله ظن أن مملكتنا واحدة ولذلك

نظر الينا نظر الدعيات الثائرات . وانما نحن نريد له السعادة والمزيد من القوة في مملكته ونرجو منه أن يفك عنا الخناق في مملكتنا المستقبلة التي تشد أزره ولا تفكر في إضعافه قط مهما بلغت من العزة والقوة . اننا نتقدم اليه كأننا ساعده الذي يريد أن يخدمه لا كأننا يد غريبة تريد أن تضربه . اننا منه وهو منا فليطب نفساً وليقر عيناً وليعطنا مانشاء :

وانما نحن يامي ضايقناه في بعض شؤون مملكته حتى ظننا نريد منازعته فيها . لنترك له السياسة التي يحبها وحمايتنا . وأقول لك همساً « اننا لا ننفع بدونه ولكنه هو أيضاً لا ينفع من غيرنا !! »

ان المطالبات بحق الانتخابات وان كنّ يطلبن حقاً إلا انهن ظالمات الرجل وانفسهن معاً ، لماذا ير من مشاركته في الجلوس على كراسي « البرلمان » ولا تقدم واحدة منهن صدرها للقاء كرات المدافع ونصال الفناء في الحرب . الحق أحق أن يتبع

ليهنأ الرجل بمملكته . اننا لانهز عرشه ليتداعى الى السقوط كما تقولين ولكننا نهزه لنطلب منه « الدستور »

باحثة البادية



ولها في وصف البحر

فى حالتى صفوه وكدره

تعالى الله ما هذا الجلال ! أيها البحر إنك كأطماع الانسان لا تنتهى الا إذا عبر جسر الحياة : كذلك أنت لا يعرف لك حد إلا عند الخروج منك . أو انك كقلب الرجل مرة تصفو ومرة تغضب . لا أمان لك فى الاولى ولا أمان فى الثانية . اذا رضيت كنت جمالا وان غضبت انقلبت نكالا

أيها البحر انك رهوا نعم المركب الذلول كأن صفحتك من الغمام ، يصطخب الموج بين أحشائك ويتلاشى كالفاظ الحساد تمر بسمع الحليم . وتشق البواخر جوف عبابك فتصبر عليها صبر الكليم . تحمل من الأثقال والأكدار ما لو حملته الجبال لخرت هدّا كأن صوتك الهادىء تموجات لحن شجى وكأن أمواجك المزبدة متتابعة متقابلة سرايا جيش منظم يحمل رايات السلام . اذا صحت السماء استعارت صفاء زرقتك وان تجللت بالغيم حكت لون كدرتك تضيق عليك الارض مسالكها فتنكمش وتوسع لك فتنفرج تجرى متواضعا تحت قدميها وأنت أعظم منها قوة وأعز شأنا تنفجر جبال النار (البراكين) بين ضلوعك فلا تلتاع ولا ترتاع كأنك أجلد من قلب الخلى . أو كأنها بثور بأدميك أو أثر لذع البعوض فى وجه الحسناء كم سقطت فيك جزر وبلدان تحتمى بك من مآثمها ومعاصيها فسحتها بدموعك ونقيت روعتها بمائك الطهور . ظلموك أيها البحر اذ لم يهتموا بك اهتمامهم بأختك الغبراء . زينوها وتركوك عاطلا فغنيت بجلالك عن جمالها المصطنع وبحدائق مرجانك وأودية درك عن حدائقها الخضراء وأوديتها الجرداء وصلتهم فقطعوك . وشايعتهم فناوأوك . بذلت لهم ما تملكه زينة وطعاما وتسامحت لهم بمائك فملؤه شرابا وانحت لهم متنك فاتخذوه ركابا

وصقلت لهم جبينك فجعلت منه عند بزوغ القمر مرآة ومشكاة . تفيض عليهم بهجة ونورا . كأن العسجد أذيب فيك نهارا . وتكسرت فى ثنائك جداول اللجين ليلا . وأنت أيها البحر الخضم أصل حياتهم منك الغيث ومن الغيث الحياة . أظللت سماؤهم . وأنبت غذاؤهم وألطفت هواءهم . وفوق ذلك فأنت مستودع أسرارهم وقارورة أقدارهم ، فهل تراهم على ذلك يشكرون ؟ تالله ما رأيت مثلك اتضاعا فى عظمة واحتسابا فى قدرة

وإذا عبثت أيها البحر وكشرت عن نابك ويا سرعان ما تعبث فان الموت فى تقطيب حاجبيك يصرح الشر باسمه عند زمجرة منك كأن جوفك كان مملوءا أسودا فلفظتها فاغرة أفواهها تبلع من تصادف فى طريقها . يدوى صوتك كالرعد القاصف فيمطر وابل المنايا بغير ولى . ما أظلمك أيها البحر مستبد غاشم تأخذ البرىء بدم المجرم أو تأخذه بلا جريرة . ان الله لم يظلمك اذ جعلك ملحا أجاجا . وان البشر لم يبخسوك حقك إذ أمتطوا ظهرك كالدابة . ومزقوا أديمك سفرا . وان أقل خفقة فى قلب الارض تذكر تضطرب على الساعك وأدنى هزة من الريح تهز أعصابك لا أمان عندك فتحب ولا ميعاد لغضبك فتتقى . كأنك فى تقلبك رأى الضعيف أو يمين الحانث وفى تلونك كالحرباء . كم مجرم استعان بك على كتمان جريمته . وكم ملك أفنى رعيته ودفن العدل فى جوفك كان آذيك متلاطما قمم الجبال تتساقط كسفا أو رؤوس الجند البرىء تتناثر إرضاء لأهواء الملوك الظالمين . كأن جوفك المظلم ضمير الحسود يغلى كالمرجل ويخفى ما يخفى تحت ثوب الرياء تنطح الصخر الأصم كمستجدى البخيل ثم ترجع أدراجك كالسائل المحروم أو كالجيش المقهور تشمخ بأنفك فترغمها اختراعات الانسان وتتطاول الى السماء فتسقط أعياء ويرجع البصر خاسئا وهو حسير لا أثر للرحمة عندك كأنك قلب الكافر الجحود . لا يسوغ لك شراب تمج مرارة كمرارة المظلوم أرهقه العذاب . كأن بريق مائك التماع أسنة الخرصان أو امتداد ألسنة

النيران . شاهد سيفك بادىء العدوان . لكنك لا تتمثل فى هجومك بما يفعله الشجعان . لأنك تطلع على الغافلين بالردى بغير نذير

لا حبذا أنت أيها البحر من طريق ولا رفيق لولا اضطرارنا اليك ما سلكناك ومن يسلم منك فما ينجو من الحمام الى الحمام كما قال المتنبي :

وإن أسلم فما أبقى ولكن نجوت من الحمام الى الحمام

ما اكفر الانسان وما أضعف إيمانه أين قوته واختراعه من قدرة الله سبحانه ، ان فى البحر وحده حالتى صفوه وهياجه لعبرة لقوم يعقلون ، فسلام عليك أيها البحر ضاحكا وعبوسا ، وسلام عليك انك ابو الكون ومحيطه ، وسلام عليك لو لم يكن لك فضل الاوصل مصر بأجزاء العالم لكفاك بذلك فضلا ولو لم يكف ماؤك أن يصل لمصر لأكلته بشرايينى

باحثة البادية



ذكرى باحثة البادية

بعد سبع سنوات

محاضرة نسائية – خطاب النساء المصريات – شرح حالة المرأة

قصيدة شاعر القطرين – خطاب هدى هانم شعراوى

قصيدة المربية السيدة نبوية موسى – آراء وأقوال

ذكري سبع سنوات

لصاحبة الامضاء

مضى سبع سنوات على وفاة كاتبة فاضلة وسيدة ذات مبدأ شريف فى تحرير المرأة وحلها من قيود الاستعباد فصارت تكتب بكل ما أوتيت من علم وقوة أرادت فى وقت مظلم كانت تعد فيه الأمة المصرية ذكرى أسماء السيدات ولو فى المجالس المخصوصية أمر يشمئز من ذكره وكل محدث تغير فى الهيئة التى نشأت عليه يعد ضلالا . قام الاستاذ المرحوم قاسم بك أمين وكتب عن تحرير المرأة فرماه الرجعيون بافضل نساء الأمة المصرية وصار يحنق عليه كل من قرأ كتابه أو من لم يقرأه والكل لم يفقه مقصده ومرمى كلامه الا نفر قليل فى مصرنا العزيزة قام من قبله الامام المرحوم الشيخ (محمد عبده) وأراد ادخال بعض الاصلاحات عند الازهريين فرمونه بالعقم فى الدين واذا عددنا ما قام به المصلحون من وجوه الاصلاح وما قابلوه به من الاستهجان لضاق بنا المقام غير أننا نعرف أن المرحومة باحثة البادية قد وضعت حجر الزاوية . لتشيد عليه صرح آمالنا . حتى نكون أمة راقية نعمل على سعادتها نساء ورجالا فيحق علينا نحن بنات الجنس اللطيف أن نقيم فى كل عام مثل هـذه الحفلة التى أقيمت يوم ٢٤ نوفمبر الماضى فى حديقة الازبكية تخليداً لذكرى زعيمة من زعمائنا . وقد توجه هذه الحفلة حضرة السيدة الفاضلة هدى هانم شعراوى بقبولها رئاسة حفلة التأبين فتحت الحفلة بتلاوة آيات الذكر الحكيم . ثم وقف الشاعر المفلق خليل مطران بك والقى كلمة بالنيابة عن حضرة السيدة المصونة رئيسة الحفلة . أبان فيها ثلاث مطالب الأول مساوات المرأة بالرجل فى مناهج التعليم . الثانى اصلاح القوانين العملية للعلاقة الزوجية تنتقد فيها تعدد الزوجات الثالث مساوات المرأة بالرجل

فى الحقوق المدنية والشرعية وقد أفاضت القول فى هذه المطالب الثلاث وعززتها بالقول والبرهان ثم القى قصيدته الرثائية حتى أبكى القلوب قبل العيون فدابت أسى وتفجع على الفقيدة وما كان لها من جليل الاعمال . ثم وقف شقيق الفقيدة الاستاذ مجد الدين ناصف وذكر النهضة النسائية فى مصر قد ظهرت قبس من نورها وعدم ايجاد المدارس الكافية للبنات فقال أن أختى هى أول فتاة تعلمت فى مدارس البنين وأول من نالت شهادة الدبلوم وذكر لمحة من تاريخها وأول من كتب فى الصحف نظما ونثراً وقد فاجأتها المنون فى سنة ١٩١٨ فيكون مضى على وفاتها سبع سنوات وقد أبن شقيقته بكلمات مؤثرة أسالت العبرات ثم قدم بنات دار الاتحاد السوى فألقين نشيداً تراه فى غير هـذا المكان ثم أعقبته حضرة الآنسة المربية الفاضلة نبوية موسى كبيرة مفتشات وزار المعارف العمومية فالقت مرثيتها بما عهد فيها من طلاقة اللسان وفصاحة مما كان لها من التأثير على أفئدة الموجودين — من ثم اعتلت منصة الخطابة حضرة الكاتبة القديرة الآنسة « مى » فقالت انى يربطنى بالفقيدة ثلاث روابط الرابطة الأولى ما وجدته من جاذبيه ما يسطره يراعها البليغ . الثانى فضلها على فى سنة ١٩٠٧ بانها جرأتها على الكتابة فى الصحف الثالثة جرأتها على أنها أول مصرية شرقية تطالب بحقوق المرأة فدلت فصاحت الآنسة «مى» فى القاء الحماس على انها من كبيرات خطيبات لأن كلامها كان له الوقع الطيب فى قلوب سامعيها وانصرف الجميع وهم يرددون فليحى العلم الذى أظهر السيدة المصرية على مسرح الخطابة بما أبهر العقول من فصاحة وشجاعة القاء غير ما كنا نراه فى أمهاتنا

فريده فوزى

المشرفة على القسم النسائى بمجلة الحسان

خطاب السيدة هدى

ايها السادة

اجتمعنا اليوم لنحيي ذكرى باحثة البادية ولست بحاجة الى ان أبين لكم مقدار الخسارة التى نالتنا بوفاتها فى عنفوان شبابها وبدء جهادها وليس منكم من يجهل ما كان لها من فضل واسع وأثر خالد فى خدمة الأدب والتربية والنهضة النسوية

وان امسكت القلم عن سرد آثارها الطيبة فلأنى رأيت ترك التفصيل فى هذا الباب لمن هو أولى به منى الا وهو شقيقها الاستاذ مجدالدين الذى كان لنا معشر النساء خير عزاء منها لانه اقتفى أثرها حتى كأنه رأى من الوفاء لها ان يعمل معنا على تحقيق ما بدأت به فى سبيل تحرير المرأة ورفع شأنها ، وان فى شهودكم هذه الحفلة لتعزية أخرى لانه يجعلنى عظيمة الرجاء فى تأييدكم للمبادىء التى وضعت أساسا لحرية المرأة ورقيها

وكيف لا يكون لى هذا الرجاء وقد أخذ الشعب المصرى يقتنع غيره من الأمم الاسلامية الراقية بأن جهل المرأة وعزلتها فى دارها كان ولا تزال من أهم أسباب تأخره وانحطاطه وانى لمغتبطة بهذا الشعور الذى يبتسم امامى ابتسام الفجر بعد الليل المظلم

والآن أرجو ان تسمحوا لى ان أشرح لكم حقيقة ما تصبوا اليه المرأة المصرية وما فهمه بعض الناس خطأ من مطالبنا فأولها تأويلا مشوشا بعيدا عن الحقيقة المطلوبة

مطالب المرأة

١ — مساواة المرأة بالرجل فى فروع التعليم لا نظن عاقلا ينكر علينا هذا

المطلب لاننا انما نريد ان ندرأ عن أنفسنا غائلة الجهل

ولذلك رأت الحكومة أخيراً ان تصغى لشكوانا المستمرة منذ سنوات فأخذت تذلل العقبات التى كانت تحول دون مساواة المرأة بالرجل فى التعليم فانصفتنا فى ذلك بعض الانصاف ونرجو ان تتدرج بنا الى الكمال فيه

كان يرى بعض الناس فى الزمن الغابر ان تعليم المرأة يعرضها للفساد ولما تبين لهم ان الجهل هو أساس الفساد رجعوا الى الصواب وعملوا على تعليمها ولكن الى حد محدود مع التمسك ببقائها فى غرفتها الاولى ظانين ان ذلك أصون لاخلاقها وباعث على قيامها بواجباتها المنزلية فظهر لهم عكس ما توقعوه فرجع بعضهم الى النظرية الاولى وبقى البعض الآخر مترددا بين التعليم والجهل وكلهم عاجز عن التقدم بها الى الامام أو التأخر بها الى الوراء

ولا أدرى هل كان ذلك لما رسخ فى طباعهم من استضعاف المرأة واحتقار شأنها أو ان ذلك لجمودهم وفقدانهم الشجاعة للتصريح بالحقيقة أمام الأمر الواقع

ومن الظلم البين ان يتحكم هذا الفريق فى حياة المرأة وتكوينها تحكم المستبد كأن لم تكن انسانا له حقوق مثل حقوقه وعليه واجبات مثل واجباته وله شعور وعقل وارادة كشعوره وعقله وإرادته

وقد فات هذا الفريق ان العلم لكائن من كان لا يكون اداة للفساد كما فاتهم ان تعليمها مع بقائها فى غرفها غير كاف لتكوينها وتهذيبها

لان العلم لا يظهر أثر فضله الا وقت تطبيقه على العمل وشر آفة على الانسان — رجلا كان أو امرأة — اتساع معارفه وتضييق دائرة عمله

فامنحوا بناتكم حسن الثقة بهن وحببوا اليهن مكارم الاخلاق واطلقوهن يعملن فى أفق الحرية الكاملة

ولهن من حب العفاف خير واق واشرف حجاب

المطلب الثانى

اصلاح القوانين العملية للعلاقة الزوجية وجعلها منطبقة تمام الانطباق على روح التشريع الدينى من إقامة العدل ونشر السلام بين الاسر واحكام روابط المصاهرة وذلك بان

(١) يسن قانون لمنع تعدد الزوجات الا لضرورة كعقم الزوجة أو مرض عضال يمنعها من اداء وظيفتها الزوجية وفى هذه الحالة يجب ان يثبت ذلك الطبيب المختص

(٢) يسن قانون يحرم على الرجل ان يطلق زوجة الا امام القاضى الشرعى وعلى القاضى معالجة التوفيق بين الزوجين بحضور حكم من أهلها وحكم من أهله قبل الحكم بالطلاق طبقاً لنص الدين الحنيف

أعتقد اننا فى هذا المطلب لم نتجاوز الحكم الدينى ولا الحكم العقلى إذ ليس منا من يجهل ان الطلاق مثار الاحتقاد والاضغان بين المتصاهرين ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (أبغض الحلال الى الله الطلاق)

وليس منا من يجهل مضار تعدد الزوجات وما له من أثر سيء يوهن جلال الأبوة فى نفوس الأبناء ويختلس حنان البنوة من الآباء وينقص رابطة الأخوة فتؤول الى مشاحنة وبغضاء

ويدفع الرجال الى الاسراف والتبذير وينمى الاثرة فينقادون الى شهواتهم غير حاسبين حسابا لما سيعقب ذلك من حسرات ونكبات

هذا الى القضاء على سرور المرأة فى حياتها والحكم عليها بالشقاء الابدى وذلك ما لا يرضاه رجل شريف تتغلغل فى نفسه العاطفة الانسانية ولا ترضاه امرأة رفيعة كانت أو وضيعة

اذا كانت هـذه آثار تعدد الزوجات محسوسة ملموسة فلم لا نحاربه بكل قوانا ولم لا ينضموا الى صفوفنا عقلاء الأمة لتلافى شروره ومفاسده

المطلب الثالث

مساواة المرأة بالرجل فى الحقوق النيابية والحقوق التشريعية تريد المرأة ان تبوأ مكانها فى الهيئة الاجتماعية وان تنال قسطها كاملا فى جميع الحقوق لا لتزاحم الرجل كما يتوهم وانما فى الحقيقة لتساعده فى تحمل أعباء الحياة

تعلمون ان الرجل والمرأة بحكم الشرائع السماوية والنواميس الطبيعية وقد خلقا لا لينفرد كل منهما بنفسه وانما ليمتزجا ويتكاملا ويتشاركا فى الحقوق والمسئولية

ولم نر الطبيعة أفردت الرجل بعمل خاص كما لم نرها أفردت المرأة بعمل خاص لأن الاستعداد الفطرى واحد فى الجنسين وانما هيأت الطبيعة كل فرد لعمل يميل اليه بحكم مزاجه الخاص

بالرغم من هذا كله عزيز على الرجل ان يقتنع بكفاءة المرأة واستعدادها للعمل وشـديد عليه أن يستسلم لما نطلبه وتسعى اليـه لأنه أهملها فانقادت اليه وخضعت لارادته واستبداده حينا من الدهر ففقدت بالطبيعة ما هى مستعدة له

وما مثل فى ذلك الا كمثل من أهمل استخدام إحدى عينيه ففقدت وظيفتها لا عن مرض أو كمثل من أهمل استخدام يده اليمنى فى الـكتابة فأصبحت شبه مشلولة وليس بها شلل ولو أنه استخدم كل أعضائه بدقة فما خلقت لأجله لكان له منها خير عون وأكبر نصير

ولو فطن الرجل الى ذلك أو أرجع نفسه بعدل ونزاهة وقـدر ما يعود على نفسه من مشاركة المرأة له فى مهام الحياة لو علم ذلك لما وقف حجر عثرة فى طريقها لأن نهوضها نهوض به وله من رقيها نصيب وافر وأثر محمود

يرى بعض الرجال الذين يضنون على المرأة باعطائها حق الاشتراك فى السلطة

ان ليس ذلك من مصلحتها لأن خروجها الى ميادين العمل يقلل من نفوذها غير المباشر ويضعف تأثيرها فى الهيئة الاجتماعية ومن أجل هذا ينصح للمرأة أن تحافظ على هـذا النفوذ لأنه أبقى لمنزلتها عند الرجل وأنفذ لكلمتها دون مجهود عظيم تبذله فى هذا السبيل

ولـكن هذا البعض يرى ذلك فاته ان ينظر إلى الثمن الذى قد تدفعه المرأة للوصول الى هذا النفوذ كما فاته أن يتبصر فى عواقب هذا التصرف أو هـذا النفوذ الخفى الذى لامسئولية فيه

لا ينكر أحد أن للمرأة على العموم تأثيراً محسوسا فى الرجل تظهر نتيجته فى كل عمل من أعماله فمن الخطر الجسيم أن يكون لها ذلك التأثير العظيم وهى بمعزل عن الهيئة الاجتماعية وعلى جهل تام بمجرى الأمور ومقتضيات المصلحة العامـة ، وأكبر دليل على ذلك الحوادث التاريخية الماضية التى دفعت رجلا عظيما من كبار مفكرى فرنسا إلى أن ينادى بأعلى صوته ابحثوا عن المرأة عنـد كل ملمة أو كارثة

لم يقل ذلك الرجل هذا إلا بعد وقائع مثبتة

والحقيقة ان المرأة مظلومة لأن تحكم الرجل فى حياتها وبعدها عن مواطن التفكير ومواقف المسئولية جعلتها تندفع بشعورها دون مراعاة المصلحة العامة التى لا تعرف عنها شيئا ومن الظلم البين أن يعيرنا الرجال بعيوب لا تقع تبعة وجودها فينا إلا عليهم وحدهم

وليس هناك علاج لهذا الخطر المخيف الا مشاركة المرأة للرجل فى المسئولية الحقيقية عن الأعمال الاجتماعية العامة

أيها السادة

هذه المطالب التى نرفع بها اليوم صوتنا عاليا ونلح فى طلب تحقيقها كانت

السعار الأول لباحثة البادية وظلت تنادى بها منذ نعومة أظفارها وقد عاجلها المنية قبل ان تنعم بتحقيق شىء منها فماتت فى اول الطريق وها نحن اولاء اليوم نجاهد على أثرها ولنا بعض التعزية اذا متنا لاننا قد كوفئنا بتحقيق بعض الامانى التى حرمت باحثة البادية مشاهدتها وهذا مصير كثير من المجاهدين الاولين فى هذه الحياة : يضعون الغرس الطيب ليجنى ثماره خلفاؤهم

فنسأل الله للفقيدة الرحمة ولنا حسن العزاء وتمام التوفيق بفضل تآزرنا ومعاونتكم لنا

ثم تلا الاستاذ خليل مطران بك قصيدته البارعة التى قوطعت بالتصفيق والاستعادة مرات وهى :

قصيدة خليل مطران

يا آية العصر حقيق بنا تجديد ذكراك على الدهر
جاهدت لكن النجاح الذى ادركته أعلى من النصر
بدت تباشير الحياة التى جدت تحيي طلعة الفجر

***

قد أثبتت يقظتها للعلى بعدك ذات الخدر فى مصر
فبرزت معه ولكنها ما برزت عن أدب الخدر
تعفو عن المخطىء فى حقها حلما وتستعفى من النكر
مكانها أصبح من زوجها مكان ثم الشطر بالشطر
لها على الواجب صبر وان شق ومرت شرعة الصبر
مخايل العزم يرى وريها مؤتلقا فى وجهها النضر
وتلمح العين حلى نفسها ازهى وأبهى من حلى التبر
فى اى عصر كان عرفانها او خيرها ماهو فى العصر
قد علمت ان المزايا وان جللن لا يغنين من طهر
لو جمعت فى نسيق بارع كريمة الأحجار والدر
ولم تصب نورا فتبدى به زينتها الخلابة الفكر
الا يكون الفحم والماس فى منجمه سيين فى القدر

***

يامن زوت فى زهره العمر ما أقصى الردى فى زهرة العمر
ان تبعدى ما بعدت نفحة تركتها من خالص العطر
فى كتب مأثوره كلها كالروضة الداعة الزهر
ولا نأى عن مسمع القوم ما عنيت من انشودة نكر

خالدة الترديد فى مصر عن　　نابغة خالدة الذكر
بشدوها المؤلم فى أسرها　　اطلقت الطير من الأسر
ما الوزر أن تبدو ذات الحلى　　وسيرها خلو من الوزر؟
اى كمال وجمال يرى　　كما يرى فى طالع الزهر؟
فباسم طلاب رقى الحمى　　وباسم أهل الخلق الحر
أهدى الى روحك فى عدنها　　أنفس ما يهدى من الشكر

ذلك دين لك فى عنقنا　　قضاؤه ضرب من البر
ومثله أو فوقه ذمة　　حقت لرب النظم والنثر
لوالد رباك حتى اذا　　عولجت قفاك على الأثر
هل كنت الا كوكبا آخذا　　فى أفق العلياء من بدر
فضلك من فضل أبيك الذى　　كان أبا الآداب فى القطر
أبدع من جدد فى مرسل　　وخير من جدد فى الشعر
قصرت فى ايفائه حقه　　تقصير مغلوب على أمرى
وكان من عذر الاولى ارجأوا　　تأبينه ما كان من عذرى
شلت يد البين الذى ساءنا　　بفقد ذاك العالم الحبر
العامل الثبت الذى ان يفض　　فى مبحث حدث عن البحر
رب المعانى والبيان الذى　　علمنا مالم نكن ندرى
الباذل العلم لطلابه　　بذلا وما كان من التجر
يثقف النشء على أنه　　أعلى منار لأولى الذكر
فى صدره الرفق جميعا وما　　من ريبة فى ذلك الصدر
اخلص شىء لا ورائه　　بيته فى السر والجهر

فرحمة الله ورضوانه　　على فقيدينا الى الحشر
من والد بر ومن بضعة　　طهر أنارا ظلمة القبر

قصيدة السيدة نبويه موسى

ما غاب من ملك علاها بل ظهر　　لما توارى النيل منها واستتر
وهوى بباحثة القضاء وحكمه　　أما مباحثها فدان لها القدر
كانت كشمس الفضل تسطع فى الضحى　　ان كان أهل العلم يوما كالقمر
كانت لكل ملمة تعرو بنا　　ولكن عادية موافقها غرر
ظهرت مواقفها الكثيرة طفلة　　فانار روض العلم فكر مستعر
ماكان فى أبناء مصر مثلها　　وبذاك فضلت النساء على البشر
ها كم اشقاها وان ملئوا علا　　هل فيهم من فضل باحثة أثر
لو أنها عاشت لكان ذكاؤها　　تهدى الذى جهل النساء وان كفر
لهفى على شمس توارت فى الضحى　　قبل الأوان وضوء فكر قد قبر
كم جاهدت فى حب مصر فاتعبت　　مقبلا أضر بحسنها طول السهر
كنا نؤم لدى الحوادث شخصها　　فيمن يلوذ وقد أحاط بنا الخطر
ملك لقد جحد الرجال نبوغنا　　ونسوك لما زال عهدك والقبر
هل تقدرين على الكلام ليعلموا　　ان النساء أجل من يلقى الدرر
لو انهم سمعوك يا ابنة ناصف　　تتسامرين لها لهم حلو السمر
قومى نخطى من بيانك أسطرا　　تهدى العنيد وكل من فقد البصر
ردى لنا الفضل الذى ولى فقد　　دفن الكمال بجوف قبرك واندثر
هبى ندافع عن كرامة جنسنا　　فسواك لا نرضاه فى كر وفر
هزى اليراع فان طول سكونه　　حرم النساء من الرقى المنتظر
هزى اليراع فان مصر بحاجة　　ليراع فاضلة وعقل مقتدر
هزى اليراع فان كل فضيلة　　تدعو النساء الى النضال المستمر
هزى اليراع فان فاسدهم بغى　　فينا وليس لمن بغى فينا مفر

هذى الفضيلة فى البلاد طريدة — من لى بصوتك للفضيلة ينتصر
ضاع العفاف فهل سمعت بفقدة — وبمن أصابوا القلب منه فانفطر
قطعوا غصون الفضل فينا عنوة — ولانت أول من جنى منها الثمر
ياشمس نهضتنا وغيث رياضنا — غاب الضياء ولم يعاودنا المطر
لما توارت شمس فضلك بغتة — عز الرجاء وبدل الصفو الكدر
وذوت رياض العلم بعد نمائها — وهوى بها جور الحوادث والغير
هل كنت يا ابنة ناصف الاهدى — يهدى الانام فذاع صيتك واشتهر
شهد الرجال بما لذاتك من علا — فى الخافقين وما لشأنك من خطر
وهم الألى غبنوا النساء وانكروا — ماكان من مجد لهن ومن ظفر
فاذا أتى منهم بفضلك شاهد — دلت شهادته على صدق الخبر
هذى جموعهم تدل صراحة — ان التى يبكون أفضل من خطر
فاليك من كل القلوب تحية — تهدى الى جدث بمثلك يفتخر



خطبة الآنسة مى

فى حفلة ذكرى باحثة البادية

هذه هى الخطبة الشائقة البديعة التى ألقتها الكاتبة المبدعة الطائرة الصيت الآنسة « مى » فى الحفلة التى أقيمت احياء لذكرى باحثة البادية وكانت تقاطع بالتصفيق المتكرر :

أيها السادة والسيدات

وأنا كذلك لى كلمة أقولها فى هذا الاجتماع ، وكيف لا أقولها بكل قلبى وذكر الباحثة حبب إلى أثير لدى . وكذلك لأسباب أستسمحكم فى إيضاح ثلاثة منها هى فى تقديرى أوجه الأسباب وأحكمها وثاقا بين اسم الفقيدة وما لها فى النفوس من محبة وإكبار

أما السبب الأول — وقد يراه بعضكم سببا نسويا مع انه سبب جوهرى . فهو الجاذب الذى طويت عليه شخصية الباحثة . ذلك الجاذب القوى الذى يتشفع من بعض الشخصيات الكبيرة فيستولى علينا ، ويظل جادا وراء ميولنا ونزعاتنا كأن لديه رسالة يتحتم أن يؤديها الينا ، سواء فى الحياة أو بعد الممات .

أما السبب الثانى فهو فضل الكاتبة على قارئة لقد اطلعت على مجموعة «النسائيات» سنة الحرب فكانت الباحثة أول كاتبة عربية خاطبتنى فى موضوعات غريبة يومئذ عن معرفتى وإدراكى واهتمامى — موضوعات الزواج والطلاق وتعدد الزوجات والنقد الاجتماعي والاصلاح — فسيطرت على انتباهى وتغلغلت غير متعثرة فى مشاعرى ، ولفتتنى الى علل ما زالت ضاربة الى يومنا هذا فى مختلف المراتب وما زال الدواء الحكيم الذى وصفته باحثتنا فى مقدمة ما يحسن أن نعالج به من الأدوية

أما السبب الثالث فهو فضل الكاتبة على كاتبة . فانى بفعل حزنى عليها عكفت على درس شخصيتها وتمحيص آرائها ورسم صورتها الجذابة السمراء . وذلك الكتاب الذى صدر سنة ١٩٢٠ « باحثة البادية » كان فاتحة تآليفى باللغة العربية ومنشأ اهتمامى بدرس شخصية المرأة عموما والشرقية خصوصا ، ومسايرتها فى تطورها الجديد مع اعلان ما يناسبها وما تحتاج اليه ، وتعريف ما لا يلائمها وما وجب عليها نبذه . ولقد كانت المرأة الشرقيه الى اليوم كمية مهملة — كما يقول العواذل — فلم يقم طبعا كاتب يفرد لذات صخصية نسوية كتابا . فكان للباحثة أن تفتح هذا الباب فتوحى أول كتاب عربى فى النقد الأدبى والاجتماعى والتاريخى والاصلاح عن احدى بنات جنسها تدونه احدى بنات جنسها

وهذه الأسباب الثلاثة التى تصلنى بالباحثة هى بعينها التى تصل الجمهور بها ، ولو مع بعض الاختلاف . فكل من قرأها شعر يجاذبها من خلال الصحائف . وكل تأثر بكتاباتها وفقا لاستعداده ، القارىء منا والقارئة . وكما كانت موحية أول كتاب عربى عن كاتبة عربية كذلك كانت أول امرأة مصرية — وأكاد أقول شرقية — تعاون الرجال والنساء على الاحتفاء بتأبينها احتفاء رسميا . فأقام الرجال حفلتهم بعد مرور أربعين يوماً على وفاتها . وأقام النساء حفلتهن بعد مرور العام ، فى دار الجامعة المصرية القديمة . وقد كان لى الشرف والسرور والحزن أن اكون من أعضاء اللجنة التى عنيت بتهيئة تلك الحفله ومن الخطيبات اللائى تكلمن فيها . أو تذكرون متى كان ذلك ؟ لقد كان ذلك فى تلك الساعة المتلظية الطروب ساعة اليقظة المصرية . لأن الباحثة سكتت للمرة الأخيرة عندما سارت الأمة هاتفة تحت الأعلام الخافقات . أدرج جسم الباحثة فى الاكفان عندما أنبرت الأمة تلقى عنها لفائف الموميات القديمة لتنتفض منها النفس القومية انتفاض الحياة المشرقة المنشورة فى بعث جديد باهر !

للعمر ساعات ، أيها السادة والسيدات ، لا يسع المرء فيها حتى ولو كان

حكيما ، إلا أن يعاقب القدر وينعته بالجور والطغيان . لأنه بينما هو يغدق النعم على الأحمق أو الخبيث الأثيم من بنى الانسان اذا به يؤذى المحسن الكريم فيصعقه فى لطمة واحدة بعد التعذيب الطويل . ذلك كان نصيب الباحثة من القدر . على اننا نعود الى الامتثال الجميل الذى هو من أسمى دروس الاسلام ، نعود الى الامتثال لعلمنا أن الزارع لا يتحول عن حقله الا وقد نثر جميع البذور التى تحتم عليه أن ينثرها . ومن يد بطلتنا المباركة كما من يد قاسم أمين القيت البذور الصالحة فى الوادى الخصيب ، فرأيتم اليوم ، يا رجال مصر ، هذا الحصاد البهيج من بنات واديكم ينهضن عاملات لكم ولنفوسهن ولأوطانهن وللانسانية !

ولا عجب فى ذلك . بل قد كان يكون العجب واليأس أيضا لو لم تتحرك المرأة المصرية . كيف ؟ أو يغامر الرجل ويجاهد ويستبسل ويفادى وتظل المرأة خياله تمثالا أو دمية لا يسمع نداء الحياة ، ولا تفقه عجيج الأمانى وصيحة الأوطان ؟ كيف ؟ أو يدوى العالم بصخب الشكايات والمطالب ولا تتأثر بذلك مصر ، ومصر كالشرق بأسره مطمح الأنظار وسوق المصالح ومرمى المطامع ؟ أو تنهض الأمم بشطريها للسعى والاقتباس والتجديد وتظل هذه البلاد معرضة غافلة رغم كونها النقطة المسيطرة على طريق المشرقين ، وملتقى القارات الثلاث ، والبقعة التى تستقر فيها خلاصة كل حضارة وكل ازدهار ؟

كلا ! لم يكن ذلك بالميسور فى بلاد قوية بماضيها ، قوية بمستقبلها ، قوية بحيويتها الحسية والأدبيه وبرسالتها الى العالم التى تجلها عن الانقراض والفناء ! فكانت الباحثة ساعة النهضة الوطنية ، ومثل النهضة الوطنية ، أول وسيلة يتفاهم عندها الشطران ويتعاونان . فهنيئاً لنا به يقضى بين قوم نابهين ! وهنيئاً للاحياء تدخر لهم القبور ودائع الفضل والذكاء !

ولقد شاء الاستاذ مجد الدين ناصف استنهاض همة الرجل فى هذا النادى

فبسط له مظاهر ظلمه . ونعلت فعله استاذتى الجليلة السيدة نبويه موسى وهى المحقة فى اخلاصها . ولكن للامر وجها آخر على أن اذكره ليقوم التوازن حيث يجب أن يكون . وما أنا قائلة إلا كلمة حق توحيها روح العدالة ومعرفة الجميل إن أنا شكرت الرجل لعطفه على المرأة وعنايته بحركتها فى هذه الديار .

فالرجل فى شخص قاسم أوجد اليقظة النسوية ودعا اليها . والرجل يتعهد هذه اليقظة بشخصكم أيها الآباء والفضلاء الذين تعنون بتعليم بناتكم وتثقيفهن وما فتئ الرجل ينشط المرأة ويستحثها ويروج مصالحها بأكرم المظاهر وأنبل الوسائط . وهل من هو أولى بالذكر فى هذا الموقف من أبى الباحثة ؟ بل هل هناك من هو أولى بالشكر منك ، يا شقيق الباحثة ، أنت الذى نراك باذلا ذكاءك وهمتك ومعرفتك وحماستك الفتية للاشادة بذكر قضية المرأة ، وتفخيم أعمالها وبسط آرائها ، وتشجيعها على مخاطبة الرجال فى شؤونها بأباء ، وإرغام الرجال على الاستحسان والتصفيق والموافقة ؟

وها كم الكتب ، والاجتماعات ، والاحاديث وها كم عطف الصحافة الكريم بوجه خاص . كل ذلك ناطق باهتمام الرجل وانصافه وسامى شعوره . وها هو كل شاعر وخطيب هنا ، وها هو كل حاضر منكم ايها السادة الرجال ، انما هو يعرب بطريقته الميسورة عن رغبته فى تفاهم الجنسين لاعلاء شأن الاوطان . لانكم تدركون أنه لاخير فى وطن يجرى الرجال منه والنساء مقعدات ! بل الخير كل الخير فى وطن يتعاون الرجال منه والنساء على تنشئة الفرد الصالح تنشئة للعائلة فالمجتمع ، فالامة الزاخرة بتيارات الرفعة والكرامة !

ايها السادة والسيدات

اننا فى طريقنا الى غايات خطيرة قومية وانسانية وروحية تحدو بنا جهود العاملين وتنير سبيلنا افكار الراحلين ، ففاخرن يا اخواتى المصريات ، بان تكن عاملات فى هذا الموكب العظيم كما تفاخرن بان لكن شعاعا نسويا يزيد فى النور الطاهر السنى المنبعث من قبور الخالدين !

حرية المرأة فى الاسلام

لمجد الدين حفنى ناصف

لقد اطلق النبى للفتاة الحرية الكاملة فى اختيار الزوج جاء فى الامام (احمد والنسائى) عن (عبد الله بن بريده) عن أبيه « جاءت فتاة الى رسول ﷺ فقالت ان أبى زوجنى ابن أبيه . . . ليرفع بى خسيسته قال فجعل الامر لها فقالت قد أجزت ماصنع أبى ولكن أردت أن أعلم النساء أن ليس الى الآباء من الأمر شىء »

واشترت (عائشه) جاريه وأعتقتها فلما ملكت أمرها لفظت زوجا كانت تزوجت به مكرهه وكان يمشى خلفها باكياً فقال النبى ﷺ « اتق الله فانه زوجك وأبو ولدك » قالت اتأمرنى قال « لا انما انا شافع » « قالت فلا حاجة لى اليه (المبسوط) وأرى أن حرية اختيار الزوج صريحة جد الصراحة هنا وان ليس للآباء حق فى الضغط على حرية بناتهم يزوجوهن من اقرباء لهم مهددين بحرمانهن من الميراث أو غير ذلك وفى هذا وحشية يسوغ للفتاة أن ترفض احتمالها رفضا فان زوجها هو شريكها فى حياتها الطويلة فلا قبل لها أن تطلق سعادتها ارضاء لشهوة الوالد سيما أن تقدير الرجل للزوج غير تقدير الفتاة وهى فى هذا صاحبة الشأن او قد أجاز النبى للنساء اللهو « البرىء » شىء كثير من المواضع : جاء فى (ابى داود) عن (عمر بن شعيب) عن أبيه عن جده قال « قالت امرأة لرسول الله أنى نذرت أن أضرب على رأسك بالدف قال ان كنت نذرت فأوفى بنذرك » وأوضح من هذا ماجاء فى (تيسير الوصول) « أذن الرسول ﷺ لفتيان الحبشة فلعبوا بحرابهم بين يديه فى المسجد ودعى (عائشة رضى الله عنها فوطأ لها عاتقة وحاط وجهها بيده » ولا أرى بعدهذا لماذا لاتستصحب الرجل امرأته فى حشمه لشهود حفلة أو نحوها أسوة برسول الله ومن خير مايؤثر أن يهودية أمرها

المسلمون فى حرب وساروا بها فى الميـدان وهى تبكى . فأدرك رسول الله انها شهدت جرحى قومها فنهر النبى المسلمين بقوله . « أنزعت الرحمة من قلوبكم حتى تمرا بالمرأة على قتلاها ؟ » اذن فرحمة المرأة واجبة حتى فى أشد المواقف فزعا وأقساها هولا وهذا ما ينساه كثير من المسلمين حتى فى الظروف المعتادة قال تعالى فى (سورة آل عمران) فيمن يدعونه . « فاستجاب لهم ربهم » انى لا أضيع عمل عامل من ذكر أو انثى بعضكم من بعض فالذين هاجروا وأخرجوا من ديارهم وأوذوا فى سبيلى وقاتلوا وقتلوا لاكفرن عنهم سيئاتهم ولأدخلنهم جنات تجرى من تحتها الانهار ثوابا عند الله والله عنده حسن الثواب »

مجد الدين حفنى ناصف

آية العفاف

لاسماعيل باشا صبرى

كم فى الورى من خائل ومرائى ... يخفى الرياء بحيلة السحراء
يبدى الصداقة والخيانة طبعه ... ويعيش بالوجه البشوش الرائى
فى قرية بصعيد مصر عفيفة ... تسمو بفقها على الجوزاء
خرجت لتملأ جرة من جدول ... ينساب فى البطحاء كالرقطاء
والصبح منبلج وفى أردانه ... وذيوله اثر من الظلماء
والماء سال شبيه سائل فضة ... يجرى على درر من الحصباء
والارض من وشى الربيع تجملت ... من سندس من بنتها برداء
والزهر يبسم فى الرياض وفى الربى ... والشمس مشرقة على الأرجاء
آيات رب الناس يظهرها لنا ... مكتوبة فى سائر الاشياء
عادت لجرتها تسير لدارها ... كالشمس فوق القبة الزرقاء
حسناء جملها العفاف بثوبه ... ان التعفف زينة الحسناء
رضيت بعيشتها فهنت زوجها ... فتقلبت فى راحة وهناء
لمحت بمدرجة الطريق متابعا ... لخطيها سفه من السفهاء
ود الكلام فما أجابت سؤله ... وتعززت بفضيلة شماء
مازال يتبعها لغاية دارها ... ومضى وجمر الحب فى الاحشاء
من بعد أيام رأته وزوجها ... فى ألفة ومحبة وولاء
وغدا تدرب خاضعا من بعلها ... متظاهراً بصداقة وأخاء
حتى اذا وثق القرين بوده ... جهلا وبئس صداقة الجهلاء
كثرت زيارته فكل صبيحة ... يأتى لدار صديقه ومساء

وافى وكان صديقه متغيبا عن داره فى ليلة ليلاء
وافى اللئيم لسلب عرض صديقه ولسلب عرض المرء شر بلاء
وضياع نفس الحر أهون عنده من سلب هذى الدرة البيضاء
وافى وقال الوغد هيت لك اذعنى انى أتيت لريبة وخلاء
فتمايلت عن ردعه برجائه لرجوعه عن ذاك خير جزاء
فاستل مديته وقال بجفوة وخشونة ووقاحة وجفاء
ألم تجيبى ماأردت فاننى أقضى عليك بطعنة نجلاء
فلما رأت أن ليس يجدى رجه باللين أو نصيحة النصحاء
عملت الى حسن الدهاء وجردت من حزمها سيفا شديد مضاء
ورجته تمضى كى تنوم طفلها فى غرفة أخرى بحسن دهاء
فاجابها لك ماأردت فاحدقت بالطفل وهو مجلل بسناء
ونجت به وبعرضها وتنفست بعد النجاة تنفس الصعداء
حملت له نار القضاء وأقبلت وعيونها كالجمرة الحمراء
جاءت وفى يدها مسدس زوجها وحشته سهم منية وقضاء
قالت له أو ما تعود عن الذى تبغيه من بغى ومن أعداء
يانا كسا عهد الصديق وناهجا نهج الوحوش وأخبث الخبثاء
خير لمثلى أن تموت شهيدة من أن أخون طهارتى ووفائى
أأخون زوجى ان ذلك عارة تبقى مدى الآجال والاناء
فاجابها كلا فقالت مرحبا خذها إذن من كف ذات حياء
تودى بروحك فى الجحيم وأنها نار الجحيم منازل اللؤماء
غمزت باصبعها المسدس فانبرى منه الرصاص فزق الاحشاء
فغدى اللئيم مدرجا بدمائه فوق الثرى كالصخرة الصماء
شر البرية من يخون صديقه والموت للخوان خير جزاء

نشيد المرأة الجديدة

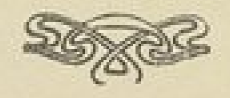
مصر منار الاولين ومنهل المجد المعين
نحن لها دنيا ودين نشقى لها كى تنعم
وتفتديها بالدما

دعامة المستقبل زينة مصر والحلى
طبيبها فى العلل لها المكان والزمن
فنحن ربات الوطن

فى ظل دين ووقار نخرج للدأب النهار
نكلأ بالليل الصغار فنحن رمز العمل
ونحن ذخر المنزل

الله يارب السداد جدد لنا مجد البلاد
واكفل سعادة العباد وارع البلاد سرمدا
وارع لها منا هدى

مجد الدين ناصف



خاتمة

مطالب النساء

فى حفلة ذكرى باحثة البادية

لكاتب صاحب الامضاء

نحن فى العاصمة المصرية قد نجد انه من تحصيل الحاصل بيان فضل النساء فى الحياة الانسانية ، واننا لم نعد نحتاج الى الاستشهاد بحكمة نابليون (المرأة التى تهز مهد طفلها بيمينها تهز العالم بشمالها) فقد شاعت هذه الحكمة ونزلت الى أن تكون بضاعة معلمى المدارس الابتدائية فى تعليم الصبية الانشاء. ولكننا اذا شئنا ان نعبر عن تقدير الرجال لمكان النساء فى الحياة الاجتماعية المصرية فى جميع بلاد مصر وقراها على السواء ، وجدنا ان علينا واجباً كبيرا نحو نساء مصر فى بيان فضلهن حتى نستطيع ان نظفر لهن بحقوق مهضومة ، واحترام منكور ، وفضل مغموط والمكانة الجديدة التى استفادتها المرأة المصرية والتى يشعر بها الرجل ان هى إلا مكانة محصورة فى عدد من الاسرات المصرية قد لايصعب تعدادها أما فى الاسرات ولاسيما فى غير المدن فانه لم تزل المرأة منظورا اليها بمهانة وهون ولاسيما فى المعيشة الزوجية . فما زلنا نسمع كثيراً ان المرأة لاعقل لها ولا دين ، وان التعليم مفسد لاخلاقها ، وما زال الاكثرون يفخرون بطرد زوجاتهم ، وسلب متاعهن ، والقسوة فى معاملتهم فى صنوف شتى . ونحن لاننسى على الدوام ان مرجع هذا الفساد فشو الجهل بين هؤلاء الاكثرين. وان خير علاج وأساس أى شفاء من هذه البلوى المعرة هو نشر التعليم. ولكن هل نقف مكتوفين حتى تنمحى الأمية وينير العلم ارجاء مصر صعيدها ومهادها ؟

وهل يكفل العلم وحده براءة من هذه المشائن ؟

ان جهاد حضرات السيدات المصريات لهو جهاد واجب . ولكن يعوز هذا الجهاد عدد أكثر للاشتغال بهذه النهضة لافى مدينة القاهرة وحدها وانما فى كثير من مدن القطر لاسيما فى العواصم حتى يشعر أهل الريف ولاسيما نساؤه بأن لنساء مصر كيانا محترما فيعرف أولئك الرجال القساة الجهلاء الضرر الأدبى على الاقل الذى يصيبهم من اساءة المعاملة مع النساء . ولتعلم نساء مصر أنه على أكتافهن وحدهن تقوم النهضة النسائية ، وانه من المضعف لحركتهن ان يقوم بها الرجال وحدهم . لقد نهض ذلك العلم الخالد الذكر « قاسم امين » بفتح باب النهضة . ولكن دعوته الجريئة بقيت فردية حتى استيقظت بعض السيدات الفضليات الى صوت هذه الدعوة العادل وفؤادها الرحيم

لاشك ان نصرة مطالب السيدات ليس نصرا لخصم ضد خصم وانما هو تأييد لوحى العدل والهام الطبيعة وتلبية لمصلحة البشرية . فبقدر ما تزيد النساء علما وحقوقا وحرية يستفيد الرجال من هـذه الزيادة التى هى سعادة مضافة الى ما يتوهمون من سعادة بل ان سعادة الرجال لاتتم الا بهذه الاضافة . لقد اهتموا بالرفق بالحيوان الأعجم لانهم وجدوا فى الرفق به احتراماً للانسانية ، وصيانة لمقتضى الشعور الآدمى . فهلا يكون اهتمام الرجال بمطالب السيدات خدمة كلية للانسانية وللرجال أيضاً.

***

فى خطاب السيدة هدى شعراوى فى حفلة تأبين باحثة البادية ثلاثة مطالب مطالب نسوية : مساواة الرجل بالمرأة فى فروع التعليم . اصلاح القوانين العملية للعلاقة الزوجية وجعلها منطبقة تمام الانطباق على روح التشريع الدينى من اقامة العدل ونشر السلام بين الاسر وأحكام روابط المصاهرة . مساواة المرأة بالرجل

فى الحقوق النيابية والحقوق التشريعية .

أما المطلب الاول الخاص بالتعليم فهو مطلب سائر فى مجرى التحقيق . أما المطلب الثانى الخاص بالعلاقة الزوجية فقد شرح كما يأتى : « (١) يسن قانون لمنع تعدد الزوجات الا لضرورة كعقم الزوجة او مرض عضال يمنعها من اداء وظيفتها الزوجية وفى هذه الحالة يجب ان يثبت ذلك الطبيب المختص »

ونحن نقول أن إصدار قانون كهذا ليس فيه ما ينافى الشرع الشريف لانه مبنى على قوله تعالى « فان خفتم الا تعدلوا فواحدة » كذلك قوله « وعاشروهن بالمعروف » وقد شرط الفقهاء للعدل شروطا كثيرة يندر أن تجتمع فى انسان خصوصا إذا فكرنا فى أن الشخص الذى يتزوج بزوجة ثانية يتوهم أن زوجته الثانية خير من الأولى فيخصها عادة بالرعاية والعناية فينتفى كل عدل « راجع ابن عابدين والمختارات وغيرها »

« (٢) يسن قانون يحرم على الرجل أن يطلق زوجته إلا أمام القاضى الشرعى . وعلى القاضى معالجة التوفيق بين الزوجين بحضور حكم من اهلها وحكم من أهله قبل الحكم بالطلاق طبقا لنص الدين الحنيف . اعتقد اننا فى هذا المطلب لم نتجاوز الحكم الدينى ولا الحكم العقلى إذ ليس من يجهل أن الطلاق مثار الاحقاد والضغائن بين المتصاهرين ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (أبغض الحلال الى الله الطلاق) . وليس منا من يجهل مضار تعدد الزوجات وما له من أثر سىء بوهن جلال الأبوة فى نفوس الأبناء ويختلس حنان البنوة من الأباء وينقص رابطة الاخوة فتؤول الى مشاحنة وبغضاء . ويدفع الرجال الى الاسراف والتبذير وينمى الأسرة فينقادون الى شهواتهم غير حاسبين حسابا لما سيعقب ذلك من حسرات ونكبات هذا الى القضاء على سرور المرأة فى حياتها والحكم عليها بالشقاء الأبدى وذلك ما لا يرضاه رجل شريف تتغلغل فى نفسه العاطفة الانسانية ولا ترضاه امرأة رفيعة كانت أو وضيعة . اذا كانت هذه

آثار تعدد الزوجات محسوسة ملموسة فلم لا نحاربه بكل قوانا ولم لا ينضم الى صفوفنا عقلاء الأمة لتلاق شروره ومفاسده »

وقد أصبحت مسألة الطلاق فى فرنسا وغيرها من النظام العام بمعنى أن المحاكم الفرنسية لا تطبق القانون الشخصى للأجنبى اذا كان ذلك القانون يجيز الطلاق فى غير الأحوال المنصوص عليها فى المواد ٢٢٩ و ٢٣٠ و ٢٣١ و ٢٣٢ من القانون الصادر فى ٢٧ يوليو سنة ١٨٨٤ (وهذا من مبادىء القانون الدولى الخاص) . كذلك لا يعترف بزوجتين لشخص أجنبى لأن تعدد الزوجات محرم باعتبار أنه من النظام العام وفى قضية سكاكينى شىء من هذا . وقد تزوجت فرنسية من رجل تركى ورفعت دعوى تطالب بطلاقها منه أمام محكمة السين بفرنسا . ودفع الزوج التركى بعدم الاختصاص فرفضت المحكمة هذا الدفع وكان بين الأسباب التى بنت عليها المحكمة الرفض قولها « وفوق ذلك فانه من الواجب على المحكمة رفض هذا الدفع لأن النظام العام يأبى أن يتمتع أحد الزوجين (وهو الزوج فى حالتنا هذه) بامتياز خاص يسمح له أن يبت العلاقة الزوجية وحده »

كذلك يطرد الأجنبى من الولايات المتحدة اذا كان يسمح لنفسه بالاقتران بأكثر من واحدة وعلى كل حال فان عدة تعدد الزوجات معدودة فى اوروبا انها عادة وحشية وفوضى . ويسخرون من وجودها أى سخرية . وفى رواياتهم كثير من مظاهر هذه السخرية والتشنيع

على انه فى الامكان أيضاً أن يوجد فى القانون الجديد الذى قد يوضع لتنظيم مسألة الزواج والطلاق — اذا صادفت مصر رجلا مصلحا مشفقا برا بوطنه غيوراً على سمعته — اسلوب الانفصال بين الزوجين وهو الحكم بابعاد الزوجة عن الزوج مدة عسى أن تزول النفرة واسبابها وذلك تحاشيا من القضاء بالطلاق ففى المادة ٣٠٦ من القانون المدنى الفرنسى انه « اذا وجد محل لطلب

الطلاق فللزوجين الحق فى طلب الانفصال

وجاء فى المادة ٣١٠ منه « اذا إستمر الانفصال الجسمى بين الزوجين لمدة ثلاث سنوات فان الحكم القاضى به يتحول بمقتضى القانون الى حكم بالطلاق بناء على طلب احد الزوجين . وفى تعليق فوستان هيلى على الفصل الخاص بالانفصال الجسمى بين الزوجين يقول بان مدة الثلاث السنوات لاتبدأ الا إذا أصبح الحكم به نهائيا . وان طلب التحويل الى طلاق يخول للمحكوم عليه مثل المحكوم له وان المحكمة لاتقضى بالتحويل الا بعد مضى الثلاث السنوات

وجاء فى المادة ٣١١ « يجوز أن يذكر فى حكم الانفصال الجسمى أو فى حكم تال له منع الزوجة من اتخاذ اسم الزوج أو السماح لها بان لاتحمله وفى حالة ما اذا اضاف الزوج الى اسمه اسم زوجته فللزوجة ان تطلب منعه من التسمى به »

ويؤدى الانفصال الجسمى دائما الى الفصل بين اموال الزوجين . ويترتب عليه أيضاً أن يكون للزوجة حرية استعمال الاهلية المدنية (للتعاقد والتصرف) دون حاجة الى الالتجاء لالتماس رضا الزوج أو المحكمة . . . »

ان الغرض من سن قانون لتنظيم الزواج والطلاق على شبيه هذه القواعد الفرنسية لايرمى الى سلب حرية الزوج أو مخالفة الشريعة الاسلامية السمحاء وانما الغرض تنظيم استعمال الحرية وكفالة السعادة التى رمى اليها الشرع الشريف من الحياة الزوجية

وعلينا أن نتصور ماذا تكون الحالة لو ابيح الطلاق بلا قيد فى اوروبا المتحضرة وامريكا اللامعة . لقد تعددت فيها قضايا الطلاق بالرغم من تحريمه المطلق تقريبا

وفوق المساوىء التى عددتها خطيبة الحفلة فان لاباحة تعدد الزوجات إطلاقا ولاباحة الطلاق لارادة الزوج وحده بمجرد اللفظ به سيئة أخرى نجدها فى عدم الثقة الموجودة عند كل زوجة مسلمة مبدئيا بخصوص سلوك الزوج ، مما يترتب عليه نزاع بل نزاعات طويله متتابعة فى المأكل والمشرب والسفر والحضر

والايراد والمنصرف والغياب والسهر . وكيف يستطيع رجل أن يجد زوجة مخلصة مطمئنة وهى تعلم أنه فى حمقة المناقشة ولبادرة لفظ منفلت قد يقضى على حاضرها ومستقبلها شر قضاء . وقد سرت فى مصر عادة عند النساء ، يفزع لها الرجال . ذلك أن النساء — دفعا لاحتمال الزواج بزوجة اخرى — يندفعن فى مطالب تبهظ حمل الزوج وتثقله بالدين حتى لا يجد فى إيراده فرجة تسمح له بالتفكير فى الاتيان بزوجة جديدة . وفى هذا مضرة اقتصادية لا تخفى لأن هذه العادة تجعل الأسر تعيش مستدينة مدينة . فوق ما تتأدى اليه من النزاع والكراهية . فالضرر مادى ومعنوى . للأسرة وللأمة

وضرر آخر يشكو الكثيرون منه وهو ميل الشاب المتعلم الى الزواج بالأوروبيات مع أن من أسبابه الاولى هذا الخوف المنبث مبدئيا فى قلب الفتاة المسلمة

***

ان الحياة الزوجية هى الصورة الصغرى للحياة المصرية . بل هى الحياة المصرية بما فيها من المساوىء والاحقاد والبغض والاسراف والخيانة وخفاء روح التعاون والتضحية والوفاء . فعلى الذين وضعت فى أعناقهم اثقال سعادة هذه البلاد الجميلة السخية سواء كانوا حكاما أم نوابا أم كتابا واجب وطنى ، واجب انسانى وفرض اجتماعى عمرانى : هو العمل لسن ذلك القانون الذى تضمنه المطلب الثانى من مطالب حضرات السيدات المصونات الجليلات

عبدالله حسين



حقوق المراة

اصاحبة الا.ضاء

ليس في الدنيا نوع من انواع هذا الحيوان الا وقد تقلبت عليه اطوار واحوال كثيرة انساه بعضها بعضا حتى لقد خرجت به بعض الاحوال عن خطة التقدير الطبيعي فصار النافر انيساً والانيس نافراً والضخم صغيراً والصغير ضخماً ولم يكن كل ذلك يجرى على ناموس الارتقاء والاضمحلال ولا التغيير والتبديل الطبيعي بل كان كل ذلك يجرى على الغالب بقوة اجل انواع هذا الحيوان واسماه ادراكا وأكثره تصرفاً الا وهو الحيوان الناطق وبالتالى الانسان العظيم فانه قد شارك الطبيعة في اكثر احوالها وتبديلاتها وكاد ينهاها عن اكثر نواميسها وأوامرها ولذلك فلا نعجب اذا قيل لنا أن هذا الهر مثلا قد كان نمراً فصغر الانسان حجمه بالترويض او كان ضارياً كاسراً فالآن حدته بالقوة والاذلال ولا أن ذلك الجواد الجرىء والفيل الكبير قد كانا من انفر الحيوانات واشدها بطشاً فذللها الانسان حتى صار يقودها الغلام الصغير

ثم أن هذا الحيوان الناطق لم يقتصر تصرفه بالحيوان الأعجم اذ هو اتم منه تركيباً واوفر حيلة فقط بل هو قد تصرف نفسه بنفسه أو بعضه ببعضه فنشأ بذلك كل ماتراه من اختلاف الناس في مواطنهم ومعايشهم وأديانهم ومذاهبهم ولولاذلك لكان الناس أمة واحدة في كل حالة تقريباً اذ هم من نوع واحد وخلق واحد منذ البدء

على أن الانسان لو تفكر في هذا التصرف الذى جرى لما وجد له من سبب غير قدرة التركيب والعقل على نقص التركيب والجهل بين نوعى الحيوان الناطق والاعجم وقدره العقل والبدن على ضعفيهما بين نوع الحيوان الناطق وحده

ولذلك كان الاختلاف بين طبقات البشر كلهم بالعموم وبين الرجل والمرأة منهم بالخصوص ولهذا نجد انه ،هما تبدلت حالات البشر وحال الضعف فى بعضهم الى قوة والقوة فى بعضهم الى ضعف فان حالة المرأة وبالتالى الأنثى بجملتها لم تتبدل على وجه الاجمال بل لبثت ضعيفة منذ نشأت الى الآن وكان الرجل متسلطاً عليها فى كل زمان ومكان

ولكن هذه المراة قد تعاقبت عليها حالات ادبية كثيرة لم تتعاقب على مخلوق قط حتى ليعجب المرء كيف بقيت على حالتها الطبيعية ولم تتغير تغير بعض الحيوان الأعجم الذى تسلط عليه الانسان وذلك لفرط ماتصرف بها الرجل وبدل فى حالاتها واخلاقها بين حرية وعبودية وعز وهوان

ولقد أذل الرجل المرأة إذلالا عجيباً فى القرون الخوالى حتى لنظن أنه كان يحسبها من غير نوعه وجنسه أو أنه لا حاجة له بها على الاطلاق وذلك لكثرة ما حملها من ذل الاستعباد وهوان الاسترقاق ولم يكن هذا الشأن جاريا عند شعب دون شعب أو متبعاً فيه حكم اقليم دون اقليم بل كان جاريا فى الدنيا كلها على الغالب وان اختلفت طرق المذلة وأسباب الاستعباد والتقييد ولا تزال الحالة تجرى كذلك عندنا الى الآن إذ يضرب كثيرون نساءهم لذنوب لا يضربون من أجلها حيواناتهم إشفاقا عليها ويحمل كثيرون نساءهم من مشاق الحياة وإتعابها ما لا يحملونه بهائمهم

ولا حاجة لأن نأتى على ذلك ببراهين ما كان يجرى فى العصور السالفة عصور الظلمة والفوضى فان البرهان قد لا يكون صادقا بالقياس الى حالة مجموع الناس فى تلك الدهور ولكن نذكر قليلا مما كان يجرى فى العصور الوسطى أو القريبة منا فقد ذكروا أنهم كانوا يذلون المرأة إذلالا غريباً ويمنعون عنها حتى الحقوق الطبيعية وقد توصلوا بذلك الى أن كانوا يمنعونها عن الزواج الثانى ويعاقبونها على الزواج الثالث كأنها أتت جريمة بل كانوا يعاقبونها على الزواج

الثانى بأن يحرموها من حقوق الارث المقدسة وزادوا فى إذلالها من الجهة الأدبية حتى كانوا يمنعون بعض فئات من النساء من لبس الحلى ويخصون بعضهن بها وكانت لذلك قوانين دولية لمخالفتها عقاب كعقاب السرقة والجناية ثم توصل سوء ظنهم بالمرأة الى أن ادعوا أنها قادرة على السحر والتنجيم بسبب لطف حسها وفشا هذا الاعتقاد بينهم لاحتراف بعض النساء هذه الحرفة للارتزاق فصاروا يحكمون على كل منجمة بالقتل وذلك بقوانين مسنونة حتى قيل أنهم قتلوا فى انكلترا وحدها فى مدة ١٥٠ سنة فقط ٣٠ الف امرأة بهذه الدعوى الكاذبة وليس بعد ذلك من ظلم حسى أصيبت به المرأة فوق المظالم الأخرى الأدبية التى انصبت عليها ولا تزال لاحقة بها الى وقتنا هذا وقت المدنية والمساواة

ولكنه يخال لأول وهلة للمطلع على حال النساء وتاريخهن القديم والجديد انها ليست جزءاً من نوع الانسان أو انها أحط منه منزلة فى خاصية العقل وتركيب الجسم الا أنه لو تأمل فى تلك المظالم التى أصيب بها النساء من قبل والتى لا يزلن يدعينها الى الآن لوجدها ظلماً صحيحاً أصبن فيه من وجه ولكنه مشفوع بعدل من جهة أخرى بحيث أن الرجل لو طاوع المرأة فى هذا العصر على جميع مطالبها التى تلتمسها وتدعي ان منعها عنها ظلم صريح لكان نصيبها من الرفاه فى هذه الدنيا أكثر من نصيبه لأنها تصبح أكثر منه حقوقاً وأوسع مجالا فى ميدان الحياة مع انه هو القوى الذى له حق الاستبداد ولأثرة فضلا عن المساواة والنصفة

ولقد يقول البعض بل أن المرأة مظلومة على كل حال مهما بلغت بها المدنية وأرخى الرجل لها طول الحرية ولو لم يكن من ظلمه لها إلا اقتياده إياها الى حيث يريد واضطرارها لأن تطيعه على الصواب والخطأ لكفى به ظلماً أدبياً يفوق كل ظلم مادى . ونعم أن هذا الانقياد إنما هو ظلم حقيقى للناظر اليه بعين الرجل الذى لم يتعود إلا الاستقلال والأنفة من الضيم الأدبى بسبب قوته الطبيعية

التى نشأ عليها منذ البدء فلم تفارقه بل ظل فيها الحاكم الاول على جميع المخلوقات ولكن اذا نظر الرجل الى المرأة بعين المرأة نفسها أو تمثل شعورها فى عواطفه وعلم ان هذا الانقياد خلق معها كما خلقت القوة معه هان عليه أن يحملها هذه المذلة التى تدعيها وعرف ان تفاوت النتيجة لا يكون إلا بالتأثير واذا كان فى النساء من تدعى هذه الدعوى وتقول أنها تشعر بشعور الرجل فى المذلة فهى انما تدعيها بالقول فقط كما يدعى البخيل انه فقير وهو غنى واذا كان فيهن من تشعر بذلك حقيقة فانما يكون ذلك من أصل التربية ونشوء النفس على انه بعيد على كل حال أن تكون نفس المرأة مساوية لنفس الرجل فى امثال هذه التأثيرات لان السليقة لا تغلب والضعيف يحتمل المذلة حتى تصير فيه من جملة الطباع

ثم انك لو نظرت الى المرأة باجمالها لوجدت أن الطبيعة قد أوجدت فى نفس الرجل انصافها وتعويضها مطالب بمطالب أخرى هو محروم منها فان الطبيعة قد سخرت الرجل لأشق أعمال الحياة ثم عزته على ذلك بالتعويض الأدبى الذى يجده من طاعة المرأة وما يشعر به فى نفسه من عظم السلطة عليها ثم سخر الرجل المرأة أن تطيعه وأن يكون الحاكم المتصرف بأمرها يقودها الى حيث يريد وعزاها بأنه أعفاها من أكثر موجبات الحقوق والمطالب وتحملها دونها فكان خطبه من الطبيعة مادى محض وخطبها من الرجل أدبى اغناها عن تحمل أكثر الخطوب الحسية إلا بعض الخطوب الطبيعية التى يشترك بها كلاهما أو تمتاز المرأة بتحملها دونه كالحزن والوجد والاشفاق والحنو وكثرة الاهتمام والمبالاة وغير ذلك من عواطف النفس التى ابتليت بها المرأة بأكثر مما ابتلى به الرجل وان كان نقيض تلك الوجدانات فيها مما تشفع لها حلاوته وحسن وقعه بما مر وخشن منها أى أنها تبتهج وتطمئن حين ذلك النقيض أكثر منه

أما عزاء المرأة فى ضعفها عن مجاراة الرجل فى قوة البدن واضطرارها

للانقياد اليه بحكم القوة والعقل فكثير لايتسع ذكره كله ولو استطاع الرجل أن يذكر للمرأة كل امتيازاتها التى تشعر بها ولكنها تجهل فضلها لاراها انه قد أعطاها أكثر مما أخذ منها وانه دافع أكثر نوازل الطبيعة عنها وتحملها دونها.

ولتنظر المرأة الى حالة معيشتها ولاسيما فى هذا العالم المتمدن الذى تطلب الانتصاف منه تجد انها ترتكب من الذنوب مالو ارتكبه الرجل لبرح به القصاص ولكنها مع ذلك قد يعفى عنها اشفاقاً على ضعفها أو يقل عقابها إذ يتكلف لها العذر بجهلها القوانين والحقوق بحجة انها من شروط الرجل وليس من شروطها فتنجو بذلك مما لايستطيع أن ينجو منه الرجل بل قد تكون هى والرجل شريكين فى ذنب واحد وتأثيرها فيه تأثيره فيتحمل هو من العقاب أكثر منها أو قد تعفى هى منه بسبب ذلك الاشفاق الذى أودعته الطبيعة من أجلها قلوب الرجال

ثم لتنظر المرأة فيما وهبته لها الطبيعة وبالتالى ماخصتها به شريعة الرجال وعواطفهم من نحوها تجد أن القتل والضرب قلما يصيبها من الناس إلا نادراً فانه لايقع فى مكان خطب أو مكروه إلا وتكون هى أول من ينظر الى خلاصها فاذا احترق منزل مثلا كان أو مايصرف من العناية موجهاً اليها واذا غرقت سفينة كانت هى أول من يهتم بخلاصه واذا تشاكات المكاره بينها وبين الرجل فى مثل الفقر والمرض ونحوهما كانت هى المقدمة عليه فى العناية والاشفاق من الرجال انفسهم ثم تجد ذلك الرجل الذى كان مثلها فى فقره ومرضه مسروراً ومغتبطاً بتقدمها دونه غير حاسد لها على شىء اختصت به قبله بل ان حسد الرجل للمرأة فى كل حالة يكاد يكون معدوماً من نفسه مهما علت هى وانخفض هو ولذلك ترى المرأة فى الدنيا طليقة لايزاحمها أحد الا زميلتها المرأة وتلك مزاحمة وهمية لاتؤثر ولا تؤذى

ولتنظر المرأة الى حالتها العمومية الجارية كل يوم تجد انهامعها اشتدخصامها مع الرجل فانه يندر جداً ان يمدلها يداً او يواجهها بكلام يؤثر بعواطفها النسائية بل هى تستطيل عليه بما تشاء وهو لايقابلها الا بالحلم والرفق كما يعامل الرجل الصبي ثم ان المعارك تثور والمذابح تجرى على ساق وقدم والمدائن تفتح والقتل يدور وكل ذلك يكون واقعاً من الرجال على الرجال حتى من الرجال على الاطفال أما المرأة فتظل سليمة لاتمد لها يد بسوء وان كثيرين من البشر حتى المعدودين بنصف متمدنين يعدون من أشد العار قتل النساء ثم يكون غاية مايصيب النساء من تلك المكاره شدة جزعهن وحزنهن على من قتل من أزواجهن وبنيهن ولو استطاع الرجل ان يرد عنهن مصيبة هذه الشعائر لردها ونهاها من فرط اشفاقه عليهن وتخصيصهن بالرحمة والمعروف

هذا من الوجه المادى الذى جرى من قبل ومن بعد وأما الوجه الأدبى وهو أهم ما يطلبنه فى هذا العهد فقد وصلن اليه بعمومهن الى درجة اسمى جداً من التى وصل اليها الرجل بعمومه . فنحن نجد على الغالب ان الرجل لايحترم الا اذا كانت له ميزة من مال أو علم ومن كان خلواً من هذين انتفت كرامته فلم يعتبره أحد على خلاف المرأة فانه لايطلب منها المال ولا العلم لتحترم من أجلهما وانما هى تحترم لانثويتها فقط ويلتمس لها كل عذر اذا خلت من مال أو علم وأما الرجل فلا يناله شئ من العذر لان الطبيعة تطلب منه كل شئ ولا تعفيه من شئ

ثم ان هذا الاحترام لايصيب بعض النساء دون سائرهن بل هو لهن بالعموم وانما يختلف باختلاف المراتب التى لاسبيل لنكرانها أو المساواة بها أى انه لو ظهر رجل وامرأة فى حال واحدة ومرتبة واحدة لكان احترام المرأة أكثر منه ان كان ثم ما يدعو الى الاحترام أولم تحتقر مثله ان كان ما يدعو الى الاحتقار

وهذا الشأن محسوس نراه كل يوم واذا قالت المرأة انها انما تكون محترمة من الرجال من قبيل ظهورها لديهم بمظهر الضعف أو كونها من غير جنسهم القوى

وان النساء لايحترمنها كذلك قلنا ان نتيجة الاحترام الحقيقى هو التعزية والتعزية التى تطلبها المرأة انما تكون من الرجل لانه هو عنوان الدنيا وقويها ولاتكون التعزية من الضعيف

وعلى الجملة فان المرأة لو نظرت الى نفسها بعين العدل والانصاف لوجدت انها منتصفة وان الطبيعة أو الرجل اذا كان قد منع عنها بعض الحقوق جرياً على سياسة الدنيا الواجبة فقد اعطاها مثل ما أخذ منها واذا كان الله تعالى قدخلقها ضعيفة البدن وحملها من شروط الطبيعة ما يقتضى السكون وعدم التعرض لجسيمات الاعمال التى ينال منها الفخر ويتم بها العلاء والمجد فما ذنب الرجل ؟

« الـكسندره »



فهرس الجزء الاول



فهرس الجزء الثانى



